جمهورية السودان

وزارة التعليم والبحث العلمي

جامعة شندي

كلية الدراسات العليا

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

بعنوان :

منهج الإمام الخازن في التفسير من خلال كتابه لباب التأويل في معاني التنزيل

إعداد الطالب /

نافع سعد أحمد منصور

إشراف /

د. محمد أحمد فضل السيد

نوفمبر 2018 م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

استهلال

قال تعالى :

(وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا)

صدق الله العظيم

سورة الفرقان الأية (33)

إهداء

تقديراً وعرفاناً أهدي ثمرة من قطوف الدراسات الإسلامية

إلي روح والدي :

الذي جاهد وصبر علي تربيتي وتعليمي ، أسكنه الله فسيح جناته مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

إلي والدتي :

مصدر ثقتي وإلهامي وسر نجاحي وسلاحي وعوني علي نيل المطالب ، التي هي رمز الأمومة والمثابرة والصبر ، فكم حققت من نجاحٍ لم يكن عوني فيه إلا الله ودعائها عند السحر ، حفظها الله في حلها وترحالها ووفقني الله علي برها وملازمة أقدامها التي تحتها الجنة ورضاء الله .

إلي اخوتي واخواتي : وداً و وفاءً متعهم الله بالصحه والعافية .

إلي إخواني في الله : الذين هم خير خلة وخير جليس أُولئك الزمرة الكرام ، اخوانَ صدقٍ حينما حمي الوطيسِ لنيل الشهادة طاروا .

شد (ج) ان

من منطلق قوله تعالي : ((وَلَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ))[1] صدق الله العظيم .

ومن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((مَنْ لاَ يَشْكُرْ اَلْنَاسَ لاَ يَشْكُرَ اَللهَ))[2]

أتقدم بأسمى أيات الشكر والعرفان لذلك الصرح الشامخ منبع العلم ومنارة المعرفة (جامعة شندي) كما اخص بالشكر صاحب الفضيلة الدكتور / محمد أحمد فضل السيد

الذي أشرف علي هذا البحث فكان خير معين أعانني الله به ، أمتعه الله بحياته ونفع بعلمه المسلمين ، فقد حُظيت بدراسة القرآن الكريم وعلومه على يد فضيلة الشيخ الدكتور محمد أحمد وأنا طالب بالجامعة ثم مَنَّ الله علي مرة أخرى بأن جعله مشرفاً علي رسالتي

((منهج الإمام الخازن في التفسير من خلال كتابه لباب التأويل في معاني التنزيل)) فكانت تلك نعمة أخرى من نعم الله علي ، وقد أستفدت منه في كل المراحل التي مررت بها ولم يبخل عليا بتوجيهاته وإرشاداته النافعة التي كان لها أبلغ الاثر في ظهور هذا البحث بشكله الحالي .

أسأل الله أن يتقبل عملهما وأن يجعله في ميزان حسناتهما ، والشكر أجزله لسائر أساتذتنا الذين نهلنا من علومهم داخل وخارج الجامعة .

الشكر الجزيل للدكتور / عماد أحمد الذي أعانني في التصحيح والمراجعة .

والشكر للاستاذ / عصام الدين الذي حمل معي هم هذا البحث نصحاً وإرشاداً .

الشكر الجزيل لأسرة مكتبة جامعة شندي وخاصة الاخ د. نادر سرالختم ، والأخت أ. أماني

والشكر الجزيل للاخ / قصي عمر نورالدائم الذي قام بطباعة هذا البحث تمحيصاً وتدقيقاً .

والشكر من قبل ومن بعد لله رب العالمين فهو أهل الثناء والمجد والتعظيم وهو على كل شيئ قدير .

[1]) سورة إبراهيم الأية (7)

[2]) أبو عيسى محمد بن عيسى الترمزي ـ سنن الترمزي ـ باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ، رقم الحديث 1954 ـ 4 / 298 .

مستخلص الدراسة باللغة العربية

تهدف الدراسة إلي التعرف علي إمام من أئمة التفسير وعلم من أعلام التفسير في القرن الثامن الهجري (الإمام الخازن ـ رحمه الله) .

جاءت الرسالة بعنوان : ((منهج الإمام الخازن في التفسير من خلال كتابه لباب التأويل في معاني التنزيل)) إستخدمت فيها المنهج الوصفي الاستقرائي.

وقد إشتملت الدراسة علي مقدمة وأربعة فصول وخاتمة ، تناولت فيها كل مايتعلق بحياة الخازن من حيث المولد والنشأة وشيوخه وتلاميذه ثم وفاته .

ثم تحدثت عن منهج الخازن في التفسير مع بسط المصادر التي إعتمدت عليها في تفسيره من الكتاب والسنة وأقوال الصحابه والتابعين واللغة العربية وغيرها ثم بيان المعنى .

هذا وقد توصلت الدراسة إلي خلاصة تتمثل في :

* تفسير الخازن من التفاسير المأثورة بالدرجة الاولى ، لاعتمادها علي مصادر التفسير بالمأثور واللغة والقرآن والحديث النبوي ، بالإضافة إلي الاخبار والروايات والسيرة .

* أظهر البحث رواية الخازن للاسرائيليات ، وكان ذلك نتيجة لسيره علي نهج المفسرين السابقين وأخذه من البغوي ، غير أننا نجده قد رد إسرا ئليات سكت عنها جمع من المفسرين .

* كشف البحث عن إستفادة الخازن من معاني التنزيل وإعتماده عليه بحيث أن الخازن إتخذه أساساً لتفسيره فهو يطابقه في كثير من المواضع ويزيد عليه بترتيبه وتخريج الاحاديث وحذف أسانيدها مع بيان المسائل بصورة مفصلة .

Abstract

The study aims to knowledge one of the Imams of exegesis.

The Imams name is Al.khazen who lived in the eighteenth untnry - God bless him. The study entitled Alkhazen methods of exegesis .

The study constructions on his book which is entitle interpretation Quranic verses . The researcher has used the descriptive analysis. The study includes four chapters and introduction in these chapters . The researcher describes the whole life of Alkhazen , It is adoption , student , teachers and his death are all shown in this study . Alkhazen approaches of exegesis any the researches (Quran – sunnah – Alsahaba – sayings and rhetoric) which the depends on one cleary . Identified and how these sources help in an appropriate interpretation.

توطئة :

الحمد لله الذي خلق الاشياء فقدرها تقديراً وأرسل محمد صلى الله عليه وسلم بشيراً ونذيراً وأنزل عليه كتاباً منيراً ، وأودعه حكمةً وحُكماً ، وترقيباً وتحذيراً يهدي إلي التي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ، والصلاة والسلام على رسول الله الذي أصطفاه ربه وأجتباه وبعثه رحمةً للعالمين وأنزل عليه كتابه المبين الذي هو معجزته الكبرى الخالدة ومصدر شريعته الباقية الي أن يرث الله الارض ومن عليها .

أما بعد :

فإن القرآن مائدة الله التي لا يشبع منها القرأء والدارسون مهما تناولوا منها وأطالوا الجلوس عليها وكلما تناولوا منها وأقتطفوا من ثمارها زادت عندهم الرغبة في الاستزادة منها ، ولا عجب ، فالقرآن كلام الله المنزل الذي يبهر العقول وحير الافهام ويسحر الالباب بحلاوته وسلالة لفظه وعمق معانيه وسهوله نظمه ، فهو كلام الله المبين الدائم الباقي إلي يوم الدين الذي لايدخله التحريف ، ولا يشوبه النقص أو التأويل الحافظ له سبحانه وتعالى (إِنَا نَحَنُ نَزَلَنَاَ اَلْذِكْرَ وَإِنَاَ لَهُ لَحَافِظُوُنَ)[1]

من هذا المنطلق كثرت الدراسات حول كتاب الله تعالى وتشعبت علي مر العصور والازمان وظهر العلمكاء من تناول إعرابه ومن تناول أحكامه ومنهم من تناول تفسيره ، وفي القرن الثامن الهجري نبغ في التفسير عدد من المفسرين ، كان من بينهم الإمام علاء الدين بن محمد البقدادي المشهور بالخازن (678ـــ 741هـ) الذي يعد من أعلام التفسير في بغداد ، وقد رأيت في تفسيره (لباب التأويل في معاني التنزيل) جدير بالبحث والدراسة لما فيه من قيمة علمية فجعلته موضوعاً لرسالتي وعنوانها (منهج الإمام الخازن في التفسير من خلال كتابه لباب التأويل في معاني التنزيل) راجياً من المولى عز وجل أن ينفع بها ويجعلها في موازين الاعمال يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وأرجو صادقاً على كل من يطلع عليها ويجد فيها هفوة أو ذلة قلم أن يوافيني بالتقويم ، وأكون شاكراً ومقدراً سلفاً له ، وقد حرست أن أعرضها بصورة مبسطة وسهلة .

[1]) سورة الحجرات الاية (9)

أسباب إختيار الموضوع :

1. التعرف علي الإمام الخازن ، مولده ونشأته وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته .
2. مالهذا التفسير من قيمة علمية غير معروفة يمكن إبرازها والاستفادة منها في عصرنا الحاضر وتوجيه الدارسين المهتمين بتفسير كتاب الله إليها .
3. إن الدراسة لهذا الكتاب تلزمني بالرجوع إلي كثير من كتب التفسير والحديث والفقه والقرآن وعلومه وغيرها مما تتصل به هذة الدراسة ، ولا شك أن في ذلك فوائد علمية جمة يحرص عليها كل طالب .
4. التعمق في الدراسات التفسيرية والمنهجية مما يزيد من فهم كتاب الله تعالى .
5. ومع هذا كله كان من الاسباب ، بل من أعظمها حافذاً في إختيار الموضوع أن أساهم بقدر طاقتي وجهدي في خدمة كتاب الله تعالى وأن أتشرف بهذا العمل العظيم .

*** أهمية الموضوع :**

تأتي أهمية هذا الموضوع في إماطة اللثام عن الجوانب المهمة التي سلكها هذا الامام في تفسيرة (لباب التأويل في معاني التنزيل) وتعريف الكثيرين به ، إذ أن هنالك جوانب كانت ولا تزال السبب الاكبر في إعراب كثير من الناس عن قرأءة هذا التفسير والاعتناء به ، بل والاساءة إلية بالتشهير والتحذير وأنه ملى بالإسرأئيليات ، مشحون بالاساطير والخرافات ، كما تأتي أهمية هذا الموضوع في النقاط التالية :

1. تنبع أمية الموضوع من جهة تعلقه بالقرآن الكريم الذي هو منبع العلوم
2. الوقف علي عناية سلف الأمة بالقرآن الكريم حفظاً وتفسيراً
3. بيان وتوضيح المدرسة التي إتبعها الامام الخازن .

*** أهداف الموضوع :**

أبراز الجوانب التفسيرية والمزايا العلمية التي ترسم الصورة الواضحة لهذا التفسير في النقاط الاتية :

1. إهتمامه لمايتعلق بالعقيدة وإنتصاره لمذهب السنة ـ ويظهر ذلك جلياً في :

أ/ تنزيهه لمقام الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، ونفيه لكلما يخدش عصمتهم ، من ذلك توهم صدور الذنب منهم ، وعقده الفصول في إثبات عصمتة .

ب/ رده علي الفرق المبتدعة من المعتزلة والخوارج والمرجئة والرافضة وغيرهم .

2. إهتمامه بالتفسير بالرواية وإكثاره منه ، حتى لاتكاد تخلا صفحة من صفحات كتابة من حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أ وعن الصحابة أو التابعين رضي الله عنهم .
3. عنايته بالحديث النبوي الشريف ، وإلتزامه ببيان حكمه وشرح غريبه وحل مشكلاته إن وجدت .
4. إعتماده علي أمهات كتب التفسير ، ونقله لأراء العلماء من المفسرين والمحدثين والفقهاء وأهل اللغة وغيرها .
5. إهتمامه البالغ بما يهذب الاخلاق ويقوي العزائم ويزهد في الدنيا ويرغب في الاخرة ويذكر بالله تعالى واليوم الاخر ولا غروء ، فهو الواعظ الفذ والمذكر الفطن .
6. عنايته بذكر الفصول المتنوعة ، فيما يراء أإن له تعليق بالاية ، وكان يرى أن هذة الفصول ليست من باب التفسير إنما هي من باب تمام الفائدة ، ويرى الباحث أنها فصول علمية نافعة يمكن تستل من التفسير وتحقق تحقيقاً علمياً ثم تنشر كأبحاث مستقبلية ، وهي كثيرة جداً متفاوتة بين البسط والاختصار والتوسط .

*** مشكلة البحث :**

1. ماهو منهج الإمام الخازن في التفسير ؟

2. ماهي العوامل التي أثرت علي شخصية الامام الخازن ؟

3. ماهي مكانت الامام الخازن بين علماء التفسير؟

4. ماهو منهجه في مباحث اللغة وأوجه القرآءأت ؟

5. ما مدى عنايته بأسباب النزول ؟

6. مامدى إظهاره لمصطلحات علوم القرآن في تفسيره ؟

الدراسات السابقة :

لقد حاولت جاهداً من خلال البحث والتتبع والاستقراء للوصول إلي جهود سابقة في هذا الموضوع من خلال المكتبات المنتشرة بالتعليم العالي ولكني لم أجد أي جهد دراسة سابقة في هذا الموضوع بشكل مباشر ، إلا بعض المفردات التي تحدث عنها الامام الخازن من خلال موضوعات أخرى ، وإليك بعض الدراسات السابقة :

1. دراسة الباحث/ علي عبدالقادر (رسالة ماجستير بعنوان : الاتجاه الفقهي للامام الخازن من خلال التفسير ـ جامعة القاهرة ـ دار العلوم ـ كلية الشريعة ، 1999م)
2. دراسة الباحث / منتصر محمود مجاهد ـ رسالة دكتوراة بعنوان (منهج البحث العلمي عند الخازن وأثرة في تطور علم الطبيعة ـ جامعة المنوفية ـ الادآب 1999م) .
3. دراسة الباحث / رحاب هاشم السيد (رسالة ماجستير بعنوان : إختيار الامام الخازن من أول سورة البقرة إلي قوله تعالى: (تلك الرسل) ـ جامعة أم درمان الاسلامية 2002م) .

*** صعوبات البحث :**

1. قلة المراجع والمصادر التي تتناول هذا الموضوع .
2. قلة الدراسات التي تناولت دراسة حياة الإمام الخازن وتفسيره .

*** منهج البحث :**

بتوفيق من الله تعالى قمت بإستقراء وتتبع المادة من :

1. كتب التفسير والحديث والفقه واللقه ، مما يتعلق بموضوع البحث .
2. رجعت إلي أمهات كتب التفسير ، مثل تفسير القرطبي و النسفي ، والكشاف ، وأحكام القرآن لابن العربي والبغوي ، وغيرها مما يتصل بموضوع البحث .
3. قمت بالترجمة للرواة لبعض الاعلام ولم أترجم للاعلام المشهورة .
4. رجعت إلي عشرات المراجع والمصادر للترجمة للامام الخازن والتعريف بعصره .
5. بينت مصادره ومنهجه .
6. قمت بالتوثيق لكل المعلومات التي أوردتها في البحث ، بذكر المصادر والمراجع وأسماء مؤلفيها مشيراً إلي الجزء والصفحة وتاريخ الطبعة إن وجدت .
7. عزوا الايات القرآنية الواردة في الرسالة إلي صورها وذكر أرقامها ، وخرجت الاحاديث النبوية
8. أبزلت قصارى جهدي بالرجوع إلي المصادر الاصلية من التفسير بأنواعه والفقه وغيره .
9. ختمت البحث بفهارس الايات القرآنية والاحاديث النبوية والاثار والاعلام والرواه المترجم لهم والمراجع ، وفهرس للموضوعات .

خطة البحث :

بينت بحثي هذا علي مقدمة وأربعة فصول وخاتمة وفهارس فنية .

المقدمة : تشتمل علي ماذكر آنفاً :

الفصل الاول : الامام الخازن نشأته وحياته ، ويشتمل على :

المبحث الاول : ترجمة الامام الخازن ويشتمل علي مطلبين :

المطلب الأول : نسبه ونشأته ورحلاته العلمية

المطلب الثاني : شيوخه .

المبحث الثاني : عصر الإمام الخازن ومدى تأثره به ، ويشتمل علي ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الحالة السياسية

المطلب الثاني : الخصائص العلمية

المطلب الثالث : الاوضاع الاجتماعية

المبحث الثالث : أخلاقه وآثاره العلمية ، وتحته مطلبين :

المطلب الأول : أخلاقه

المطلب الثاني : آثاره العلمية .

الفصل الثاني : مصادر الخازن في تفسيره ، وتحته أربعَ مباحث :

المبحث الأول : مصادر الخازن من كتب التفسير ، ويشتمل على ثلاث مطالب :

المطلب الأول : معالم التنزيل للإمام محمد بن مسعود البغوي المتوفى سنة 536هـ

المطلب الثاني : الكشاف في حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل للامام للزمخشري المتوفى سنة 538هـ

المطلب الثالث : أحكام القرآن للامام محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أحمد المشهور بإبن العربي المتوفى سنة 543هـ

المبحث الثاني : مصادر الخازن في الحديث الشريف ويشتمل علي ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : أهمية السنة كمصدر من مصادر التفسير

المطلب الثاني : أوجه بيان السنة للقرآن

المطلب الثالث : مصادر الخازن في الحديث

المبحث الثالث : مصادر الخازن في السيرة النبوية ، ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : أهمية السيرة كمصدر من مصادر التفسير

المطلب الثاني : مصادره في السيرة النبوية

المبحث الرابع : مصادر الخازن في اللغة ، ويشتمل على ثلاث مطالب :

المطلب الأول : أهمية اللغة كمصدر من مصادر التفسير

المطلب الثاني : المنهج الصحيح لتحرير مفردات القرآن

المطلب الثالث : مصادر الخازن من كتب اللغة

الفصل الثالث :موقف الإمام الخازن من أنواع التفسيره ، ويشتمل علي ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : موقفه من التفسير بالمأثورات ، ويشتمل علي ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : منهجه في تفسير القرآن بالقرآن

المطلب الثاني : منهجه في تفسير القرآن بالسنة

المطلب الثالث : موقفه من التفسير بالمأثور عن الصحابة والتابعين

المبحث الثاني : موقفه من الإسرائيليات ، ويشتمل علي ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الإسرائيليات معناها وبيان المراد منها

المطلب الثاني : مزايا الخازن في رواية الإسرائيليات

المطلب الثالث : المأخذ علي الخازن في رواية الإسرائيليات

المبحث الثالث : عنايتة باللغة والنحو والقرآءآت والعقيدة والأحكام الفقهية ، ويشتمل علي ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الجوانب النحوية والمصرفية في تفسيره

المطلب الثاني : عنايتة بالقرأءآت

المطلب الثالث : ذكرة قضايا العقيدة والاحكام الفقهية

الفصل الرابع : مباحث علوم القرآن في تفسير الخازن ، ويشتمل علي ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : أسباب النزول في تفسير الخازن ، ويشتمل علي ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : التعريف بأسباب النزول

المطلب الثاني : فوائد معرفة أسباب النزول

المطلب الثالث : موقف الخازن من أسباب النزول

المبحث الثاني : المنهج الذي سلكه الخازن في الناسخ والمنسوخ ، ويشتمل علي ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : جواز النسخ في الشريعة الاسلامية

المطلب الثاني : أهمية معرفة الناسخ والمنسوخ

المطلب الثالث : مسلك الخازن في الناسخ والمنسوخ

المبحث الثالث : المحكم والمتشابه عند الخازن ، ويشتمل علي ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف المحكم والمتشابه

المطلب الثاني : مذاهب العلماء في تفسير المحكم والمتشابه

المطلب الثالث : منهج الخازن في المحكم والمتشابة .

الخاتمة : وفيها النتائج والفهارس الفنية .

ـ فهرس الايات القرآنية .

ـ فهرس الأحاديث النبوية .

ـ فهرس الأعلام والرواة المترجم لهم .

ـ المراجع والمضصادر .

ـ فهرس الموضوعات .

المطلب الأول

نسبه و نشأته ورحلته العلمية :

لقد أتفقت جميع الكتب التي ترجمت له من كتب الأعلام ، وطبقات المفسرين علي نسب الشيخ محي السنة ، وقد الأمة العالم العلامة ، والإمام الفهامة (علي بن محمد إبراهيم بن عمر بن خليل الشيحي ، والبغدادي الصوفي المعروف بالخازن)[1]

لقد إتفقت جميع المصادر والمراجع علي هذه التسمية دون زيادة أو نقصان لافي إسمه ولا في سلسلة نسبه ، حتي كنيته هي أيضا مما إتفقت عليه كتب التراجم والطبقات فقد ذكرتها علي أنها (علاء الدين أبو الحسن) بغض النظر عن الإختلاف في وضعها فبعضهم يذكرها في أخر أسمه كالداودي في طبقاته فذكر أنه (علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر بن خليل الشيحي ، نسبه إلي شيحه من أعمال حلب ، البغدادي الصوفي ، علاء الدين)[2]

وبعضهم يذكرها في أول أسمه كبن العماد الحبلي قال : (هو علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الشافعي) .

والشيحي من قري حلب ، وقد نُسِبَ إليها بعض الأعيان قال الحافظ المعادي : نسب إليها عبد المحسن الشيحي المعروف (شهدانكة) فسمع بدمشق أبا الحسن بن أبي نصر ، وأبا القاسم التنوخي ، وأبا القاسم الحفائي وكذلك نسب إليها نجيب بن الأمنازي وقال : (كان يقال لهذه القرية شيح الحديد .) [3]

من هذا نري أن هذه القرية كان لها تاريخ عريق بإخراج العلماء الأفذاذ كالخازن والذين سبق ذكرهم .

وهنا وقفت حائراً متسائلاً لمإذا أطلقت عليه هذه التسمية – أي الشيحي ؟ مع أن الشيحة كما علمنا أنها قرية من أعمال حلب وهي المحطة الأخيرة التي وضع بها عصا الترحال وتوفي بها مع أنه بغدادي الأصل – دمشقي الدراسة .

والذي أقصد قوله هو لماذا غلبت عليه هذه التسمية ، مع أنه كان ينبغي أن يشتهر للتسمية شي يخص منشأة وأصله ، أقول أن الذي يبدو لي نحو هذه التسمية أنه لإقامته الطويلة بحلب

---

[1] طبقات المفسرين لمحمد بن علي بن أحمد الداوودي شمس الدين غير مفهرس ،الناشر دار الكتب العلميه الطبعه 1 سنه النشر 422/1 التفسير والمفسرون لمحمدحسن الذهبي الناشر لمكتبة وهبة 13/الاعلام لخير الدين محمد بن فارس الزركشي الدمشقي 1396 الناشر دار العلم للملايين ط 15

[2] طبقات المفسرين للدودي ، والدررالكامنة 71/3، ومعجم المؤلفين 7/ 179عمر رضا كحاله

[3] انظر معجم البلدان – ياقوت الحموي ، 379/3بيروت 1376هـ - 1957م

ودمشق من ناحية أخرى أنه لم يذع أسمه ويعرف بابداعه العلمي ومؤلفاته المتوالية إلا في هذه القرية التي توفي بها 0

أود بعد هذا كله أن أبين جانباً هاماً في هذه الرسالة ، وهو أنني بحثت كثيراً في كتب التراجم، والطبقات علي أن أعثر علي ترجمة مفصلة له حتي أكون منها حلقة كاملة عن حياته ولكنني وجدتها لا تشير إلي أسرته ، ولا تترجم لأبيه ، ولا تتبع صاحبنا في مراحل حياته . بل لم تلق إلا بصيصاً من ضوء علي حياته كلها لا يمكن أن أنفذ من خلاله إلي تكوين هذه الحلقة ، وهذه حقيقة من جملة المصاعب والحواجز التي وجهتها في هذا البحث . أعود فأقول إن كتب التراجم فقد إتفقت علي تاريخ ولادته فقد كانت سنه ثمان وسبعين وستمائة للهجرة 678 هـ ببغداد [1]

من هذا يتضح لنا أن ميلاده كان بعد سقوط بغداد[2] باثنتي وعشرين سنة بعد سقوط تلك المدينة التي كانت قاعدة الخلافة العباسية ، والمشعل الذي يحمل نور العلم والمعرفة فيضئ البلاد الإسلامية علماً وتأليفاً في شتي أنواع العلوم .

وكانت البلاد الإسلامية في ذلك الوقت – أي وقت ولادته – تدين بسلاطين المماليك من الترك الذي كان مقرهم في مصر (القاهرة) فهم يحكمون ولهم الأمر والنهي مع وجود الخلافة العباسية ، والخلافة آنذاك كان (الحاكم بامر الله العباسي)[3]

الذي كان يحمل الخلافة بأمر الله وغيره من الخلفاء آنذاك – غير إسم الخليفة – مع أن الحل والربط كما أسلفت يكون بيد السلاطين ، والذي كان يلي الأمر في ذلك الوقت هو (الملك العادل سلامش)[4] والمماليك بأن يولون الشام بالنيابة بعد أن هزموا التتار[5] هزيمة ساحقة في (عين جالوت) كما سنتعرض له في الأحوال السياسية .

نعم كانت ولادة الخازن في هذه الفترة وكنت دائماً أسأل نفسي هل نشأ في بيت عز ونعمة أم في بيت فقر ومتربة ؟ وهل نشأ في كنف أبويه أم تربي يتيماً أشرف عليه في صغره بعض أقاربه ؟

---

[1] التفسير والمفسرين ، محمد حسين الذهبي ، 310/1 الدار الكامنة في أعيان المائة الثامنة 3/ 171 وغيرها من الكتب التراجم

[2] -سقطت بغداد عاصمه العباسيين في يوم الاحد 4 صفر 656 هـ الموافق 10 فبراير 1258 م على يد هولاكو بن تولوي بن جنكز خان وقتل الخليفة المعتصم

[3] -الكنية ابو جعفر واسمه عبد الله بن احمد بن اسحاق بن جعفر بن احمد بن محمد بن جعفر بن محمد بعد ابيه وكانت ببعثه في ذي الحجه سنه 422 هـ وكانت مدة 44 سنه و 35 يوم

[4] -هو العادل بدر الدين سلامش ولد في القاهرة سنه 1272 هـ توفي في القسطنطينيه سنه 1291م وهو ابن السلطان ركن الدين بيبرس لقب ب ابن البدوية ونصب سلطانا في عام 1279 م وهو في السابع من عمره و حكم لمدة مائه يوم و اصبح سادس سلاطين الدولة المملوكه

[5] -التتار او التتر كلمة اطلقها العرب على مجموعه القبائل المغولية التي اجتاحت الشرق العربي وبلاد اسلاميه اخرى في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين

كل هذه التساؤلات راودت خاطري ، فاتابع البحث ولكن دون جدوى ، ومازال الغموض يكتنف حياة هذا الرجل .

إلا أن الشئ الذي إستنتجته من هذه التراجم أن هذا الرجل عندما بلغ من العمر حداً يسمح له بتلقي العلم شرع في قرآءة القرآن وحفظه ثم بعد ذلك إتجه إلي العربية فاخذ منها نصيب وأفر وبعد ذلك إتجه إلي الحديث [1] .

وأرى أن هذا حق وصدق ، لأن الخازن سمع في أول حياته الدراسية علي إبن الدواليبي[2] ، وهو معروف عنه أنه شيخ دار الحديث المستنصرية ذكره إبن كثير [3] ، ودار الحديث عن مدرسة يدرس منها الحديث وعلومه ورجاله ، وكان من يدرس فيها من العلماء الأجلاء الذين يشار إليهم بالبنان كإبن الدواليبي وغيره .

وهذه الطريقة في الدراسة كانت في كل من مصر والشام كانت طريقة مستمرة في تلك الأقطار ، فالطالب يبدأ بدراسة القرآن والعربية بخلاف أهل الأندلس [4] ، الذين كانت طريقتهم في الدراسة أن يبدأ الطالب بتعليم الشعر إلي جانب قراءة القرآن الكريم وحفظه .

كذلك فالخازن مع دراسته للحديث في مقتبل حياته علي إبن الدواليبي فهو قد يكون درس عليه (النحو وأبوابه) لأن إبن الدواليبي كما قال عنه إبن كثير (سمع الكثير وله إجازات عالية ، وكان فاضلاً في النحو وغيره ، وله شعر حسن)[5] .

ثم بعد ذلك وأصل الخازن – رحمه الله – تعليمه ، وترقي فيه فتنقل بين حلقات العلم في بغداد إلي أن غادرها إلي (دمشق) نعم بعد أن مكث الخازن في بغداد مدته التعليميه الأولي التي كانت منطلقاً لحياته ، ورسم دقيق لها ، إتجه منها إلي دمشق ولكن للأسف لم تنشر كتب التراجم إلي السنة التي غادر فيها ، أو للأسباب والظروف التي جعلته يشد الرحال عن بلده ، وكل ماذكرته كتب التراجم أنه (قدم دمشق وأقام بها مدة)[6] لكن الشئ الذي أستطيع أجزم به أنه قدم إلي دمشق قبل سنة 716هـ ، وذلك لأنه في دمشق سمع ست الوزراء (وزيرة بنت عمر) التي توفيت عام ست عشرة وسبعمائة هجرية فعلي هذا فهو قد رحل إلي دمشق في

---

[1] - شذرات الذهب لابن العماد ، 6/ 131

[2] -هو محمد معروف الدويلبي وهو سياسي ودبلماسي وكان ينضم إلي حزب الشعب وهو سوري من مدينة حلب توفي عن عمر يناهز سبعه وتسعون عاما ودفن في البقيع .

[3] البداية والنهاية لابن كثير وهو عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن ضوء القرشي البصراوي ثم الدمشقي / 141، 142 الطبعة الاولي 1966م ، الناشر مكتبة المعارف بيروت

[4] - القرطبي ومنهجة في التفسير ، د/ القصبي محمود زلط

[5] - البداية والنهاية لابن كثير ، 14/ 141

[6] - طبقات المفسرين للداؤودي وهو محدث ومفسر وفقيه ولد بمجدل سنة 701هـ وتوفي 774هـ بدمشق وكان من اهل السنة والجماعة وتعلم علي يد ابن تيمية ، والذهبي ، ابن القيم الجوزية وكان محدث وفقيه ومفسر ومؤرخ ، 244/1

أخر القرن السابع ولعل الدافع الذي دفعه إلي السفر هو طلب العلم لأنه – رحمه الله – كان مقبلاً علي العلم شغوفاً به ، وكانت دمشق آنذاك قد تميزت بالإزدهار العمراني والحضاري إلي درجة أنه لم يكن يضاهيها في ذلك الوقت غير القاهرة ، كان هذا الإزدهار العمراني يساير الإزدهار العلمي في شتي أنواع العلوم فلقد كثر في هذه المدينة المدارس والمساجد والخوانق[1] قال القلقشندي : مدينة حسنة الترتيب ذات حواجز بنيت من جهاتها الأربع إلي قوله : (وبها الجوامع والمدارس والخوانق ، والربط والزوايا والأسواق المزينة والديار الجميلة المذهبه السقف ، المفروشة بالرخام المنوَّع ، ليس بعد هذا الوصف من وصف ولابعد هذا الإغراء من إغراء يشد رجلاً لديه دافع علمي وملكة حفظ متوقدة تدفعه إلي المزيد والعطاء [2] .

قدم شيخنا إلي دمشق وأقام بها وهناك تفرغ للعلم والدراسة وعكف عليها في مدارس دمشق ، ومساجدها والخوانق ، والربط ، حتي إستقر به المقام أن يكون خازن الكتب في خانقاة أقول : (السمساطية) بدمشق ، ولهذا إشتهر بهذا الإسم ، واود أن أقف وقفة قصيرة عند هذه العبارة ، وأتساءل ، مامعني (خانقاه السميساطية) ولماإذا إستقر به المقام في هذه الخانقاه ؟ دون المدارس والجوامع الأخرى التي كانت آنذاك ؟

والخوانق حدثت في الإسلام في الأربعمائة [3] ، هجريه وجعلت لتخلي الصوفيه منها لعباده الله وهذا الكلام سوف أتعرض له عند الخصائص العلمية – نخرج من الكلام السابق بملاحظتين هامتين قد تعطينا بعض الوضوح في شخصية هذا الرجل .

أ/ إحداهما أنه كان ورعاً منقطعاً لله بالعباده ، وقد يكون هذا أكبر الدوافع لرحيله من بغداد إلي دمشق حتي يجد منها – أي دمشق – بغيته من طلب العلم والإستزادة منه و إشباع رغبته في الإنقطاع لله بالعباده في هذه الخانقاه ونزعته إلي الورع والزهد أشارت لذلك جميع كتب التراجم

ب/ يظهر لي من إقامته في خانقاه السميساطية أنه لم يكن من أصحاب الأموال والغني وإلا لمالجأ إلي (خانقاه السميساطية) إذ معروف أن جميع الخوانق التي كانت موجودة آنذاك كانت أكثر من يقيم فيها الصوفية والفقراء وتعطي لها الهبات والعطايا و الأرزاق من قبل نائب البلد التي توجد بها من قبل أصحاب الأموال ذكر ذلك القلقشندي .

---

[1] -اقول: (خانقاه) : أصلها المكان الذي يأكل فيه الملك ، وخانقاه : خانكا أي دير او منزل أو معبد ، ويتضح الامر بما قاله المقريزي في خططه ، و الخوانق : هي التي يسكنها الصوفية وتعطي لهم الارزاق منها والهبات ويشرف عليها العلماء الذين ينشدون العلم فيمن يأتون إليها .

[2] صبح الاعشي ، القلقشندي ، 4/ 92، 93 هو ابن العباس شهاب الدين القلقشدي وهو مؤرخ ولد عام 1355م وتوفي في عام 1418م

[3] - المرجع السابق ، 4/ 271، 272

إذاً فالخازن أقام بهذه الخانقاه التي تسمي السميساطية بدمشق واكب علي الدراسة والبحث و الإطلاع ، وقد يكون أكبر عون له كونه خازن كتب هذه الخانقاه فهو قد يقضي أكثر وقته في القراءة و الإطلاع والعباده والصلاة . لم يقتصر طلبه للعلم علي ما يقرأه في مكتبة السميساطيه بل كان أيضاً يلازم حلقات العلم التي كانت تعقد في المسجد أو المدارس الموجودة آنذاك والتي ذكرناها آنفاً فأجد الحديث عن (القاسم بن المظفر) ، و (ست الوزراء وزيرة بنت عمرو) [1] لأن هذين كانا ممن سمع عنهما في دمشق حقيقة أن الخازن أقام في دمشق وتنقل بين حلقاتها العلمية من معاهد ومدارس ومساجد علاوة علي إكتسابه فيها من الناحية العلمية في خانقاه السميساطية ويبدو أن الخازن من خلال إقامته بدمشق قد وصل إلي ماوصل إليه من توقد الذهن والنبوغ العلمي أقام بها مدة ثم إنتقل إلي حلب [2] ، في الحقيقة لم ترشدنا كتب التراجم إلي الأسباب والظروف التي دفعته إلي الإنتقال إلي (حلب) وكذلك لم تشر إلي السنة التي غادر فيها ولكن إستأنس أن سبب إنتقاله هو الإستزادة من نهل علم هذه المدينة العذب . خصوصاً وأن هذه المدينة قد أشاد بفضلها كثير من المؤرخين وشهرتها العريضة بالتقدم العمراني والعلمي ، ومن هؤلا القلقشندي حيث قال (وهي مدينة عظيمة من قواعد الشام القديمة وتميل إلي الإحمرار ، مدينة بالحجر الأصفر الذي ليس له نظير في الآفاق وبها المساكن الفائقة ، والمنازل الأنيقة ، والحمامات الواسعة و الأسواق الكبيرة ، ذات جوامع ومدارس ، وخوانق ، وزوايا وغير ذلك من سائر وجوه البر) [3] أقام بها الخازن فترة من الزمان كانت هي أخر حياته ، فيها مثابراً علي طلب الدراسة ، وبرع في مختلف العلوم والفنون في الفقه والتفسير والحديث والتاريخ ، و ألف في معظمها ، ثم إتجه إلي الحديث في بعض مصنفاته ، قال إبن قاضي شهبه [4] حتي وافته المنية سنة إحدى وأربعين وسبعمائة 741هـ [5] ، وفي آخر شعبان أومستهل شعبان فرحمه الله رحمةً واسعة .

[1] - الاعلام ، عز الدين الزر كلي ، 5/ 187، مطبعة دار العلم للملاين . بيرود الدار الكامنة 2/ 223

[2] أشارت إلي ذلك جميع كتب التراجم

[3] صبح الاعشي القلقشندي ، 4/ 116

[4] - التفسير والمفسرين للذهبي ، 1/ 310، دار الكتب الحديثة وهو ابو بكر احمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهية الاسدي الدمشقي توفي سنه 851 هـ وهو صاحب كتاب طبقات الشافعيه واشتهر بزيد الاسم لان ابا جدو اقام قاضيا شبهيه اربعين سنه

[5] الدار الكامنة 171/3لابن حجر العسقلاني ، دار الكتب الحديثة

المطلب الثاني

شيوخـــه

حقيقة لم تسعفنا كتب التراجم بالكثير عن شيوخه حتي هو في تفسيره لم يشر إلي أحد منهم ، ولكن بعد تقصي كتب التراجم والطبقات أستطعت أن أعثر علي بعض شيوخه ، و وأصلت البحث الطويل حتي أستطعت العثور علي تراجمهم كل ذلك بقصد إفادة المطلع علي هذه الرسالة و إبراز صورة له يظهر له من خلالها علي حلقة تربط الشيخ بالتلميذ والمعلم بالطالب ومدى الإرتباط بينهما ، ومن أشهر مشايخ الخازن و أبرزهم :

1/ أبي الدواليبي :ـ

ذكر الداؤدي صاحب طبقات المفسرين أن الخازن سمع ببغداد – وفي أول حياته عندما شمر عن ساعدالجد لطلب العلم وتلقيه – من (الثعاليبي) المفسر المشهور[1] .

وهذا في نظري إن كان يقصد به المفسر المشهور ففيه نظر ، لأن من خلال إطلاعي علي كتب التفسير ، وطبقات المفسرين وجدت غير هذا ، وهو أن الثعاليبي أصله جزائري ، وقد إنتقل في عدة رحلات إلي كل من تونس ومصر ، ثم رجع تونس وتوفي بها عام ستة وسبعين وثمانمائة للهجرة 876 هـ .

والذي بين هذا ويوضحه الذهبي حيث قال : هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، الجزائري ، المالكي ، العالم العامل ثم قال : وقد عرف هو – أي الثعالبي – في مواضع من كتابه وبين أنه رحل من الجزائر لطلب العلم في أخر القرن الثامن ، ثم رحل إلي مصر ثم رجع إلي تونس وكانت وفاته سنه ست وسبعين وثمانمائة 876 هـ عن نحو تسعين سنة ودفن في مدينة الجزائر [2] ، والقارئ المتفحص لهذا النص يخرج منه بنقطتين يستبعد منهما أن يكون الخازن قد تتلمذ علي الثعاليبي

النقطة الأولي : إن نشأة الثعاليبي كانت في شمال أفريقيا من بلاد الجزائر إلي تونس ثم إلي مصر ولم يذكر أنه خرج إلي بلاد الشرق التي منها بغداد ودمشق وحلب التي كانت بها حياته ووفاته .

---

[1] طبقات المفسرين للداودي 422/1

[2] التفسير والمفسرين للذهبي ، 247/1- دار الكتب الحديثة

النقطة الثانية : وفاة الثعاليبي كانت 876هـ عن نحو تسعين سنه أي أن يقوم الباحث وهذا ألّبس الحاصل لايخلو من أمرين : أما أن يكون ناتجاً عن عدم الدقة والتثبت في تقصي المعلومات ، وهذا يستبعد من هذا الرجل ، أي الداودي ،الذي خدم التفسير والمفسرين ، أو أن يكون ناتجاً عن خطأ من النُساخ وهذا هو الأصح و الأقرب إلي العقول .

والحاصل أن الذي أقصد قوله أنه تتلمذ علي إبن الداوليبي وهذا هو الأقرب والحقيقة أن إبن الداوليبي مشهور بالجلال والفضل فقد قال إبن كثير هو الشيخ الصالح العالم العابد المعمر عفيف الدين أبو عبدالله محمد بن عبد المحسن بن أبي الحسين بن عبد الغفار البغدادي ولد في ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين وستمائة للهجرة 638 هـ كان يعمل في تدريس الحديث في (المستنصريه) وهي مدرسة كانت من ضمن مدارس بغداد التي يدرس بها الحديث وقد تتلمذ علي كثير من المشايخ إلا أنه لم يذكر لنا ولو بعضاً منهم .

وقد تتلمذ عليه كثيراً من العلماء الأفاضل الذين لهم باع طويل في العلم كأمثال الخازن – رحمه الله – وكذلك إبن كثير المؤرخ المفسر الشهير ، وقد حدثنا بذلك إبن كثير نفسه فقال : (وقد أجازني فيمن أجاز من مشايخ بغداد ولله الحمد) .

والخازن قد لا يقتصر في سماعه علي إبن الدواليبي علي الحديث فحسب بل تعلم عليه النحو ، وقرض الشعر كما بين ذلك إبن كثير فقال : وكان فاضلاً في النحو وغيره حافظاً للشعر .

ولقد عمر هذا الشيخ الفاضل حتى أنه جاوز التسعين عام حتى لقب بالمعمر وصار إلي رملة العراق ، وتوفي يوم الخميس رابع جمادي الأولي ودفن بمقبرة الإمام أحمد (مقابر الشهداء) سنة ثمان وعشرين وسبعمائة للهجرة 728 هـ .

ثانياً : ست الوزراء (وزيرة بنت عمر) :

ست الوزراء بت عمر بن أسعد بن النجا التنوخية ، الدمشقية الحنبلية وتسمي وزيرة بنت عمر وهو القاضي شمس الدين عمر بن شيخ الحنابلة [1] ولدت سنه أربع وعشرين وستمائة 624 هـ كان لها باعها الطويل في الحديث وحفظه ، وكان لها صبر علي تلقيه وسماعة[2]

[1] - الدرر الكامنه لابن حجر ، 223/2

[2] - المرجع السابق ، 2/ 223

تتلمذت علي كل من :

1/ والدها القاضي حسين شمس الدين عمر بن شيخ الحنابلة تتلمذت عليه عن طريق السماع [1]

سمعت من والدها جزءين لكنه لم يظهر لنا نوعية هذه الجزءين هل هما في الفقه أم الحديث ؟ والذي أرجحه أنها سمعت عنه في الفقه الحنبلي والحديث معاً .

2/ ومن أبي عبد الله بن الزبيري

سمعت عنه مسند الشافعي وصحيح البخاري في الحديث ، وبعد أن بلغت رحمها الله – درجة كبيرة من العلم في الحديث وغيره من سائر العلوم جلست للحديث فحدثت في كل من مصر والشام وحجت مرتين[2] ولا يستبعد أنها حدثت في مكة خلال حجها ، والخازن كانت إستفادته منها عن طريق السماع التي هي إحدي الطرق المتبعة في ذلك الوقت لتلقي العلوم من الشيخ والإستفادة منها وهذه الطريق هي : –

إسماع ، القراءة ، المناولة ، الإجازة

سمع الخازن منها عندما قدم إلي الشام في أخر القرن السابع ، فسمع عنها الحديث عندما كانت بالشام .

والخازن مع كونه شافعي المذهب إلا أنه يكون أخذ عنها الفقه الحنبلي لأنها كانت حنبلية المذهب

توفيت – رحمها الله – في الثامن عشر من شعبان سنة 716هـ [3] بعد أن ملئت بالعلم والحفظ والتدريس ، قال عنها الذهبي : كانت طويلة الروح علي سماع الحديث ، وهي أخر من حدثت بالمسند بالسماع حإلياً [4] .

---

[1] المرجع السابق ، 2/ 223

[2] - المرجع السابق 223/2

[3] - الدرر الكامنة لابن حجر ،/ 223

[4] - أعلام النساء في عالمي العرب الاسلامي ، لعمر رضا ، 2/ 172، النجوم الزاهرة 237/9، الدار الكامنة ، 223/2

ثالثاً:القاسم بن المظفر :

ذكر الذهبي أن (القاسم بن المظفر) كان من شيوخ الخازن الذي تتلمذ عليهم في دمشق عندما قدم إليها وأصبح خازن (خانقاه السميساطيه) [1]

وهو القاسم بن أبي غالب المظفر نجم الدين بن أبي الثناء محمود بن الإمام تاج الأمناء أبي أحمد بن محمد بن الحسين بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن عساكر الدمشقي ، الطيب المعمر [2]

ولد سنه 629 هـ [3] وهذا الرجل حقيقة قد يكون توافر له من الشيوخ مالا يكون قد توفر لغيره ، له نشاط علمي عظيم في الحديث فهو ، قد سمع حضوراً وسمع علي الكثير من الشيوخ .

فهو قد سمع من إبن الليثي ، وإبن مسني الدولة [4] وسمع لطلبة بن الرشيد وعثمان بن خطيب القرافة ، وشيخ الشيوخ وغيرهم حدث بالإجازة عن القطيعي و أبي الوفاء بن هند وغيرهما [5] ، وهذا الشيخ الجليل قد برع في الحديث ، وحفظه ودراسته التي أصبح له باعه الطويل فيه إلي درجة أن كثير من الحفاظ خرجوا له أمثال (الحافظ علم الدين البرزالي) قال إبن كثير : سمعنا عليه سنة وفاته ، أي علم الدين البرزالي [6] ، ولذلك خرج له الحافظ صلاح الدين العلائي عوالي عوالي من حديثه يقول خير الدين الزركلي (وكتبت له مشيخة في سبع مجلدات تشمل علي سبعين وخمسمائة شيخا 570 منها جزء مخطوط في خزأنه الرباط [7] ، وخلال البحث وجدت أن الذي كتب له هذه المشيخة هو (المحدث الناصر طفربك) مشيخة في سبع مجلدات تشمل علي

خمسمائة وسبعين شيخا سماعا وأجازه قد قرئت عليه – إلي القاسم بن مظفر – فسمعها الحفاظ وغيرهم [8] .

وتتلمذ عليه كثير من العلماء الأفاضل الذين لهم قدم ثابتة في علم الحديث منهم : الحافظ علم الدين البرزالي ، وقد إستفاد من هذا الشيخ عن طريق القراءة وقال البرزالي : وقد قرأت عليه ثلاثاً وعشرين بحذف المكررات ومن الأجزاء خمسمائة وخمسين جزءاً بالمكررات [1] .

---

[1] - انظر ترجمة الخازن في التفسير والمفسرون للذهبي 310/1
[2] انظر الأعلام ، خير الدين الزركلي ، البداية والنهاية لابن كثير 108/14
[3] -البداية والنهاية لابن كثير ، 108/14
[4] - المرجع السابق ن 14/ 108
[5] - المرجع السابق 14/ 108
[6] الدرر الكامنة لابن حجر ، 3/ 323، 324
[7] - الأعلام للزركلي ، 5/ 187
[8] - البداية والنهاية لابن كثير 108/14

وتتلمذ عليه بعض منهم : عن طريق السماع أمثال : أبو الحسن علي بن محمد بن المجد الدمشقي بالقاهرة ، وخديجة بنت إبراهيم بن إسحق بدمشق قال إبن حجر العسقلاني [2] .

ومنهم بالإجازة قال إبن حجر العسقلاني : ومنهم بالإجازة الشيخ أبو إسحاق التنوفي وغيره .

وقد يكون الخازن من الفئة الثانية التي أخذت عنه السماع إستناداً علي قول الذهبي وقدم دمشق فسمع من القاسم بن مظفر ، وهذا الشيخ كان فاضلاً محباً للخير مداوماً علي فعله وأكبر دلالة علي ذلك أنه كان طبيباً فكان يعالج المرضي مجاناً إحتساباً لابد يريد المثوبة إلا من الله سبحانه وتعالى [3] .

وكذلك كان يتصدق ويؤثر ويجعل داره دار حديث [4] ، وكان باراً لتلاميذه محباً لهم علي العلم فقد خص (البرزالي) والمزي بشيء من بره وكان – رحمه الله– علي علم كبير بالحديث ورجاله ، وله إطلاع وعلم بالنحو والشعر .

ومن السمات التي تفرد بها أنه عمر طويلا حتي إرتعش خطه ولكنه متع بحواسه الذهنيه

وفي أخر حياته لزم داره للعلم ، وكان سهل التسميع محباً للطلبة صبورا عليهم .

وقال عنه[5] الذهبي (وينسب عنه تخطيط في نحلته وتوفي – رحمه الله – سنه ثلاث وعشرين وسبعمائة للهجرة 723 هـ وقت الظهر في الخامس والعشرين من شهر شعبان .

و هؤلاء هم شيوخ الخازن الوارد ذكرهم في كتب التراجم والطبقات إلي جانب ذلك فقد تتلمذ الخازن علي ما أنتجته قرائح العلماء من مؤلفات في العلوم الدينيه ، وعلوم اللغة والنحو و التاريخ ، وبالرجوع إلي الحالة العلمية في ذلك العصر طالعنا عدداً هائلاً من هذه المؤلفات في شتي أنواع العلوم ، وقد أخذ الخازن من كل هذه العلوم تقريبا بحظ وأفر حتى أنه بعد ذلك إتجه إلي التأليف في كثير من هذه العلوم .

---

[1] - المرجع السابق 108/14

[2] - الدرر الكامنه في أعيان المئة الثامنه 324،323/3

[3] التفسير والمفسرين للذهبي ، 1/ 310

[4] البداية والنهاية لابن كثير ، 14/ 108

[5] -البرازلي وهو علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف بن ذكي الدين محمد بن يوسف بن ابي بداس البرزإلي الاشبيلي الشافعي ولد عام 660 هـ وتوفي 739 هـ

تمهيد :

للبيئة أثر في نفوس أبنائها تختلف بإختلافها ، فإن كانت سهله طبعتهم بطابع السهولة والليونة ، وإن كانت جبلية خلقت عليهم الخشونة و الغلاظة .

والرجل باعتباره مفسراً ، محدثاً لابد أن تؤثر على نظم الحياة التي يعيشها ، وأن يصدر عنه ما يكون إنعكاساً لبعض ملامحها ولابد أن يكون له موقف مؤيد أو معارض بالنسبة للمجتمع الذي يعيش فيه والذي تحكمه أضرب سياسية وإجتماعية وثقافية معينة .

وسأعني في دراسة البيئة بالمقومات السياسية ، والخصائص العلمية والحالة الإجتماعية لذلك العصر .

أما عن السياسة الداخلية فسأدرس العلاقة بين السلطان والخليفة وبين السلاطين مع بعضهم البعض ، إذ لايخفي أثر السياسة الداخلية في نفوس الأفراد والجماعات .

أما عن السياسة الخارجية فسأشير إلي الحروب الصليبيه ، وهجمات التتار علي بلاد المسلمين

أما الحالة العلمية فدراستها ضرورية حيث يتعرض الباحث لدراسة عَالِمْ مَنْ العلماء لتوضيح مكانته العلمية ودرجتها .

أما الناحية الإجتماعية فإنها تكشف عن العلاقات بين الطوائف المختلفة وطبقات الحكام وطائفة العلماء .

المطلب الأول

الحالة السياسية

السياسة الداخلية بإجمال :

أ/ سقوط بغداد علي أيدي التتار بقيادة هولاكو .

ب/ تبعية الشام لمصر في الحكم .

ج/ وضع الخلفية للمسلمين بالقاهرة .

د/ النزاع بين سلاطين المالليك علي السلطنة .

هـ/ موقف الشعب والعلماء من السلاطين ، وأثر ذلك في نفوس المسلمين وأفكارهم.

1/ سقوط بغداد علي أيدي التتار وأثره :

وهذا الحادث وإن كان سابقاً لمولد الخازن رحمه الله – لأن ولادته كانت سنة ثمان وسبعون وستمائة هجرية أي بعد سقوط بغداد بأثنتي وعشرون سنة ، ولكن كان له أثر في خلق التحمس الديني نتيجة لما كان عليه الخلفاء من الغفلة واللهو ، فقد أخذ العلماء ، الحكام بعد هذا الحدث موقف جعلهم يقفون لهم بالمرصاد فلم يتهاونوا لهم في حقوق الأمة .

ومني العَالَمْ بنكبة وحادث زلزل كيانه شرقاً وغرباً ففي عام ستة وخمسين وستمائة هجرية 656 هـ سقطت بغداد (حاضرة العالم الإسلامي وقتل الخليفة آنذاك المعتصم بالله وأريقت دماء الأبرياء وأمر هولاكو بضرب أعناق العلماء والفقهاء ، وإستمر القتل والنهب في بغداد بضعة وثلاثين يوماً ، ثم أمر هولاكو بعد القتلي فبلغ آلاف ، ألف [1] وثمانمائة الف وكسراً) .

وهذا الحادث الجلل غير وجه التاريخ الإسلامي وأيقظ المسلمون من غفوتهم الطويلة ، فايقوا أن يسلم أمرهم للحكام دون مناقشتهم فيما يأتون من الأحكام الجائرة واللهو كل ذلك هو الذي أطمع عدوهم وكان سبباً في كسر شوكتهم ، ومن يقرأ كتب التاريخ يرى مواقف مشرفة وقفها العلماء أمام الحكماء حتى هابوهم وأخذوا بإرشادتهم فيما يحكمون . وقد كان الظاهر بيبرس خاضعاً

[1] النجومي الزاهرة لابن نغري 5/7 الطبعة الاولي ، دار الكتب المصرية ، بدون تاريخ

لكلمة الشيخ عز الدين بن عبد السلام [1] ، ولا يستطيع الخروج عن رأيه حتى أنه لما مات قال (ما إستقر ملكي إلا الآن) .

2/ تبعية الشام لمصر في الحكم : –

وما كانت مطامع التتار لتقف عند هذا الحد ولم ترثوا نفوسهم بالدماء التي أراقوها بل أخذوا يغيرون علي بلاد الشام حتى وصلوا فيما إلي عزة فأصاب الخوف والهلع قلوب الشاميين ، ولكن إرادة الله ورحمته بعباده تأبي [2] إلا أن توقف طغيان هؤلاء الغزاة الذين غلبت عليهم الهمجية والضلالة العمياء علي يد السلطان (قطز) سلطان مصر الذي التقي بالتتار في عين جالوت عام 658هـ [3] وأشتد القتال بين الطرفين حتى أن (قطز) كان يقاتل بنفسه ويحث علي الجهاد ويبشر الصابرين بالجنة ، أسفرت الحرب عن هزيمة التتار شر الهزيمة ولم تقم لهم قائمة بعد هذه المعركة ، وقد خرج الناس بهذا ودخل قطز مدينة دمشق ترفرف حوله الأعلام وتهتف له الألسنه بالدوام والبقاء .

كان هذا تمهيداً لأن يتولى قطز حكم الشام إلي جانب حكم مصر فجاءه حكم الشام وأعلنو له ولاءهم وبهذا خضعت مصر والشام لحكم واحد كان يقيم في مصر وينوب عنه حاكم في الشام مع هذا فالملك المظفر قطز هو أول من حكم البلاد الشامية وظل حاكما إلي أن قتل الظاهر بيبرس في ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة هجرية 856 هـ ثم خلفه الملك الظاهر (بيبرس بن عبد الله البندقداري) سلطان الديار المصرية والشامية والحجازية إلي أن توفي في محرم سنة ست وسبعين وستمائة هجرية 676 هـ [4] .

تنصيب خليفة للمسلمين في القاهرة :

وبعد أن إستتب الأمر للظاهر بيبرس في مصر والنيابة علي الشام حرص علي تنصيب خليفة من بني العباس ليظهر بمظهر حامي الإسلام وليستمد سلطته منه فتكون شرعية لا مجال فيها للإعتراض عليها ، فما أن علم أن أحد بني العباس وهو (أبو القاسم أحمد) وصل إلي دمشق حتى أوصي نوابه بإكرامه وإحضاره إلي القاهرة في 8 رجب سنة تسع وخمسين و ستمائه هجرية 659هـ [5] .

---

[1] ابن القيم الجوزيه منهجه وعصره ، د / عبد العظيم شرف الدين ، الطبعة الثانية 1387هـ / 1967، النشر مكتبات الكتيبات الزهرية ، ص (14)

[2] - من كتاب نجوم الزاهرة لابن تقري يروي ، 77/7

[3] عين جالوت : اسم الاعجمي لاينصرف وهي بلدة لطيفة في بيان ونابلس من اعمال فلسطين ذكره معجم البلدان الياقوت ، صنعه لينندح 1867م ، 3546م

[4] - النجوم الزاهرة ، 943

[5] السلوك للمقريزي ، ج1 القسم الثاني ، ص448 - 449

فلما وصل إلي القاهرة أستقبله السلطان ، وقاضي القضاه (تاج الدين عبد الوهاب بن الأعز) والعلماء ، والمؤذنون واليهود والنصارى وعقدوا له مجلساً بالقلعة حضره (عز الدين بن عبد السلام) وغيره من العرب القادمين مع أبي القاسم ، فلما ثبت نسبه بايعه قاضي القضاه – ثم بايعه السلطان [1] وكل من كان في المحضر ، وبهذا تم للظاهر بيبرس ما أراد من تنصيب خليفة من بني العباس .

وكانت الخلافة فيهم متوارثة منذ أن أنتقلوا من بغداد وقلدهم المماليك منصب الخلافة بالقاهرة ليكونوا مظهراً من مظاهر شرعية حكمهم ، وكان منصب الخلافة شكلياً إلي حد كبير الخليفة ليس له حل ولا عقد بجانب السلطان الذي يكون دائماً من المماليك ، وأقتصر دور الخليفة علي تولية كل سلطان جديد مراعاة للشرعية شكلاً لأن المفروض أن يستمد الولاة جميعاً سلطتهم من الخليفة الذي يمثل قمة الحكم في النظام الإسلامي كان هذا هو الوضع بالنسبة للقاهرة .

أما الشام فقد قسمت إلي ست نيابات لكل منها نائب يعينه السلطان وكان أكبر هؤلاء هو نائب دمشق إلي درجة أنه يسمي نائب الشام .

النزاع بين سلاطين المماليك علي السلطنة :-

وكان التنافس بين أمراء المماليك واضحاً في هذه الفترة ولذلك تميز العصر بعدم الإستقرار السياسي ، غير أن الفترة التي عاشها الخازن – رحمه الله – قد تميزت بنوع ما من الإستقرار لأن معظم حياته كانت في حكم الناصر (محمد بن قلاوون) وهو من أشهر سلاطين المماليك الذين عاصرهم الخازن حين شب عن الطوق وبلغ من العمر ستة عشر عاماً .

فقد عاصر (الأشرف بن قلاوون) عام 693هـ ثلاث وتسعون وستمائه هجرية ثم تولي السلطنة أخوه الملك الناصر (محمد بن قلاوون) وكان له من العمر تسع سنين ، ولكن أحد مماليكه ثار عليه وخلفه وتولي مكانه ، وهو السلطان (كتبغا) الذي تولي عام أربع وتسعين و ستمائه 694هـ ، من بعده [2] (حسام الدين لاجين) عام ست وتسعين و ستمائه هجرية 696هـ .

لكن الناصر (محمد بن قلاوون) عاد سنة 698هـ ثمان وتسعين وستمائه هجرية بناء علي طلب أمراء المماليك الذين إجتمعوا وكان بالكرك فعاد وتولي السلطنة للمرة الثانية [3] .

---

[1] النجوم الزاهرة ، 110/7

[2] استخلصت كل الكلام من بدائع في وقائع الدهور – محمد بن احمد بن اياس الحنفي المتوفي في عام 930هـ (من ص129 – 136)

[3] بدائع الزهور لابن اياس ، ج1 ، ص141

وفي عهد الناصر (محمد بن قلاوون) عام تسعة وتسعين وستمائة هجرية 699هـ حدث هجوم (غازان) ملك التتار سفير (هولاكو) الذي زحف إلي الفرات في جموع كثيفة ، فخرج إلي قتاله الناصر محمد ، وحدثت معركة إنتصر فيها التتار ، وهزم السلطان وجنوده فكر السلطان راجعاً إلي مصر ولكن لا يخفي علي عاقل إن (غازان) قد هاجم الشام وأقام فيها السلب والنهب فتشاور أهل الشام إلي الخروج إلي ملك التتار لطلب الأمان وكان من بينهم تقي الدين (إبن تيمية الحراني الدمشقي)[1] ولكن الناصر إستجمع قوته وعاد الكره مرة أخرى مع من معه من أهل مصر والشام وغيرهم من العربان ، ووقعت معركة ضارية بين الفريقين (مرج راهط) أسفرت عن إنتصار (محمد) ومن معه .

بيد أن الأمور لم تستقر علي هذا المنوال فقد إنفرد بالسلطة في غيابه – أي (الناصر محمد) – نائباه (سلار) و(بيرس الجاشنكير)[2] حتي إضراره إلي أن يخلع نفسه ، وتولي بعده بيبرس عام (708هـ) وقد حاول بيبرس أن يضيق علي (الناصر) الخناق لكن الأخير يعرف من أين تؤكل الكتف ، فقد دعا نواب الشام إلي الوقوف لجانبه وذكرهم بضيع أبيه – وماله عليهم من حق العتق .

فاجتمعوا حوله وجميع ممالكهم – فلما رأي بيبرس كثرة أنصاره عمد إلي الرأي السليم فتنازل له عن السلطنة وخلع نفسه فدخلها الناصر (محمد بن قلاوون) .

وإستتب له الأمر سنة 709هـ وإمتدت فترة حكمه حتي توفي سنة إحدي وأربعين وسبعمائه للهجرة 741هـ وهي نفس السنة التي توفي الخازن فيها – رحمه الله .

ولنعد بلمحة سريعة إلي الشام ونوابها – وهو أكثر ما يهمنا – فقد ذكرنا سابقاً أن نائبها يعين من قبل السلطان – ويقال أن أحد هؤلاء النواب وهو (قفجق) هرب مع جماعة من المماليك خوفاً من السلطان (لاجين) وذهبوا إلي (غازان) ملك التتار وحرضوه علي غزو الشام هروبه عام 697هـ [3] وقد تولي بعده مملوك يعرف بـ (أقوش الأقزم) خلعه السلطان سنة إحدي عشرة وسبعمائة (711هـ) وقد كان هذا النائب الجديد الذي تولي بعد (أقوش) يدعي (كرأي المنصوري) فحكم مدة يسيره إلا أن السلطان قبض عليه – أي كرأي– وأعاد (أقوش) إلي نيابة الشام [4] .

---

[1] المرجع السابق ، 141/1
[2] المرجع السابق 149/1
[3] بدائع الزهور لابن اياس ، مرجع سابق 137/1
[4] المرجع السابق ، 137/1

غير أن أكثر نواب الشام هو (تنكر الحسامي) الذي عينه (الناصر محمد) عام 711هـ ، وقد كان هذا النائب مقرباً من السلطان حتي إنه تزوج إبنته وأمتدت نيابته مدة ثمانية وعشرين عاماً ، حتي خلعه السلطان عام أربعين وسبعمائه (740هـ) عندما ساءت العلاقة بينهما .

والذي أريد أن أشير إليه بعد إطلاعي علي تاريخ هذه الفترة – أي الشام – أن هؤلاء النواب كانوا يمثلون الطبقة الثرية ويعيشون في بزخ وترف وأكبر دلالة علي ذلك ما قاله إبن إياس في الأموال التي وجدت عند (تنكر الحسامي) عندما صادر السلطان أمواله .

و وجد عنده من الذهب العيني ثلاثمائه الف دينار وستون الف دينار ومن الفضة النقدية الف درهم وخمسمائه الف درهم ووجد له من الفصوص وإلياقوت واللؤلؤ الكبار ثلاثة صناديق ، ووجد عنده من الطراز المزركش ، والخلع الأطلسي وأخرى غير ذلك مائة وخمسون بقجة [1].

مهما تكن المبالغة في التقدير فإن ذلك يعكس الثراء الفاحش الذي عاش فيه الحكام وهو ثراء مقترن بالظلم و إستغلال السلطة لا شك في ذلك وإلا فإن هذه الأموال الطائله لم يحصل عليها إلا باستغلال ومص دماء الشعب .

ثانياً : السياسة الخارجية :-

وتتمثل في ناحيتين بارزتين :

أ/ علاقة المسلمين بالصليبيين :-

لقد إتصل المسلمون بالصليبيين وقت الحروب الصليبية وكان الدافع لهذه الحروب دوافع إقتصادية ، منها سوء الحالة الإقتصادية في أوربا حتي أصبحوا في عوز وفقر فأوهمهم رؤساؤهم أن الشرق بلاد الخيرات وأن أرضهم تقطر سمناً وعسلاً .

كما أن صاحب القسطنطينية ضاق ذرعاً من المعاملة التي كان يتلقاها من السلاجقة من كثرة الضرائب وسوء المعاملة ، فأستغاث بالبابا ووعده بالدخول في كنيسته والتخلي عن أرثوذكسيته [2]

أضف إلي هذه الأسباب سبب أخر هو شكوى الحجاج المسيحيين من سوء المعاملة التي يعاملون بها في بيت المقدس ، وهذه لاشك في خطئه ، وقد بينه المؤرخ الشهير بردناري عندما شهد بإستقرار السلام فقال (إن السلام سائد فوق تلك الربوع بين النصارى والمسلمين حتى إنني

[1] المرجع السابق 173/1

[2] الإسلام والحضارة العربية ، محمد كرد ، طبعة دار الكتب المصرية 1934م ، ص276

لو كنت مسافراً ، وفلت بعيري أو حماري الذي ينقل أمتعتي علي الطريق وتركتهما كلها دون حارس ولا رقيب وسرت إلي أقرب مدينة لأجلب لي بعيراً أو حماراً أخر لوجدت عند عودتي أنها باقية علي ما هي لم يمسها أحد)[1] .

لهذه الأسباب لبى المسيحيون دعوة البابا فجاءت الحملة الأولي وإستولت علي الرما ، ثم أستولت علي القدس وأهلكت أهلها ، ولم ينج مسلم ولا يهودي إلا قتل ، ولبث الفرنج يقتلون في المسلمين بالقدس إسبوعاً وقتل من المسلمين بالمسجد الأقصى ما يزيد علي سبعين ألف من جماعة المسلمين وعلمائهم وفقهائهم [2] .

نجحت هذه الحملة وكونت أربع أمارات : القدس ، إنطاكية ، أرما ، طرابلس [3] ، والحقيقة أن السبب الأكبر لنجاح هذه الحملة هو ضعف المسلمين وغفلتهم وراء شهواتهم ، وأتباعهم لرغبات الحكام والخلفاء ، إلا أنه في عام (539 هـ) تمكن (عماد الدين زنكي) من فتح الرما وبهذا قضي علي إمارة الشمال الصليبية .

وكذلك تمكن (صلاح الدين الأيوبي) عام ثلاث وثمانين وخمسمائة هجرية 583هـ من إنتزاع بيت المقدس من الصليبيين ، وعاملهم أحسن معاملة ، إختلفت كثيراً عن معاملاتهم عندما دخلوا بيت المقدس المرة الأولي ، ولا عجب في ذلك فإن هذه روح الإسلام من قوله صلي الله عليه وسلم (أذهبوا فأنتم الطلقاء)[4] .

ولكن الشيء الذي يؤسف له أن الصليبيين أخذوا بيت المقدس مرة أخرى عام خمس وعشرين وستمائة للهجرة 625هـ ، وكان ذلك علي يد (الكامل) إبن أخ (صلاح الدين الأيوبي)[5] .

والذي يوضح هذه الحقيقة شهاب الدين المقدسي بقوله : (جاء الخبر بأن الكامل سلم بيت المقدس إلي الفرنجة وصالحهم علي ذلك ، وعلي بعض القري) .

فهذا العمل المشين من الأسباب التي غيرت في قلوب أهل دمشق علي الكامل ومن معه .

ظل الأمر علي هذا الوضوح حتي جاء (بيبرس) سلطان علي مصر والشام فاشتبك مع الصليبيين ، وضرب المدن التي استولوا عليها وحاصر (قيسارية) فسقطت بعد خمسة أيام ، وهاجم (أنطاكية) فسلمت الحامية ، وأشتعلت النيران في معاقلهم وصارت أثراً بعد عين .

---

[1] الإسلام والحضارة العربية – محمد كرد – طبعة دار الكتب المصرية – 1934م – ص276

[2] خطط الشام ، للمغريزي ، مطبعة النيل 1325هـ ، 282/1

[3] المرجع السابق ، 282/1

[4] مصنف بن أبي شيبة ، باب المسلم يدخل دار الحرب ، ط ، الدراسات والبحوث ، دار الفكر : 250/7 بدون تاريخ .

[5] خطط الشام للمغريزي / 127/20

وفتحت طرابلس في عهد (المنصور قلاوون) عام ثمان وثمانين وستمائه هجرية 688هـ ثم جاء بعده إبنه (صلاح الدين خليل) ، فسار سير والده في مناداتهم فخرت صيداً وإستولى علي صور وبيروت – وهدم عكا حتي أصبحت خراباً علي أن أخر محاولة بذلها الصليبيون كانت علي يد لويس فرنسا فجاء إلي دمياط إلا أنه هزم هزيمة منكرة في المنصورة وأخذ أسيراً هو ومن معه من الجنود[1] .

وبذلك إنتهت الحروب الصليبية التي إستمرت قرابة قرنين من الزمان 490 – 690هـ وقد خرج منها المسلمون وقد صهرتهم التجربة ، لأنهم التقوا بالفرنجة في ساحات الوغي ، وقد خلقت هذه الحروب في نفوسهم روح الإستبسال والتضحية وخلعت عنهم ثوب الخمول والكسل ، ونفت هذه الأقاويل التي كانت تقول بأنهم قساة القلوب ، ورجع الألوف من الصليبيين إلي أوربا وألسنتهم تلج بالمدح والثناء عليهم وأنهم أهل مروءة ومحبة .

ب/ علاقة المسلمين بالتتار :-

وهذا الأمر يتصل بالتتار الذين إكتسحوا بغداد عام 656هـ وسلبوا ونهبوا وعملوا أعمالاً يقشعر لها البدن ، ويشيب لها الطفل الوليد .

وهؤلاء التتار إكتسحوا شرق العالم الإسلامي وهم كفار ، وثنيون وقد صدهم المماليك في معركتين قاسيتين بالشام هما (عين جالوت) و (بيان) لكن هؤلاء التتار أخذوا يعادون الزحف بعد ذلك بالرغم من أنهم دخلوا الإسلام ، وقد أدي ذلك سلاطين المماليك إلي تجهيز الجيوش لمقاومتهم ، وقد هزم المماليك أمام التتار في موقعة (الخازندار) وفي موقعة حمص .

وخرج العلماء منهم إبن تيمية يطلبون الأمان من (غازان) قائدهم لكن السلطان الناصر جمع عدته ورجاله والتقي بهم في (المرج) وكان بالجيش إبن تيمية يحرض المقاتلين ، ويرغبهم في الجهاد ، وقد هزم التتار هزيمة ساحقة ولم تقم لغازان بعدها قائمة وقد حضر الموقعة الناصر محمد والخليفة وبعض الفقهاء وكانوا يسيرون بين الجيوش يحثونهم علي القتال [2] .

أثر هاتين العلاقتين في نفوس المسلمين :-

هذه الحروب أثرت في الحياة العامة فالناس بعد إنتصار يعتدون بأنفسهم ويتطلعون إلي مزيد من الحرية السياسية وحرية الفكر ، وتظهر الحرية السياسية في طبيعة علاقة الحكام بالمحكومين ،

[1] راجع كتاب ابن القيم الجوزية ، د . عبدالعظيم شرف الدين ، ص33 ، نقل عن تراجم رجال الفرنجة السادس والسابع ، ص154

[2] يتصرف من كتاب ابن القيم الجوزية – جهوده في الدرس اللغوي ، د/ طاهر سليمان حمودة – الناشر دار الجامعات المصرية ، ص29

فالمحكمون لا يستسلمون دائماً لما يمليه الحكام بل يناقشونهم ويراجعونهم والمعبرون عن رغبات الشعب كذلك هم الفقهاء لأنهم حملة شرع الله الذي هو ميزان عادل لجميع أنواع العلاقات ، وكثيراً ما كان الفقهاء يمتنعون عن إفتاء الحكام بما يرغبون فيه عندما يرون ذلك مخالفاً للشرع أو للمصلحة العامة ولا أدل من ذلك أن الظاهر (بيبرس) ظلم أهل الشام غير مرة وأفتاه جماعة بما يوافق هواه فقام الشيخ (محي الدين النووي) في وجهه وأنكر عليه ذلك وقال : (أفتوك بالباطل)[1] .

ومن مواقف (عزالدين بن عبدالسلام)[2] المشرفة أنه أعلن أن بعض الأمراء لا يزال رقيقاً وأن تصرفاتهم ملغية إلا إذا بيعوا وأعتقوا ، ووضع ثمنهم في بيت المال ، وكان من هؤلاء الأمراء نائب السلطنة فهاج وماج وأرغي ، وأزيد ولكن دون جدوي – فقد تم ما أراد الشيخ (عزالدين بن عبدالسلام) .

ووقف الشيخ عزالدين يبيعهم في مزاد علني ، وغلى في ثمنهم ، ووضع ثمنهم في بيت مال المسلمين .

هذه الحرية في معالجة الأمور تجاوزت دائرة الأمور السياسية إذ الحرية الفكرية ، وظهر أثر ذلك في الأبحاث العلمية ، وإن كان قليلاً نسبياً ، إلا أنه وجد بعض العلماء الذين هاجموا التقليد ، ودعوا إلي الإجتهاد ، وإنتقدوا التعصب لمذهب من المذاهب الفقهيه دون تبصر أو روية ، أو مناقشة موضوعية للمذاهب الأخرى دون الإستناد إلي الأدلة المعتبرة [3] .

ولعل خير من يمثل حرية الفكر ، لذلك العهد – إبن تيمية وإبن القيم اللذان كلفتهما هذه الحرية بنوعيها السياسي والفكري من العناء في حياتهما فأصيب إبن تيمية بكثير من الأذى والطرد والسجن ، وكذلك تلميذه إبن القيم تعرض لكثير من الأذى والتضييق والعنف ، وكذلك هذه الحرية من الناحية السياسية ظهر أثرها في أبحاث (الخازن) كالجهاد مثلاً فهو – رحمه الله – وإن لم يجاهد بلسان القول والفعل كابن تيمية – رحمه الله – إلا أنه جاهد بلسانه وقلمه فهو قد ذكر الجهاد في تفسيره مرات عديدة ، وحث عليه وحكمه إلي غير ذلك من الأمور الفقهيه ، ويتضح ذلك بالرجوع إلي تفسيره .

[1] حسن المحاضر في اخبار مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي ، المطبعة الشرقية ، ج2 ، ص66
[2] طبقات الشافعية تاج الدين ابي نصر عبدالوهاب بن تقي الدين السبكي ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة – بيروت ، لبنان ، 84/5 ، 85
[3] تفسير الخازن ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، 393/1

وكذلك ظهر أثر الحرية الفكرية في تفسيره في مجال الأحكام الفقهيه فهو يحاول كثيراً أن لا يتعصب لمذهب – وإن كان هو شافعي المذهب إلا أنه لا يرجح مذهبه إلا بالأدلة القاطعة والمناقشة الموضوعية ، وإن رأى أن الحق في خلاف مذهبه جانب مذهبه وناصر ما يري أنه الحق وستظهر تلك الناحية عندما نتعرض لموقفة من المسائل الفقهيه .

المطلب الثاني

الخصائص العلمية

شهد هذا العصر الذي ولد فيه (الخازن) نهضة علمية كبيرة ، ولقد تميز هذا العصر كذلك بكثرة مؤلفاته العلمية التي إتسم كثيراً منها الموسوعية ، وكثرة التأليف لم تكن ناتجة عن رغبة في إحياء ما إندرس ببغداد من المؤلفات العلمية فحسب ، بل كان لها عوامل كثيرة منها نضج كثير من العلوم ، وإحتراق بعضها من كثرة ما ألف فيه ووضع من متون وشروح ، فلقد أنتج هذا العصر آلاف الكتب والرسائل وأشتهر كثير من رجالات هذا العصر بكثرة التأليف ، فابن تيمية مثلاً زادت مؤلفاته علي خمسمائة وإبن حجر العسقلاني الذي ألف كثير من الكتب وهو من علماء القرن الثامن الهجري ، زادت مؤلفاته علي مائة وخمسين مؤلفاً فيها مؤلفات مطولة كشرحه المعروف (فتح الباري) علي صحيح البخاري .

وكثرت المنظومات التعليمية وإشتهرت منها ألفيه الحافظ العراقي في علوم الحديث ، وألفية إبن مالك في النحو وغيرها إلي غير ذلك من المؤلفات الأخرى في شتي أنواع العلوم .

وفي هذا المبحث سنستعرض المجالات العلمية في ذلك العصر الذي عاش فيه الخازن ومدى تنوعها وإلي أي حد كان تأثره به فنقول وبالله التوفيق .

المجالات التعليمية في ذلك العصر :-

وجد في هذا العصر معاهد للدروس ، وقد كثرت هذه المجالات وتعددت أنواعها وأشكالها فهناك المساجد التي يلقي فيها العلماء دروسهم المتخصصة ، بالإضافة إلي كثرة المدارس الموجودة في كل من الإقليمين مصر والشام .

وكذلك وجدت الخوانق والربط التي كان يقيم فيها جماعة المتصوفة الذين ينقطعون للعباده ، وتجري عليهم الأرزاق من أوقافها الموجودة آنذاك علي سبيل المثال لا الحصر ، وسنتحدث عن بعض المساجد وقد أشتهرت من هذه المساجد في القاهرة .

أولاً : جامع عمرو بن العاص :-

وهو أول مسجد أسس بالديار المصرية [1] بمدينة القسطاط ، وأول من زاد في هذا المسجد (سلمه بن مخلد) عام ثلاث وخمسين هجرية 53هـ وفي سنة 702هـ أشار (سلار) وهو نائب السلطان الناصر (محمد بن قلاوون) إلي عمارة هذا المسجد ، وكان بالجامع عدة زوايا يدرس فيها الفقه **منها :-**

زاوية الإمام الشافعي يقال أنه درس الشافعي فعرفت به ، ومنها الزاوية المجدية ، والمعينة ، والكمالية ، إلي غيرها من الزوايا التي كانت يدرَّس بها .

ثانياً : الجامع الأزهر :-

أنشاه القائد المظفر (جوهر الصقلي)[2] فابتدأ في بنائه سنة تسع وخمسين وثلاثمائه هجرية وأتمه سنة إحدى وستين وسبعمائة هجرية 761هـ ، عمر الأمير (سعد الدين بشير) الجامع ورتب فيه ولا يزال في المسجد كثيراً من الفقهاء يلازمون الإقامة ولا يزال الجامع عامراً بتلاوة القرآن ودراسته وتلقينه ، وتدرس فيه جميع أنواع العلوم من الفقه والحديث ، والتفسير ، ومجالس الوعظ والذكر ، فيحس الإنسان فيه بالراحة والإنس بالله ما لا يجده في غيره وصار أرباب الأموال يقصدون هذا المسجد بالهبات والصدقات والفلوس .

ثالثاً : المدارس :-

لقد كثرت المدارس في هذا العهد ، وقصدها الطلاب لأجل الدراسة والعلم وسأذكر بعضاً منها علي سبيل المثال لا الحصر :-

أولاً : المدرسة الظاهرية : [3] تنسب إلي الظاهر (بيبرس البندقداري) إبتدأ في عمارتها سنة ستين وستمائة هجرية 660هـ . ويوم أن أنتهى بنائها جاءت في كل طائفة منهم في إيوان خاص بها فجلس أهل الفقه في جهة منها وكذلك أهل الحديث ، وأهل القرآءآت . جلست كل طائفة مع شيخها الذي يدرسها ، وقد أنشأ بها خزأنه كتب تشتمل علي أمهات الكتب في سائر العلوم ، وبني بجانبها مكتباً لتعليم أيتام المسلمين ثم عين لهم العطايا والكسوة والأرزاق .

---

[1] الخطط للمقريزي 2/4

[2] الخطط للمقريزي 94/4

[3] المرجع السابق 216/4 ، 217 ، 218

ثانياً : المدرسة المنصورية :-

يقال أنها نسبت إلي (المنصور قلاوون)[1] الذي أنشأها علي يد الأمير (سنجر الشجاعي) ووضع بها درساً للفقه علي المذاهب الأربعة ويدرس بها الطب أيضاً ، وهذه المدرسة لاتختار من المدرسين إلا المشاهير وهي بشارع النحاسين تجاه المدرسة الكاميلية .

ثالثاً : الخوانق والربط :-

الخوانق : جمع خانقاه ، وهي كلمة فارسية معناها بيت ، وقيل ، أصلها خونقاه : أي الموضع الذي يأكل فيه الملك .

يقول الدكتور عبدالعظيم شرف الدين (وقد إتصلت بالأستاذ عامر المهندس أستاذ اللغة الفارسية ، وسألته عن أصل الخوانق ؟ فاجب خانقاه خوانقا (بجيم ظاهرية) ديار أو منزل أو معبد ودخلت بإسم العامية بإسم خانكاه والخوانق حدثت في الإسلام في حدود الأربعمائة من الهجرة وجعلت لتخلي الصوفية فيها لعباده الله [2] .

والخوانق : هي التي تسكنها الصوفية وتعطي لهم الأرزاق فيها والهبات ويشرف عليها العلماء الذين ينشرون العلم فيمن يأتون إليها .

أما الروابط ، فهي جمع رباط [3] وهي بيت الصوفية فالجماعة يربطون فيها لقصد واحد وهو العلم والعباده وإتخاذ الربط وقد ورد في السنة أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قد أتحذ للفقراء من الصحابة الذين لا مأوي لهم مكاناً من مسجده يقيمون به عرفوا بأهل الصفة .

[1] المرجع السابق 218/4
[2] الخطط للمقريزية 217/4 ، 272 ، 283
[3] المرجع السابق 293/4

ومن الخوانق والروابط الموجودة في مصر والتي أشتهرت بالعلم والدراسة ما يأتي :-

1- خانقاه ركن الدين – بيبرس :-

وهي بجانب مكتب الجمالية [1] بناها (بيبرس) سنة ست وسبعمائة هجرية 706هـ ، وبني بجانبه رباطاً ، وفيه بني قبره ، ولما كملت سنة تسع وسبعمائة للهجرة 709 هـ .

قرر بالخانقاه أربعمئة (400) صوفي ، وبالروابط مائة من الجند وأبناء الفقراء وجعل بها مطبخاً يطبخ فيه كل يوم اللحم والطعام والخبز ، ووضع بالقبة درساً للحديث النبوي .

وهذه المدرسة قد أغلقت في عهد السلطان الناصر (محمد بن قلاوون) حين خلع بيبرس ولم تفتح إلا في عام ست وعشرين وسبعمائة هجرية 726 هـ .

2- رباط البغدادية :ـ

وهذا الرباط [2] بنته بنت (الظاهر بيبرس) سنة 684 هـ للشيخة الصالحة (زينب إبنة أبي البركات) المعروفة ببنت البغدادية وكان دائماً يوضع لهذا الرباط شيخة فقط تحفظ النساء وتفقههن في أمور دينهن ، وقد أنتهي أمر هذا الرباط سنة 608 هـ ، ووضع مكانه الحوانيت المتسعة .

3- دمشق في عصر الخازن :ـ

تميزت دمشق في عصر الخازن وما بعده بالإزدهار العمراني حتى أن ياقوت صاحب معجم البلدان قال فيها : (ومن الخصائص التي ليس في بلد أخر مثلها كثيرة الأنهار وجريان الماء من قنواتها فقل أن تمر بحائط إلا والماء يخرج منه في أنبوب إلي حوض يشرب منه ، ويسقي الوارد والصادر ، وما رأيت مسجداً ولا مدرسة ولا خانقاه إلا والماء يجري في بركة في صحت هذا المكان [3] وجملة الأمر أنه وصفها بتقدم الحضارة والعمران إلي درجة قل أن توجد مدينة أخرى مثلها ، ولا شك أن هذا الإزدهار العمراني كان مقروناً بالتقدم العلمي فقد كثر في هذه المدينة المساجد والمدارس والخوانق .

---

[1] المرجع السابق 276/4 ، 277

[2] الخطط المقريزية ، مرجع سابق ، 293/4

[3] معجم البلدان ، لياقوت الحموي ، مطبعة بيروت 1376 هـ - 1957م – ص590

ويؤيد ما ذكره ياقوت ما قاله القلقشندي حيث وصفها فقال : مدينة حسنة الترتيب جميلة الأبنية ، ذات حواجز بنين من جهاتها الأربع وتحوطتها أحد مستلزمات الدنيا العجيبة المفضلة علي سائر مستلزمات الأرض وبها الجوامع والمدارس والخوانق والربط والزوأي والأسواق المرتبة ، والديار الجميلة المذهبه السقف المفروشة بالرخام المنوع ، ذات البرك ، والماء الجاري ... [1] .

علي أن هذه النهضة العلمية لم تقتصر علي دمشق وحدها بل تعدتها إلي ضحايتها المجاورة المسماة (بالصالحية) وهي مدينة علي سفح جبل محاذ لدمشق وغواطتها ، ذات بيوت ومدارس وأسواق وبيوت جميلة ، وبأعاليها [2] مع ذيل الجبل مقابر دمشق العامة .

ويحسن بنا أن نشير إلي بعض المدارس المشهورة التي كانت موجودة في عهد (الخازن) في مدينة دمشق .

أ/ **المدرسة الظاهرية** : بناها الظاهر [3] (بيبرس) عام 670هـ ، أي قبل مولد الخازن بثمان سنين ، وكان القائم بالدراسة فيها (صدر الدين سليمان من الحنفية) وكان معروفاً بجرأته في الحق وزهده وورعه ، وقد أستمرت هذه المدرسة فترة طويلة تقوم بمسؤليتها خير قيام .

ب/ **المدرسة العادلية** : وهي بداخل دمشق [4] تجاه باب الظاهرية ، وكان يفصل بينهما الطريق ، بدأ في إنشائها في عهد نورالدين (محمود زنكي) وبني بعضها في عهد الملك العادل وإليه تنسب ، وقد أتمها إبنه الملك المعظم ، ورصد لها أوقافاً كثيرة ، وكان يلي التدريس بها مشاهير العلماء كقاضي القضاة ، وممن درس بها علي عهد الخازن – رحمه الله – قاضي القضاة (تقي الدين السبكي ثم ولده أحمد قاضي القضاة ثم درج بها أخوه تاج الدين قاضي القضاة) .

ج/ **المدرسة الجوزيه** : بناها (محي الدين)[5] بن الحافظ أبي الفرج من الجوزي بسوق القمح بدمشق ويبدو أنها كانت عامرة تؤدي دورها علي عهد إبن القيم الذي كان والده قيماً عليها ، وكان هو يلي إقامة الصلاة ، وقد آل أمر هذه المدرسة أخيراً إلي أن صارت محكمة عام 1327هـ ، وأن رسومها كانت باقية إلي وقت قريب ثم حولت إلي مدرسة لتعليم الأطفال ثم إحترقت هذه المدرسة أخيراً في الثورة السورية .

---

[1] صحيح الأعشي القلقسندي – 94/4 ، 95

[2] انظر ابن القيم الجوزية عصره ومنهجه ، د/ عبدالعظيم شرف الدين عن كتاب الدارس في تاريخ المدارس 359/1 ، مطبعة الترقي بدمشق

[3] انظر ابن قيم الجوزية عصره ومنهجه ، مرجع سابق ، 359/1 ، 362 ، 363

[4] صحيح الأعشي القلشندي 93/92/4 ، طبعه وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

[5] عن كتاب ابن القيم الجوزية وجهوده في الدرس اللغوي ، د/ طاهر حمودة ، ص24

المؤلفات :-

وقد ظهر في هذا العصر نتيجة لهذه الطفرة العلمية كثير من المؤلفات العلمية في الشريعة الإسلامية ، واللغة العربية ، فوجدت كتب في شتي أنواع العلوم من فقه ، وتفسير ، وتاريخ ، وعقائد ، وتصوف، فمن جملة المؤلفات في العقائد في ذلك العصر ما ألفه إبن تيمية المتوفي سنة 728هـ ، ومنها كتاب الإيمان [1] – ومنها كتاب الإستقامة وإقتضاء الصراط المستقيم ، وكتاب الفرقان ورسائله ، الحموية ، والواسطية والتدمرية .

وكذلك كتاب (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) وهذا الكتاب جمع فيه بين المناقشة الخصبة والعلم الصحيح – فمن ناحية يشمل حقائق علمية فهو مرجع في بابه ، ومن ناحية أخرى جدل محكم ومنظرة جيدة وهو يقع في أربعة مجلدات ضخمة .

وله في الفقه كذلك كتب منها (الفتاوي)[2] وهذه عبارة عن فتاويه التي وضع بعض منها في الشام والبعض الأخر في (مصر) وجمعها في كلها في المجلدات الضخام ، ورسالة (الحسبة) وكتاب في نكاح المحلل ، وكتاب العقود ، إلي غيره من الأثار الفقهيه .

ومن مؤلفات إبن القيم المتوفي سنة 752هـ : شفاء العليل [3] في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، والصواعق المرسلة علي الجهمية والمعطلة ، والكافية الشافية في الإنتصار للفرقة الناجية ، وهذه الكتب كلها في العقيدة .

وله في التصوف : مدارج السالكين وهو شرح لكتاب منازل السائلين للهروي .

وله في الفقه والسير : زاد المعاد – وهو كتاب سيرة الرسول وغزواته وفيه إلي جانب ذلك أحكام فقهية قيمة .

ولا ننسي ما ألفه الشيخ الخازن – رحمه الله – من مؤلفات قيمة في التفسير والحديث والفقه ، والسيرة ، وهذا ما سنتعرض له – إن شاء الله – ولم يقتصر التأليف في هذا العصر ، علي العلوم الشرعية فحسب بل تعداها إلي علوم اللغة العربية ، لأنها تليها مباشرة في المرتبة ولما لها من الفضل من إجلاء العلوم الشرعية ، و إبراز معانيها في أوضح صورة ومن هذه الكتب الألفية

[1] ابن تيمية حياته وعصره ، اراؤه وفقهه ، محمد أبوزهرة ، مطبعة دار الفكر العربي ، ص512
[2] ابن تيمية ، محمد أبوزهرة ، ص520 ، 521
[3] كتاب ابن قيم الجوزية ، د/ عبدالعظيم شرف الدين ، ص75

لجمال الدين مالك الأندلسي [1] وهو صاحب كتاب الكافية الشافية ، وتسهيل الفوائد ، وتكميل المقاصد .

وظهر لجمال بن هشام المتوفى سنة 761 هـ ، كتاب (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) ، و (شذور الذهب) ، و (قطر الندي) ، و (الروضة الأدبية في شواهد علوم العربية)[2] .

وأما البلاغة : فقد كتب فيها من قبل أبو هلال العسكري صاحب كتاب (الصناعتين) والجرجاني صاحب كتاب (أسرار البلاغة ، ودلائل الإعجاز)[3] .

وفي عصر المماليك ظهر جلال الدين الغزويني المتوفي عام تسع وثلاثين وسبعمائة هجرية 739هـ ، فألف كتاب (تلخيص المفتاح ووضع له شرحاً سماه التوضيح) .

وأما كتب التراجم فمنها : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لشمس الدين أبي العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر من خلكان الشافعي ولد سنة ثمان وستمائة هجرية 608هـ ، وتوفي سنة 681هـ ، وأنتهي من تأليفه سنة 672هـ [4] .

والدرر الكافية في أعيان المائة الثامنة لإبن حجر العسقلاني المتوفي عام ثلاثة وسبعون وسبعمائة هجرية .

ومن كتب التاريخ العام : فمنها (المختصر في أخبار البشر) ألفه الملك المؤيد إسماعيل المعروف بأبي الفداء المتوفي عام 732هـ و (البداية والنهاية لإسماعيل أبي الفداء المتوفي عام أربع وسبعين وسبعمائة هجرية في أربعة عشر مجلداً)[5]

هذا الذي ذكرته من الكتب المؤلفة كل ذلك علي سبيل المثال بقصد الإبأنه عن التطور العلمي في ذلك العصر .

وليس ما ذكرته في هذه العلوم كل ما يوجد في ذلك العصر بل تعداه إلي بعض العلوم الأخرى كالطب والهندسة والسياسة و الإجتماع والتقويم فقد أخذت هذه العلوم من التأليف بقسط وافر فلن أستطرد في ذكر مؤلفات هذه العلوم حتى لا يطول بنا المقام .

---

[1] فوات الوفيات ، 227/2 ، 228 ، وهو محمد بن عبدالله بن مالك بن جمال الدين المتوفي سنة 672هـ

[2] حسن المحاضرة ، 230/1 ، 231 ، وجمال الدين هو جمال الدين عبدالله بن يوسف بن عبدالله المصري ، ومن مؤلفات موقد الأذهان وموقظ الوسان والأعراب عن قواعد الأعراب .

[3] ابن القيم الجوزية ، د/ عبدالعظيم شرف الدين ، ص58 ، نقلاً عن تاريخ اداب اللغة العربية .

[4] عبدالعظيم شرف الدين ، ابن قيم الجوزية ، ص58 نقلاً عن تاريخ اداب اللغة العربية ، لجورجي زيدان ، 158/3

[5] المرجع السابق

الحفاظ :-

كذلك وجد في هذا العصر كثير من الحفاظ الذين لهم عناية بحفظ الحديث ودراسته ، وهؤلاء مع علمهم وفضلهم لهم تأثير كبير في صبغ الدراسة صبغة خاصة تهتم بحديث الرسول – صلي الله عليه وسلم – لا تجانبها .

ومن هؤلاء :-

إبن دقيق العيد :- هو الإمام الفقيه المجتهد المحدث العلامة شيخ الإسلام محمد بن علي بن وهب من مطيع القشيري المنفلوطي الصعيدي المالكي ، ولد في شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة هجرية 625هـ بقرى ينبع الحجاز ، أحاط بالعلوم العربية والدين ، وقد رحل إلي مصر والشام .

صنف (شرح العمده) وكتاب (الإلمام) ، قال فيه الذهبي [1] : وكان من أذكياء زمانه ، وسمع العلم كثيراً ، كثير الكتب – مديماً للسهر ، وقوراً ورعاً ، قل أن تري العين مثله .

وقال الحافظ قطب الدين الجلبي : وكان الشيخ تقي الدين إمام أهل زمانه وممن فاق العلم والزهد علي أقرانه ، وكان آية في الحفظ والإتقان والتحري شديد الخوف من الله ، دائم الذكر لا ينام [2]

الدمياطي : هو شرف الدين [3] أبو محمد عبدالمؤمن بن خلف الشافعي ولد سنة 613هـ ، وتوفي سنة خمس وسبعمائة هجرية 705هـ ، قال المزني : ما رأيت في الحديث أحفظ منه وكان فقهياً نسابه يجيد العربية ، ويعرف الكثير من اللغة .

إبن شامة : الإمام الحافظ الحجة [4] الفقيه ، مقيد مصر شمس الدين محمد بن عبدالرحمن بن شامة الحنبلي روى عن إبن عبدالدائم ، وكتب الكثير ، وكان جيداً بمعرفة الحديث ، توفي في ذي القعدة سنة ثمان وسبعمائة هجرية 708هـ .

---

[1] الذهبي هو الإمام ابو عبدالله شمس الدين محمد الذهبي المتوفي سنة 748هـ ، أنظر : مقدمة كتاب تذكرة الحفاظ .
[2] تذكرة الحفاظ للذهبي ، 1481/3 – 1482 ، دار احياء التراث العربي .
[3] المرجع السابق ، 1477/3
[4] حسن المحاضرة ، السيوطي ، 150/1

ويعد هذا الشرح للحالة العلمية في ذلك العصر وما كانت عليه من الأزدهار ، وإحتراق معظم المعلومات وإنصاهرها وتحولها إلي مؤلفات علمية بالغة الأهمية في سائر أنواع العلوم ، ولا نغفل أن نذكر أن لهذه الوثبة أثر كبير علي عقلية الخازن وفكرة وذلك ما دفعه إلي طلب العلم في كل من دمشق وحلب وتنقله بين مساجدها وخوانقها ومدارسها حتي تهيأت له ثروة علمية ضخمة في شتي أنواع العلوم ، ومن ثم أنه أبرزها علي صورة مؤلفات في التفسير والحديث والفقه وغير ذلك .

المطلب الثالث

الأوضاع الإجتماعية

سأستعرض في حالة الأوضاع الإجتماعيه ناحيتين هامتين :

أ/ أصناف البشر وهي لا تخلو في أي أمة أو في أي شعب من الشعوب من كونها ثلاثة أصناف : ولاه ، وعلماء ، وشعب .

ب/ الخلافات المذهبية وأثرها علي المسلمين .

ج/ تأثير ذلك كله علي نفوس العلماء والمصلحين .

1/ أوضاع المجتمع في ذلك العصر :-

لقد بحث فيما سبق أن بلاد مصر والشام قد ولي أمرها طبقة من المماليك وتلك الطبقة بالذات قد أرضت نزعتها فعاشت عيشة الترف والبذخ ، وقد أستغلت نفوذها فتمتعت بخيرات تلك البلاد الخضراء ، وكان خير معين لهم في ذلك ضعف البلاد من ناحية ، ومن ناحية أخرى إنتصاراتهم المتوالية علي التتار كل هذه الأسباب يسرت لهم ، وحسنت في أعينهم ما يستولون عليه من أموال تلك الدولة ، يقول أبو زهرة : (ولما كان لا يهم أولئك السلاطين إلا المال فكانوا يحتالون عليه بكل الحيل ، فالظاهر بيبرس يفرض الضرائب الكبيرة ويحاول إخراج الأرض من أيدي أهلها)[1] .

وإلي جانب هذه الطبقة كانت طبقة علماء الدين ، وكان هؤلاء لهم مكأنه خاصة ، ولهم الطاعة في شئون الدين ، ولا تتعرض سلطتهم للمخالفة إلا عندما تصطدم برغبات السلطان ، ومطالبه وضرائبه ، كما فعل الظاهر (بيبرس) مع النووي ، ومهما كان من وقوف العلماء في وجوه السلاطين فقد وجد في ذلك العصر من العلماء ما أدت به الحاجة أو الطمع إلي حد الذل والإستكأنه للسلطان .

[1] ابن تيمية : حياته عصره واراؤه وفقه ، محمد أبوزهرة ، ص151 ، مطبعة الفكر العربي .

فقد ذكر السيوطي في حسن المحاضرة عن عالم عاصر إبن تيمية قصة قال فيها : (ومن غريب ما رأيت علي كراريس من تسهيل الفوائد بخط الشيخ جمال الدين بن مالك قال فيها رفعها الفقير إلي رحمة ربه محمد بن مالك يقبل الأرض ، وينهي إلي السلطان – أيده الله وجنوده وأيد سعوده – أنه أعرف أهل زمانه بعلوم القرآءآت والنحو واللغة والأدب ، وأمل أن يعينه ، ومقيد الشياطين – خلد الله ملكه – علي ما هو بصدده من إفادة المستفيدين ، وإفادة المسترشدين بصدقه تكفيه هم عياله)[1] .

إلا أن حالة الفقر التي كانوا عليها لم تدفعهم جميعاً إلي الإستكانه بل رأينا كثيراً منهم يصمدون أمام جبروت السلاطين وإستبدادهم حتي خلقوا الهيبة في نفوسهم من ذلك : الهيبة التي دخلت قبل الملك الظاهر من (عزالدين بن عبدالسلام) حتي أنه لما بلغه خبر وفاته : (ما أستقر ملكي إلا الأن) .

إلي غير ذلك من المواقف المشرقة [2] التي تبرز حقيقة واحدة وهي الصمود أمام ظلم السلاطين وإحتكارهم .

ويكفي العلم عزة في هذا العصر وجود إبن تيمية وتلاميذه الذين كرموا العلم ورفعوا شأنه ، فلم يكونوا ممن يمدون أيديهم لطلب السلطان ، بل كانوا يمدون ألسنتهم لبيان الحق ، والهداية إلي الصواب ، وكان تحت هؤلاء السلاطين والعلماء عامة الناس ، وكان أولئك الناس إما زراعاً ، أو صناعاً أو تجاراً في القليل من المال أما التجار ذوي الأموال الكثيرة فهؤلاء يدخلون مرتبة الأمراء وغيرهم من أصحاب الأموال الطائلة .

وأكثر من يعاني من هذه الفئات الثلاث هي الفئة المزارعة لأن الأراضي كانت موزعة إقطاعاً بين الأمراء يأخذون حصادها وهؤلاء لا يجدون فيها ما يسد حاجتهم كاملة .

وهذه المعاملة دفعت بكثير من العلماء والمصلحين إلي الرحمة بالمجتمع والعامة من الناس والوقوف بجانبهم أمثال إبن تيمية وإبن قيم الجوزية وغيرهم من العلماء الأفذاذ . فنرى إبن تيمية قد ألف مسألة حرم فيها إحتكار أموال المسلمين عندما علم أن بعض التجار يحتكرون الأموال ، وكتاب السياسة الشرعية ، يدعو فيها الخاصة إلي الصلاح والإستقامة ، فإن صلحوا وأصلحوا إستقام العامة وحل العدل بينهم وأرتفع الظلم .

---

[1] حسن المحاضرة للسيوطي ، 67/2

[2] كل الكلام السابق استخرجته من : ابن تيمية ، محمد أبو زهرة ، ص152 ، 153

الخلافات المذهبية :-

بقي في هذا المجال جانب هام جداً وهو إن كان يبدو في ظاهرة بسيطاً إلا أنه في حقيقته عظيم الخطر بالغ الأثر وهو ما يوجد في ذلك العصر من الخلافات المذهبية وما يتسبب عنها من القلق والإضرابات في المجتمع .

ومن أقرب الأمثلة لذلك ما وقع من الإختلاف بين أهل السنة والرافضة مما أدي إلي إندلاع الحرب بينهم فانتصر أهل السنة ، وهزمت الرافضة ، قال إبن كثير : (وقعت ببغداد فتنة عظيمة بين الرافضة وأهل السنة ، فنهب الكرخ ودور الرافضة حتي دور قربات الوزير إبن العلقمي ، فهذا بدوره حقد علي أهل السنة ، وأدى به حقده هذا إلي موالاة التتار ، وكان أن دبر للإسلام وأهله مكيدة عظيمة لم يؤرخ مثلها منذ أنشئت بغداد ، فهو الذي أشار علي (هولاكو) بعدم الصلح مع الخليفة العباسي وكذلك أشار بقتله فحاك للتتار خيوط المؤامرة وحبب إليهم أخذ هذه البلاد ، وحكي لهم حقيقة الحال ، وكشف لهم ضعف الرجال وذلك كله طمعاً منه في أن يزول أهل السنة بالكلية والله متم نوره ولو كره الكافرون [1] .

إلي غير ذلك من الخلافات التي كثرت في ذلك العصر ولا أدل من ذلك ما تعرض له إبن تيمية – رحمه الله – من الأذى والإضطهاد والسجن .

أثر الأوضاع الإجتماعية في نفوس العلماء والمصلحين :-

إن حياة يسودها القلق الإجتماعي ، والإضراب والتنافر إلي جانب الإضرابات الخارجية تتهدد بالقضاء علي كيان الأمة ، ودمار جهاز الدولة لذلك هب العلماء وكان من ضمنهم إبن تيمية وإبن القيم إلي نبذ الفرق والشقاق وكذلك سار شيخنا – رحمه الله– فهو وإن لم يذكر ذلك باللسان فهو قد أشار إليه بالقلم ، وقد ظهر ذلك في تفسيره فقد أشار في بعض أجزائه إلي الإتحاد والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ، ونبذ الإختلاف والفرقة كل ذلك ذكره علي شكل فصول في كتابه – رحمه الله – وتأييده لأهل السنة ، ورد علي الفرق المناوئه كالرافضة والمعتزلة و القدريه وسيظهر كل ذلك إن شاء الله عندما نتعرض لموقفه من المسائل العقديه .

[1] البداية والنهاية لابن كثير ، 196/13 ، 201 ، 22

المطلب الأول

أخــلاقه

لقد أثنـي المؤرخـون علـي الخـازن وأمتـدحوه مـن الناحيـة الأخلاقيـة و أشـادوا بفضـله مـن الناحية العلمية

ووصفوه بأنه كان مثابراً علي العلم ، كثير الأشتغال به ، فضلاً عن ما كان يتسم به من محبة الناس والتقرب إليهم وملاطفتهم قال الداؤدي : كان حسن السمت والبشر والتودد ، قال إبن رافع [1] وقال إبن العماد الحنبلي : كان صوفياً في الخانقاه المذكورة وكان بشوش الوجه ، ذات تودد وسمات وهكذا قال إبن حجر العسقلاني وقال الذهبي : وكان – رحمه الله – صوفياً حسن السمت ، بشوش الوجه كثير التودد للناس [2] وقال عنه الذهبي : لقد إشتغل بالعلم كثيراً ، قال إبن قاضي شهية (كان من أهل العلم جمع والف ، وحدث ببعض مصنفاته) وقيل فيه أيضاً (كان صالحاً خيراً جمع وألف) [3] .

من الكلام السابق نجد الخازن إتسم بصفتين بارزتين هما:

أ/ تفوق في الناحية العلمية والخلقية .

ب/ رغبته للعظة وتقشفه وزهده التي كان لها أثر كبير في جميع مناحي حياته ، وقد ظهر أثر ذلك في تفسيره من خلال سرده للعظات الرقاق التي تهز المشاعر وتلهب العواطف ، وذكرها في كتابه علي شكل فصول يذكر خلالها أحاديث الرسول – صلي الله عليه وسلم – تدور معظمها علي صحيح البخاري ومسلم والترمذي .

كذلك ظهر أثر زهده وتقشفة من مناداته لطرح ملذات الحياة وشهواتها والتزام المرء للطاعة والزهد .

والأنقطاع لله بالعباده وحده دون سواه ، وهذا يبينه قوله تعالى (يَاَ أَيُهَاَ اَلْذِينَ اَمَنُوُا لَاَتَحَرِمُوُا طَيْبَاَتٍ مَاَ أَحَلَ اللهُ لَكُمْ وَلَاَ تَعْتَدُوا أنّ اَللهَ لَاَ يُحِبُ اَلْمُعْتَدِينَ)[4] .

---

[1] -طبقات المفسرين للداودي ج1 ، ص 422

[2] - شذرات الذهب لابن العماد، 6/ 131

[3] - التفسير والمفسرين للذهبي 310/1

[4] - سورة المائدة الآية : (87)

قال الخازن : قال علماء التفسير أن النبي – صلي الله عليه وسلم – ذكَّر الناس يوماً ووصف يوم القيامة فرق الناس وبكوا فأجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون وهم : أبو بكر ، وعمر ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ... إلي بقية العشرة وتشاوروا وأتفقوا علي أنهم يذهبون ويلبسون المسوح ، ويصومون الدهر ويقومون ليلهم ولا ينامون علي فراش ولا يأكلون اللحم ، ولا يقربون النساء ولا الطيب . فبلغ ذلك النبي – صلي الله عليه وسلم – فأتي دار عثمان يصادفه ثم سأل زوجته عن صدق ما سمعه وعن العشرة فأقرت بذلك ، فلما جاء

عثمان أخبرته بذلك فأتي هو والعشرة إلي رسول الله – صلي الله عليه وسلم – فقال لهم الرسول : ألم أنبأنكم إتفقتم علي كذا وكذا فقالوا : نعم يارسول الله وما أردنا إلا الخير ، فقال رسول الله – صلي الله عليه وسلم : إني لم أمر بذلك ثم قال رسول الله : إنَّ لأنفسكم عليكم حق فصوموا ، وأفطروا ، وقوموا ، وناموا فاني أقوم وأصوم وأفطر ، وأكل اللحم والدسم إلي أخر قوله صلي الله عليه وسلم ، ثم قال الخازن : فاعلم الله بهذه الأيه أن شريعة نبيه صلي الله عليه غير ماعزموا عليه من ترك الطيبات ، وأنه لا ينبغي أن نجتنب الطيبات المباحات ، ومعني (لا تحرموا) لا تعتقدوا تحريم الطيبات المباحات فإن من أعتقد تحريم شيء أحله الله فقد كفر .

أما ترك لذات الدنيا وشهواتها و الإنقطاع إلي الله والتفرغ لعبادته من غير أضرار بالنفس ، ولا تفويت حق فضيله لا مانع بل مامور بها [1] .

[1] - تفسير الخازن ، /2/ 72

المطلب الثاني

أثاره العلمية

لقد نهل الخازن كما ذكرت سابقاً من مناهل عصره العلمية ، وأحاط علماً بمعظم أنواعها وأبعادها ، فكان من أجمل ذلك كله ، ذا ثقافة علميه ، وأُفق وأسع عظيم . لقد نضجت ثقافة الخازن أيما نضج ، وأكتملت شخصيته العلمية أعظم إكتمال وكان لهذه الثقافة الناضجة ثمار ، ولتلك الشخصية المكتملة نتائج ، ظهرت تلك الثمار وأبرز ذلك النتائج في مجالات مختلفة أبرزها وأشهرها مجال التاليف . لقد جمع أولئك الذين ترجموا له علي أنه كان وأسع المعرفة ، متفقهاً في العلوم ، وأن ثقافته ذات جوانب متعددة ، وأنواع مختلفة ، وأفاق وأسعة ، فمثلا يقول عنه أبو شهية (جمع وألف وحدث ، وكان من أهل العلم) [1]

ولذا قال عنه إبن العماد (كان صالحاً خيراً جمع وألف) [2]

وقيل فيه أيضاً : (كان مفسراً فقه ، محدث ، مؤارخ) [3] إلي غير ذلك من الأقوال التي تدل علي ثبات قدمه في العلم ، وباعه الطويل في مجال التأليف .

وأكبر ما يشهد علي ذلك هو تاليفه هذا التفسير الكبير (لباب التأويل في معاني التنزيل) وهذا التفسير هو الذي أشتهر به فأطلق عليه حتى سمي (تفسير الخازن) .

وهو من التفاسير المتوسطة الحجم ، وتسميته بالإسم السابق من وضع الخازن نفسة حيث قال في مقدمة تفسيره (وسميته لباب التأويل في معاني التنزيل والله تعالى أسأل التوفيق لاتمام ما قصدت و إليه أرغب في تيسير ما أردت ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يتقبل مني وهو السميع العليم) .

ولنا أن نتساءل متي بدأ الخازن تفسيره ؟ في الواقع أن جميع كتب التراجم وطبقات المفسرين لم تتشر إلي الوقت الذي بدأ فيه بوضع تفسيره ، ولكنها أتفقت جميعاً علي الوقت الذي فيه إنتهي من وضع تفسيره منها

---

[1] - طبقات المفسرين للداودي ، 422/1/

[2] - شذرات الذهب لابن العماد 131/6

[3] - معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، 7/ 1794

كتاب كشف الظنون حيث يقول (لباب التأويل في معاني التنزيل في ثلاث مجلدات للشيخ علاء الدين بن محمد إبن إبراهيم البغدادي الصوفي المعروف بالخازن سنة 741هـ) فرغ من تاليفه يوم الأربعاء العاشر من رمضان .

وقد يكون الدافع له لتأليف تفسيره هذا هو أنه لما كان تفسير البغوي من أفضل التفاسير لكونه جامعاً للأقاويل ، عارياً عن الشبه و التصيف والتبديل ، لما كان تفسير البغوي كذلك أراد (الخازن) أن يختصر تفسيره وضم إلي ذلك ما نقله ولخصه من تفاسير من تقديم عليه ، ويبين هذا ما ذكره الخازن في مقدمه تفسيره حيث يقول : ولما كان كتاب (معالم التنزيل) الذي صنفه الشيخ الجليل ، والحبر النبيل الإمام العالم محي السنة قدوة الأمة ، مفتي الفرق ، ناصر الحديث ظهير الدين أبو محمد الحسين أبن مسعود البغوي ـ قدس الله روحه ـ من أجل المصنفات في علم التفسير وأعلاها وأنبلها ، و أسناها جامعاً للأقاويل وعارياً عن الشبه والتصحيف والتبديل محلي الأحاديث النبوية مطرزاً بلاحكام الشرعية .... إلي أخر ثم يقول : ولما كان هذا الكتاب كما وصفت أحببت أن أنتخب من غرر فؤائده ودرر فرائده و زواهر نصوصه ، وجواهر نصوصه مختصراً جامعاً لمعاني التفسير ولباب التأويل والتعبير حاوياً لخلاصة منقوله ، متضمناً لنكته وأصوله مع فوائد نقلتها وفرائد لخصتها من كتب التفاسير المصنفة في سائر علومه المؤلفة[1] .

وليس للخازن من المؤلفات إلا هذا التفسير فقط بل له مؤلفات أخرى **منها** :-

أ/ مقبول المنقول في علمي الجدل والأصول [2] : وهذا الكتاب في الحديث وهو في عشر مجلدات ، الجزء السابع منه فقط مخطوط [3] ، جمع فيه بين مسند الشافعي وأحمد والكتب السته وسنن الدارقطني ورتبه علي الأبواب .

ب/ وله في السيرة كتاب (الروض والحدائق في تهذيب سيرة الخلائق) [4] وهذا الكتاب أيضاً لم نعثر عليه ويبدو أنه أيضاً من الكتب التي إندثرت ، أو لم تصل إلينا ، وله في الفقه (عدة الأفهام في شرح عمدة الأحكام) [5] ، في الفروع الشافعية ، وهذا أيضاً مخطوط ، ولكني بحثت عنه ، و واليت البحث عنه ولكني لم أجده .

---

[1] - مقدمة تفسير الخازن 4/1
[2] - هدية العارفين ،1/ 718مكتبة المثني بغداد1951م
[3] -الاعلام ، خيرالدين الزركلي 5/5
[4] - هدية العارفين ، 718/1
[5] - التفسير والمفسرين للذهبي ، ج1، ص 310

من هذا يظهر لنا سعة إطلاعه ، وتغزره العلمي وتفكيره في شتى المجالات سواء في التفسير أو الحديث أو الفقه علي أن الشئ الذي يحز في نفسي هو عدم تمكني من إيجاد ولو بعض المؤلفات و إلا لأفادتنا كثيراً في منهجه وفي أبراز شخصيته .

تلاميذه :

لم يذكر مترجموه أن له تلاميذ بالمعني المتعارف عليه ، إلا إنه كان له تلاميذ قام بتعليمهم وصاروا علماء وأخذوا ينشرون العلم بين الناس .

ولكن الذي أستخلصه من خلال الإطلاع علي كتب [1] مترجميه أنه كان من أهل العلم ، جمع والف وحدث ، ولكن غلب الظن أن تدريسه لم يتجاوز الخانقاة التي يقيم فيها بدمشق أو المساجد .

[1] - الدررالكامنة 3/ 171،شذرات الذهب ،308/6

المطلب الأول

معالم التنزيل للإمام البغوي المتوفى سنة 536هـ

إن الخازن – رحمه الله – قد إستسقي تفسيره من تفسير البغوي (معالم التنزيل) فهو مختصر عن تفسيره ، خلاصة له ، وما ذلك إلا إستناداً علي قول الخازن في مقدمته : (ولما كان معالم التنزيل الذي صنفه الشيخ الجليل والحبر النبيل ، محي السنة وقدوة الأمة ، وإمام الأئمة ، وناصر الحديث ظهير الدين (أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي) – قدس الله روحه ونور ضريحه – من أجل المصنفات في التفسير ، وأعلاها وأنبلها ، جامعاً للأقاويل الصحيحة ، عارياً عن السفه والتصحيف والتبديل ... إلي قوله : (ولما كان هذا الكتاب كما وصفت أحببت أن أنتخب من غرر فوائده ، ودرر فرائده ، وزواهر نصوصه ، وجواهر خصوصه مختصراً جامعاً لمعاني التفسير ولباب التأويل والتعبير حاوياً لخلاصة منقوله ، متضمناً نكته وأصوله ، مع فوائد نقلتها ، وفرائد لخصتها من كتب التفاسير المصنفة)[1] .

مما سبق قد يظهر السبب الحقيقي الذي دفعني إلي تفسير البغوي لعمل موازنة بينه وبين الخازن ، وذلك إلا لمعرفة مدي تأثره به ومدي إحتكامه إلي هـ في منهج العرض والتحليل ، وإعتماده عليه في الأخبار الإسرائيليات ، وعدم تنقيحه للغالب منها ، وكذلك نقله عنه الأقوال المروية في اللغة والنحو والقراءات .

لكن هذا لا يعني أننا نسلب الخازن شخصيته في تفسيره لا فشخصيته ظاهرة وأراؤه بارزة وما ذلك إلا لأن تفسيره يعتبر من أجل المصنفات في علم التفسير وأنبلها ، وأكبر دليل علي ذلك بروز شخصية الخازن في تفسيره وهذه الموازنة إلتي سأذكرها الأن – فهي أكبر برهان وأوضح أثر علي إستقلال شخصية الخازن التفسيرية عن جميع كتب التفسير التي ألفت .

[1] علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن ، ت 725هـ ، لباب التأويل في معاني التنزيل المشهور بتفسير الخازن مقدمه تفسيره ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1415هـ - 1995م .

أولاً : قضية المأثور بين الخازن والبغوي :

يتفق الخازن مع البغوي في ذكر التفسير بالمأثور عن الصحابة والتابعين ، إلا أن البغوي يختلف بعض الشئ عن الخازن ، فالبغوي يعتمد بكثرة في تفسيره علي التفسير المأثور عن الصحابة والتابعين في شرح معني النص القرآني ، بينما الخازن – رحمه الله – كان لا يتوقف عند المأثور – فحسب – بل يجمع بينه وبين المعقول (بالرأي) ، ونستعرض بعد قليل مثالاً يوضح ذلك .

من ناحية أخرى كذلك البغوي يحذف الأسانيد عن الصحابة والتابعين والخازن لا يذكر الأسانيد إطلاقاً . وفي سبيل الموازنة بين التفسيرين نذكر هذا المثال :

قال تعالى : (إِهْدِنَا اَلْصِرَاطَ اَلْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ اَلْذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ اَلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَاَ اَلْضَاَلِينَ)[1] نجد أن الخازن يذكر المأثور عن الصحابة والتابعين ، ولكن مع الجمع بينه وبين المعقول (بالرأي) فيقول : أي أرشدنا ، وقيل : ثبتنا ، وهو كما تقول للقائم : قم حتى أعود إليك ، ومعناه دم ما أنت عليه ، وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم علي الهداية لأن الألطاف والهدايات من الله لا تتناهى . وهذا مذهب أهل السنة ، والصراط : الطريق . وقال جرير [2] .

أمير المؤمنين علي صراط *** إذا أعوج الموارد مستقيم

أي علي طريقة حسنة – قال إبن عباس : هو دين الإسلام ، وقيل هو القرآن ، وروي ذلك مرفوعاً ، وقيل : السنة والجماعة وقيل : أهدنا صراط المستحقين للجنة [3] .

فالملاحظ أن الخازن شرح لنا معني كلمتي (الهداية ، والصراط) عن طريق الجمع بين الرأي والمأثور ، ولكن لو نظرنا إلي البغوي لرأينا أنه إعتني كثيراً بالمأثور وأستعان به وتوسع فيه أكثر من الرأي ، وهذا يظهر في الآية السابقة فقال : (أهدنا ، أرشدنا) وقال علي بن أبي طالب ، وأبي بن كعب : ثبتنا كما يقال للقائم قم ثم أعود إليك ، أي دم ما أنت عليه ، وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم علي الهداية عين التثبت ، وبمعنى طلب المزيد من الهداية ، لأن الألطاف

[1] سورة الفاتحة الآيات (6-7)

[2] هو أحمد بن أبي دؤاد جرير بن مالك الأيادي أبوعبدالله أحد القضاة المشهورين ورأس الفتنة بخلق القرآن ، توفي 240هـ ، خير الدين الزركلي ، الإعلام ، ط3 ، بيروت ، لبنان بيروت ، 1969 م

[3] تفسير الخازن ، 20/1

والهدايات من الله لا تتناهي وهذا مذهب أهل السنة . ثم قال : والصراط المستقيم قال إبن عباس وجابر : الإسلام ، وهو قول مقاتل ، وقال إبن مسعود : هو القرآن ، وروي عن علي مرفوعاً : الصراط المستقيم كتاب الله ، وقال سعيد بن جبير : طريق الجنة ، وقال سهل إبن عبدالله : طريق السنة والجماعة ، وقال أبوبكر بن عبدالله الحزين : طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال أبو العالية والحسن : رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحبه[1] .

من هذا يتضح أن البغوي مع تفوقه في المأثور وتوسعه فيه ، فهو أيضاً يمتاز بذكر أصحاب الأقوال من الصحابة والتابعين ، وهذا لا يظهر عند الخازن بهذه الصورة .

ثانياً : تقارب المنهجين من ناحية اللغة والنحو :

كذلك المتصفح لكلا التفسيرين يلاحظ تقاربهما من ناحية اللغة والنحو ، إن لم يكونا متساويين ، ولعل ذلك راجع إلي الخازن وكما أشرت أنفاً أستقي تفسيره من تفسير البغوي ، فبناء عليه فإن الخازن قد تأثر بمنهج البغوي في تفسيره ولم يتجاوزه في المعاني اللغوية ، ويتضح ذلك بالمثال ، قال تعالى:(إِذْ قَالَتِ اَلْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمَ إِنَّ اَللهَ يُبَشِرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ إِسْمُهُ اَلْمَسِيحِ عِيسَىَ إِبْنُ مَرْيَمُ)[2] فالخازن في تفسيره لسبب تسمية المسيح عيسي مسيحاً ، وهل هو إسم مشتق أو موضوع ، ثم بين معاني التسمية علي حسب الإختلاف فقال : وأختلفوا لِمَ سُمِيَ عيسى عليه السلام مسيحاً ؟ وهل هو إسم مشتق أو موضوع ؟ فقيل إنه موضوع وإسمه بالعبرانية مشيخاً فغيرته العرب ، وأصل عيسي : أيشوع ، كما قالوا موسى وأصله موشى ، أو ميشون ، وقال الأكثرون : إنه إسم مشتق ثم ذكروا فيه وجوهاً ، قال إبن عباس : سمي مسيحاً لأنه مامسح ذا عاهة إلا برأ منها . وقيل : لأنه مسح بالبركة ، وقيل : لأنه مسح من الأقذار وطهر من الذنوب ، وقيل : إنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن ، وقيل لأن جبريل عليه السلام مسحه بجناحه حتي لا يكون للشيطان عليه سبيلاً ، وقيل لأنه كان يسيح في الأرض أي يقطعها مساحة ، فعلي هذا القول تكون الميم زائدة وقيل : سمي مسيحاً لأنه مسيح القدمين لا أخمص لهما ، وقيل : المسيح هو

[1] الإمام أبو محمد بن مسعود الفداء البغوي ، ت 516هـ ، معالم التنزيل ، توزيع دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، يطلب من المكتبة التجارية الكبري ، 17/1 بدون تاريخ .
[2] سورة ال عمران الآية رقم (45) .

الصديق به سمي المسيح عليه السلام ، وقد يكون بمعني الكذاب وبه سمي الدجال فتكون هذه الكلمة من الأضداد[1] .

ولو رجعنا إلي تفسير البغوي لرأيناه يقول كلاماً قريباً من هذا الكلام السابق فيقول : وإختلفوا في أنه لم سمي مسيحاً ؟ فمنهم من قال : هو فعيل بمعني المفعول يعني أنه مسح من الأقذار وطهر من الذنوب ، وقيل لأنه مسح بالبركة ، وقيل لأنه خرج بجناحه حتي لم يكن للشيطان عليه سبيلاً ، وقيل لأنه كان مسيح القدمين لا أخمص لهما ، وقال إبراهيم النخعي :[2] المسيح الصديق ، ويكون المسيح بمعني الكذاب ، وبه سمي الدجال فتكون الكلمة من الأضداد[3] .

ثالثاً : تفوق البغوي علي الخازن في مجال إيراد القرآءآت :-

لقد سلك البغوي في مجال إيراد القرآءآت وتوجيهها مجإلا أوسع من المجال الذي سلكه الخازن في تفسيره ، فهما يتفقان في ناحية ويختلفإن في أخرى . يتفقان في إيراد القرآءآت الصحيحة المشهورة التي إتفق العلماء علي جواز القراءة بها ، وكذلك يتفقان في عدم إيراد القرآءآت الشاذة إلا إذا كان ذكره من قبيل النادر .

ويختلفإن في أن البغوي قد يذكر القرآءآت ويوجهها وينسبها إلي قائلها في حين أن الخازن لا يتعرض للقراءات التي تعرض لها البغوي ولا غيره من جمهور المفسرين ، إلا علي سبيل الإشارة والإيجاز بعيداً عن التوجيه ، وعدم ذكر قائلها ، يتضح كل هذا بالأمثلة منه قوله تعالى : (فَمَنْ تَبِعَ هُدَأَيَ فَلَاَ خُوُفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاَ هُمْ يَحْزَنُوُنْ)[4] فقد ذكر البغوي في وقوله (فَلَاَ خُوُفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاَ هُمْ يَحْزَنُوُنْ) قرآءتين فقال : قرأ يعقوب (فَلَاَ خُوُفٌ عَلَيْهِمْ) بالفتح في كل القرآن، والأخرون بالضم والتنوين[5] .

أما الخازن – رحمه الله – فلم يتعرض لذكر شئ من هذا ولم يذكر أي قراءة في هذه الآية .

---

[1] تفسير الخازن 245/1

[2] هو ابراهيم يزيد بن قيس بن الأسود أبوعمران النخعي ، من أكابر التابعين صلاحاً وصدق رواية وحفظاً للحديث ، الإعلام للزركلي ، 80/1

[3] تفسير البغوي 292/1

[4] سورة البقرة الآية رقم (38)

[5] تفسير البغوي : 24/1 ، انظر البغوي ، 67/1 ، عند تفسيره قوله تعالى : (ثم أنتم تنظرون هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان) ، الآية (85) من سورة البقرة ، ذكر في قوله تعالى (تظاهرون) قرائتين مع اسنادها إلي قائلها .

رابعاً : إتفاق المنهجين في العقيدة الدينية :-

لقد كان البغوي يلتقي مع الخازن في أنهما أشعريا المذهب ، تبرز هذه الحقيقة في قراءة تفسيره – أعني البغوي – حيث أنه عمد إلي مهاجمة كل من المعتزلة والقدرية وغيرهما من الطوائف الكلامية ، وسأذكر مثالاً يوضح أنه كالخازن من الناحية العقدية يتضح ذلك في قوله تعالى : (لَاَ تُدْرِكُهُ اَلْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ اَلْأَبْصَارَ وَهُوُ اَلْلَّطِيفُ اَلْخَبِيرُ)[1] فالبغوي يقرر مذهب أهل السنة في رؤية الله سبحانه وتعالى يوم القيامة ويهاجم مذهب المعتزلة منكرة هذه الصفة فيقول : يتمسك أهل الإعتزال بظاهر هذه الآية في رؤية الله عز وجل عياناً ، ومذهب أهل السنة إثبات رؤية الله عز وجل عياناً قال تعالى : (وِجُوُهُ يَوُمَئِذٍ نَاَضِرَةَ * إِلَي رَبِهَاَ نَاَظِرَةْ)[2] ، وقال : (كَلَاَ إِنَهُمْ عَنْ رَبِهِمْ يَوُمَئِذٍ لَمَحْجُوُبُوُنَ)[3] ، وقال مالك رضي الله عنه : لو لم يراء المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يُعَيِّر الله الكفار بالحجاب . وقوله تعالى : (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوُا اَلْحُسْنَىَ وَزِيَاَدَةْ)[4] فُسر بالنظر إلي وجه الله عز وجل[5] .

ويقول الخازن في قوله تعالى : (لَاَ تُدْرِكُهُ اَلْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ اَلْأَبْصَارُ وَهُوُ اَلْلَّطِيفُ اَلْخَبِيرُ)[6] ، ، تمسك بظاهر الآية قوم من أهل البدع وهم الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئه إن الله تبارك وتعالى لا يراه أحد من خلقه وأن رؤيته مستحيلة عقلاً لأن الله أخبر أن الأبصار لا تدركه ، وإدراك البصر عبارة عن الرؤية فثبت بذلك أن قوله لا تدركه الأبصار بمعنى لا تراه الأبصار وهذا يفيد العموم ، ومذهب أهل السنة أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة في الجنة وأن رؤيته غير مستحيلة عقلاً قال تعالى : (وِجُوُهُ يَوُمَئِذٍ نَاَضِرَةَ * إِلَي رَبِهَاَ نَاَظِرَةْ)[7] ، وهو قريب من كلام البغوي ولا عجب في ذلك فإن الخازن قد تأثر به في هذه الناحية كما سبق في غيرها من النواحي ، حيث أنهما يقرران صفة الرؤية لله سبحانه وتعالى وأنهما ثابتة لله سبحانه إستناداً إلي قوله تعالى : (وِجُوُهُ يَوُمَئِذٍ نَاَضِرَةَ * إِلَي رَبِهَاَ نَاَظِرَةْ)[8].

---

[1] الأنعام الآية رقم (103) .
[2] سورة القيامة الأيتان (22-23) .
[3] سورة المطففين الآية رقم (15) .
[4] سورة يونس الآية رقم (26) .
[5] تفسير البغوي 138/2
[6] سورة الأنعام الآية رقم (103) .
[7] سورة القيامة الأيتان (22-23) .
[8] سورة القيامة الأيتان (22-23) .

والأحاديث الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فهما يتفقان في ثبوت هذه الصفة .

خامساً : تقارب المنهجين في عرض الأحكام الفقهيه :

الإمام البغوي – رحمه الله – يعد من كبار أئمة الفقه في المذهب الشافعي وله باعه الطويل في ذلك ، وقد ألف كتابه (التهذيب) في المذهب الشافعي الذي نال مديح وثناء كثير من العلماء .

فعلى هذا فالخازن قد تأثر به في هذه الناحية كثيراً ، ولم يخرج عنه في كثير من أرائه وأقواله ، بل قد إقتصر عليه في كثير من الأحيان إلي حد ما .

فمن هذا المنطلق نخرج بحقيقة وهي أن المنهجين يتفقان من حيث توسعهما في عرض الأحكام الفقهيه ، ومن حيث ذكر أقوال العلماء وأدلتهم وخلافاتهم مع ترجيح مذهبهما أحياناً .

وسأذكر مثالاً أبين فيه كل هذه النواحي . قال تعالى : (وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ)[1] ، فلو تصفحنا كتاب (معالم التنزيل) للبغوي لتقرأ ما كتبه حول الآية الكريمة السابقة من الأحكام الفقهيه من حيث إيناس الرشد وحكم تكرار الحجر إلي غير ذلك من الأحكام لوجدناه يقول : أما الرشد فهو أن يكون مصلحاً في دينه وماله ، والصلاح في الدين هو أن يكون مجتنباً عن الفواحش .

والمعاصي التي تسقط العدالة ، والصلاح في المال هو أن لا يكون مبذراً ، والتبذير هو أن لا ينفق ماله فيما لا يكون محمدة دنيوية ولا مثوبة أخروية أو لا يحسن التصرف فيها فيغبن في البيوع ، فإذا بلغ الصبي وغير مصلح لماله دام عليه الحجر ولا يدفع إليه المال ولا ينفذ تصرفه ، وعند أبي جنيفة – رضي الله عنه – إذا كان مصلحاً لماله زال الحجر عنه ، وإن كان مفسداً في دينه ، وإذا كان مفسداً لماله قال : لا يدفع إليه المال حتي يبلغ خمسة وعشرين سنة ، غير أن تصرفه فاقد قبله .

والقرآن حجة عن إستدام الحجر عليه لأن الله تعالى قال : (حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ)[2] أمر بدفع المال بعد البلوغ وإيناس الرد ، والفاسق لا يكون رشيداً ،

[1] سورة النساء الآية رقم (6) .
[2] سورة النساء الآية رقم (6) .

وبعد بلوغه خمساً وعشرين سنة وهو مفسد لماله بالإنفاق غير رشيد ، فوجب أن لا يجوز دفع المال قبل هذا السن .

وإذا بلغ الصبي رشيداً أو زال الحجر عنه ثم عاد سفيهاً نظر فإن عاد مبذراً لماله حجر عليه ، وإن عاد مفسداً في دينه فعلي وجهين :

أحدهما : يعاد عليه الحجر كما يستدام الحجر عليه إذا بلغ بهذه الصفة .

الثاني : لا يعود لأن حكم الدوام أقوي من حكم الإبتداء وعند أبي حنيفة – رضي الله عنه – لا حجر علي الحر العاقل البالغ بمال[1] .

ولو رجعنا إلي تفسير الخازن لنقرأ ما سطره حول الآية السابقة لوجدناه قد ذكر فصلاً عن أحكام تتعلق بالحجر ذكر فيه عدة مسائل منها:

(المسألة الرابعة) في بيان الرشد ، وهو أن يكون مصلحاً في دينه وماله . فالصلاح في الدين هو إجتناب الفواحش والمعاصي التي تسقط العدالة . والصلاح في المال هو أن لا يكون مبذراً ، والتبذير أن ينفق ماله فيما لا يكون فيه محمدة دنيوية ولا مثوبة أخروية ، أو لا يحسن التصرف فيغين في البيع والشراء ، فإذا بلغ الصبي وهو مفسد لماله ودينه لم ينفك عنه الحجر ولا ينفذ تصرفه وبه قال الشافعي .

وقال أبو حنيفة : إذا كان مصلحاً لماله زال عنه الحجر وإن كان مفسداً لدينه ، وإذا كان لماله مفسداً لا يدفع إليه المال حتي يبلغ خمس وعشرين سنة غير أنه ينفذ تصرفه قبله . والقرآن حجة للشافعي في إستدامة الحجر عليه لأن الله تعالى قال : (فَإِنْ أَنَسْتُمْ مِنْهُمْ رَشَدَاً فَادْفَعُوْا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهِمْ)[2] ، أمر بدفع المال بعد البلوغ وإيناس الرشد والفاسق لا يكون رشيداً بعد بلوغه خمساً وعشرين سنة ، وهو مفسد لماله بالإنفاق غير رشيد ، فوجب أن لا يجوز دفع المال إليه كما قبل بلوغ هذا السن .

[1] تفسير البغوي : 401/1 ، 402

[2] سورة النساء الآية (6) .

المسألة السادسة : إذ بلغ الصبي رشيداً زال الحجر عنه ، فلو عاد سفيهاً ، ينظر فإن كان مبذراً لماله حجر عليه ، وإن كان مفسداً لدينه فعلي وجهين :

أحدهما : أن يعاد عليه الحجر كما يستدم إذا بلغ الصبي وهو بهذه الصفة .

الثاني : لا يحجر عليه لأن حكم الدوام اقوي من حكم الابتداء .

وعند أبي حنيفة : لا حجر علي الحر البالغ العاقل[1] .

من هذا نخرج بحقيقة واضحة ، وهي تساويهما في عرض الأحكام الفقهيه ، ومن حيث أقوال العلماء وخلافاتهم ، إلا أن الخازن يعمد إلي الترتيب في المسائل الفقهيه ، بوضع فصولاً تتعلق بأحكام الآيات ويضع في هذه الفصول عدة مسائل تتعلق بأحكام الآية أو الآيات .

وهما كذلك يتفقان في ترجيح المذهب الشافعي أحياناً مع الإسناد للدليل من الكتاب والسنة .

سادساً : إستواء المنهجين في الإسرائيليات :

يتفق الخازن في تفسيره مع البغوي في الإعتماد علي المأثور من أقوال الصحابة والتابعين ، ويترتب علي هذا إتفاقهما في سرد الأخبار والقصص الإسرائيلية .

ولكن الخازن يتعقب في بعض الأحيان ما أورده البغوي من الأخبار الإسرائيلية وخاصة ما يتصل بعصمة الملائكة والأنبياء ، وأود أن أذكر أمثلة أبين فيها أن الخازن كان يذكر الإسرائيليات ويعقب عليها قال تعالى : (وَمَاَ كَفَرَ سُلَيْمَانَ وَلَكِنَ اَلْشَيَاَطِينَ كَفَرُوا يُعَلِمُوُنَ اَلْنَاَسَ اَلْسِحْرَ وَمَاَ أُنْزِلَ عَلَيَ اَلْمَلَكَيْنَ بِبِاَبِلَ هَاَرُوُتَ وَمَاَرُوتَ) [2] .

قال البغوي في معالم التنزيل : وكانت قصتهما ما ذكره إبن عباس وغيره من المفسرين أن الملائكة رأوا ما يصعد إلي السماء من أعمال إبن أدم الخبيثة في زمن إدريس عليه السلام ، وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم في الأرض وأخترتهم وهم يعصونك ، فقال تعالى : لو أنزلتكم إلي الأرض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لارتكبتم مثل ما أرتكبوا ، فقالوا : سبحانك ما كان ينبغي لنا

[1] تفسير الخازن ، 343/1
[2] سورة البقرة الآية رقم (102)

أن نعصيك ، فقال تعالى : فأختاروا ملكين من خيارهم أهبطهما إلي الأرض ، فاختاروا هاروت وماروت ، وكانا من أصلح الملائكة وأعبدهم ، وقال الكلبي : قال الله تعالى : أختاروا ثلاثة فاختاروا عزرائيل وعزا وهو هاروت وعزايا وهو ماروت فغير إسمها لما قارفا الذنب ، فركب الله فيهما الشهوة وأهبطهم إلي الأرض وأمرهم أن يحكموا بين الناس بالحق ونهاهم عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر ، فأما عزرائيل فإنه لما وقعت الشهوة في قلبه إستقال ربه ، فسأله أن يرفعه إلي السماء فأقاله فسجد أربعين سنة لم يرفع رأسه .

أما الأخران فإنهما ثبتا علي ذلك وكان يقضيان بين الناس يومهما فإذا أمسيا ذكرا إسم الله الأعظم وصعدا به إلي السماء .

قال قتادة : فما مر عليهما شهر حتي إفتتنا في أول يوم وذلك أنهما إختصمت إليهما إمرأة يقال لها : الزهرة ، وكانت من أجمل أهل فارس فلما رأياها ، أخذت بقلوبهما فقال أحدهما لصاحبه : هل سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي ؟ قال : نعم فراوداها عن نفسها فأبت وأنصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ، ففعلا مثل ذلك فأبت وقالت : لا إلا أن تعبدا هذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا : لا سبيل إلي هذه الأشياء فإن الله تعالى قد نهانا عنها ، فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها خمر وفي أنفسهما من الميل إليها ما فيها فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالأمس فقالا : الصلاة لغير الله عظيم ، وقتل النفس عظيم وأهون الثلاثة شرب الخمر فشربا ، فلما إنتشيا وقعا بالمرأة فزنيا بهما فرأهما إنسان فقتلاه خوف الفضيحة [1] .

نجد أن الخازن أنكر تلك الأخبار الإسرائيلية وأفرد فصلاً من القول بعصمة الملائكة قال فيه : (أجمع المسلمون علي أن الملائكة معصومون فضلاً . وأتفق أئمة المسلمون أن حكم الرسل من الملائكة حكم النبيين سواء في العصمة في باب البلاغ عن الله عز وجل ، وفي كل شئ ثبتت فيه عصمة الأنبياء فكذلك الملائكة ، وأنهم مع الأنبياء في التبليغ إليهم كالأنبياء مع أممهم .

[1] تفسير البغوي : 75/1

وأجاب من ذهب إلي عصمة جميع الملائكة عن عصمة هاروت وماروت بأن ما نقله المفسرون وأهل الأخبار في ذلك لم يصح عن رسول الله صلي الله عليه وسلم منه شئ ، وهذه الأخبار إنما أخذت من إلي هود وقد علم إفتراؤهم علي الملائكة والأنبياء ، وقد ذكر الله عز وجل في هذه الآيات إفتراء اليهود علي سليمان أولاً ثم عطف علي ذلك قصة هاروت وماروت .

ثانياً : ومعنى الآية (وَمَاَ كَفَرَ سُلَيْمَاَنَ)[1] يعني بالسحر الذي إفتعله عليه الشياطين ، وإتبعتهم في ذلك اليهود فأخبر عن إفترائهم وكذبهم .

ثم أورد في بطلان هذه القصة وركتها وجوهاً ثلاثة نزه بها الملائكة عن كل ما لا يليق بمنصبهم[2]

هذا ما أستعطت أن أصل إليه عن هذه الموازنة بين هذين المفسرين الجليلين وهما وإن كانا متساويين في كثير من نواحي المنهج إلا أن البغوي كان يتفوق في بعض النواحي ، وقد بينتها فيما سبق .

[1] سورة البقرة الآية رقم (102)
[2] تفسير الخازن ، 66/1

المطلب الثاني

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ـ للزمخشري

مؤلف هذا التفسير هو أبو القاسم محمود بن محمد بن عمر الخوارزمي الحنفي الملقب بجار الله المتوفي سنة 538هـ ، وكتاب الكشاف يعتبر من أجل مصنفاته ، وقد عنى فيه بإبراز ما في القرآن من الأسرار البلاغية ومع أن هذا الكتاب واحد في بابه ، وعلم شامخ ، إلا أن نزعه صاحبه الإعتزالية جعلته يناصر مذهبه بالحجج العقلية والأساليب البلاغية العقلية .

والذي دفعني إلي عقد هذه الموازنة بين هذين المنهجين :

إن الخازن إعتمد علي تفسير الكشاف كمرجع من المراجع التي إستعان بها كثيراً في تفسيره بيان مدى تأثره به ، أي الخازن ، وهل ظهر ذلك في أخلاقه وثقافته وعقيدته إلي غير ذلك من النواحي .

فالخازن والزمخشري قد إتفقا في أشياء قليلة جداً وإختلفا في الأكثر ، وأريد في هذا المبحث أن أبين أوجه الإتفاق وأوجه الإختلاف .

أولاً : قضية المأثور بين الخازن والزمخشري :

لقد سلك الخازن في التفسير بالمأثور مسلكاً يختلف عن المسلك الذي سلكه الزمخشري فإن عناية الخازن بالمأثور كانت أكبر وتفوق عناية الزمخشري به ، ولذلك لأن الخازن يهتم كثيراً بأراء السلف ، بخلاف الزمخشري الذي كان معتزلي المذهب قوي الإعتداد برأيه [1]

ومن هنا نستطيع أن نقول أن الخازن – رحمه الله – غلب علي الرأي وإن كان لا يخلو من ذكر التفسير بالمأثور ، وبهذا المثال يتضح ذلك إن شاء الله

قال تعالى : (يُؤْتَي اَلْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءَ وَمَنْ يُؤْتَ اَلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوْتِيَ خَيْرَاً كَثِيرَاً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَاَ أُوْلُوا اَلْأَلْبَابَ)[2] ، يبين الخازن – رحمه الله – معنى الحكمة ولجأ في ذلك إلي كثير من التفسير

[1] دكتتور : منيع عبدالحليم محمود ، مناهج المفسرين ، ص106 ، ط1 ، 1421هـ

[2] سورة البقرة الآية رقم (269)

بالمأثور من الصحابة والتابعين فقال : قال إبن عباس : هي علم القرآن ناسخة ومنسوخة ومحكمة ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه ، وقيل هي القرآن والعلم والفقه ، وقيل هي الإصابة في القول والفعل .

وحاصل هذه الأقوال إلي شيئين : العلم والإصابة فيه ، ومعرفة الأشياء بذواتها ،، وأصل الحكمة المنع ، ومنه حكمة الدابة لأنها تمنعها .

قال الشاعر :

إبن حنيفة أحكموا سفهاؤكم : أي أمنعوا سفاهاؤكم .

وقال السدي : الحكمة والنبوة ، لأن النبي يحكم بين الناس فهو حاكم ، وقيل الحكمة الورع في دين الله ، لأن الورع يمنع صاحبه من أن يقع في الحرام أو ما لا يجوز فعله 1 .

وبالرجوع إلي تفسير الكشاف وجدت أنه لا يتعرض لهذه الأقوال المأثورة عن الصحابة والتابعين ، ولا حتى يشير إليها بل يبين معني الحكمة بكلمتين فقط لا ثالث لهما فيقول : يؤتي الحكمة : يوفق للعلم والعمل به ، والحكيم عند الله هو العَالِم العامل 2.

ثانيا: تفوق الزمخشري علي الخازن في مجال النحو واللغة :

هذه الناحيه يختلف فيها المفسران إختلافا شاسعاً ، فالخازن كما عرفنا عنه أنه يميل إلي ذكر العظات في تفسيره ،كذلك رغبته للعظه وميله إلي الزهد ، علي هذا فهو لا يهتم بالعربية والنحو إلا بقدر ما يجلي النص القرآني ويوضحه بخلاف الزمخشري الذي كان له باعه الطويل في اللغة والنحو مما عكس هذا علي تفسيره وجعل هذه الصيغة – النحو واللغة – تطغي عليه إلي حد كبير ولا عجب في ذلك فالزمخشري عرف أنه إمام اللغة ، خبير بها وبأسرارها ، فارس من فرسانها الذين لا يشق لهم غبار في ذلك العصر .

[1] تفسير الخازن ، 205/1

[2] العلامة أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري ، ت 538هـ الكشاف في حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجود التأويل المشهور بـ الكشاف ، مطبعة دار المعرفة للطباعة ووالنشر ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ ، 67/1

وسأضرب مثالاً يوضح ذلك :

قال تعالى: (وَإِذَاَ لَقَوُا اَلْذِينَ أَمَنَوُا قَالَوُا أَمَنَاَ وَإِذَاَ خَلَوُا إِلَيَ شَيَاَطِينِّهُمْ قَالَوَاَ إِنَاَ مَعَكُمْ إِنَمَاَ نَحْنُ مُسْتَهْزِئُوُنَ)[1] فعندما تصفحت تفسير الكشاف للزمخشري وجدت أنه تعرض للمعاني اللغوية لكل من (خَلاَ) و (شَيَاَطِينِهُمْ) فقال : وخلوت بفلان وإليه : إذا أنفردت معه ، ويجوز أن يكون خلى بمعني مضى ، وخلاك خادم : أي عاداك ومضى عنك ومنه القرون الخاليه ، ومنه خلوت به : أي سخرت منه ، وهو من قولك : خلا فلان بعرض فلان يعبث به ، ومعناه : إذا أنهوا السخرية بالمؤمنين إلي شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول : أحمد إليك فلان وأذمه إليك .

وقد جعل سيبويه نون الشيطان في موضع من الكتابة أصليه وفي أخر زائده ، والدليل علي أصالتها قولهم : تشيطن واشتقاقه من شطن : إذا جعلت نونه زائدة [2] .

ولو رجعنا إلي تفسير الخازن وما قاله حول هذه الآية لوجدناه يقول في معني (وَإِذَاَ خَلَوُا إِلَيَ شَيَاَطِينِّهُمْ)[3] – أي رجعوا – وقيل من الخلوة ، (إلي) قيل بمعني الباء أي ب (شياطينهم) والمراد بشياطيينهم رؤساؤهم وكهنتهم [4] .

ومن هذا نلحظ التفوق الواضح للزمخشري في مجال اللغة وهو الذي لا يملكة الخازن في هذا المجال ، ولعل السبب : هو تركيز جل إهتمامة علي إجلا المعنى االقرآني بعيداً عن تفريعات العلوم اللغوية .

ثالثآ : في مجال القرآءآت :

بنظره فاحصة من القارئ لكلا التفسيرين يلحظ إختلاف المنهجين في مجال القرآءآت وأوجه الخلاف فيما يأتي:

أ/ تفوق الزمخشري علي الخازن في مجال القرآءآت وتوجيهها وبيان صحتها في العربية أكثر من الخازن الذي كان مقالٍ في ذكر القرآءآت .

---

[1] سورة البقرة ، الآية رقم (14)
[2] تفسير الكشاف ، 184/1
[3] سورة البقرة ، الآية رقم (14)
[4] تفسير الخازن : 28/1

ب/ إيراد الزمخشري للقرآءآت الشاذة في تفسيره وإهتمامه بذلك ، بخلاف الخازن الذي عمد إلي ذكر القرآءت المتواترة الصحيحة ، وإن تعرض لقراءة غير ذلك فإنه يبينها ويوضحها علي الفور

ج/ كان الزمخشري يعمد في الأحيان لرد بعض القرآءآت الصحيحة لمخالفتها القواعد النحوية .

وقد خالفه في ذلك فهو لا يذكر ذلك بل يذكر القرآءة ويوضحها ولا يردها وسأبدأ بذكر الأمثلة التي تبين إختلاف المنهجين في مجال القرآءآت :

ب/ في قوله تعالى : (غَيْرِ اَلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَاَ اَلْضَالِينَ)[1] لقد أورد الزمخشري في (الضآلين) قراءة شاذة فقال : وقرأ (أيوب السختياني)[2] (ولا الضألين) بالهمزة – كما قرأ عمر بن عبيد (وَلَاَ جَاَنْ) وهذه لغة من جد في العرب من إلتقاء الساكنين ومنها ماحكا أبو زيد من قولهم (شأنه ودابه)3.

ولما رجعت إلي لباب التأويل للخازن وجدت أنه لا يذكر ذلك ولا يتعرض له إطلاقاً [4] .

ج/ قال تعالى : (وَاَتَقُوا اَللهَ اَلْذِي تَسَاَءَلُوُنَ بِهِ وَاَلْأَرْحَاَمَ)[5] ، أقول في قوله تعالى : (وَاَلْأَرْحَاَمِ) قرآءة بالجر ، وهذه القرآءة قد ضعفها الزمخشري بالقواعد النحوية فقال : والجر علي عطف الظاهر علي الضمير ليس بسديد لأن الضمير المتصل متصل كإسمه والجار والمجرور كشئ وأحد ، فكأنك في قولك (مررت بزيد) ، (وهذا غلام زيد) ، شديدي الإتصال ، فلما إشتد الإتصال لتكرره أشبه العطف علي بعض الكلمة فلم يجر ، ووجب تكرير العامل كقولك (مررت بزيد) ، وهذا غلامه وغلام زيد ، إلا ترى إلي صحة قولك (رأيتك وزيداً) ، (ومررت بزيد وعمرو) ، لما يقدر علي الإتصال لأنه لم يتكرر ، ولقد تحمل لصحة هذه القراءة بأنها علي تقدير تكرير الجار ونظيرها ، فما بك والأيام من عجب [6] .

أما الخازن فوجدت أنه تعرض للقراءتين بالذكر فقط دون ترجيح أو تعقيب أو رد ، لعله قد إرتضاها فقال : قرئ بفتح الميم ومعناها وأتقوا الأرحام أن تقطعهوها ، وقرأء بكسر الميم فهو

[1]) سورة الفاتحة الأية (7)
[2] هو أبو أيوب بن أبي تيمية كيسان السختاني البصري ، سيد فقهاء عصره ، توفي سنة 685هـ ، خيرالدين الزركلي ، الإعلام ، 3/2 .
[3] تفسير الزمخشري : 73/1
[4] تفسير الخازن : 20/1 ، 21
[5] سورة النساء الآية رقم (1)
[6] الكشاف للزمخشري ، 493/1

كقولك: سألتك بالله والرحم وناشدتك بالله وبالرحم ، لأن العرب كان من عاداتهم أن يقولوا ذلك [1]

رابعاً : إختلاف المنهجين في العقيدة :

لقد كان منهج الخازن في تفسيره للعقيدة الدينية مخالفاً تماماً للمنهج الذي سار عليه الزمخشري في تفسيره ، وذلك للإختلاف بين الرجلين في المذهب الإعتقادي . فالخازن كان أشعري المذهب ، بخلاف الزمخشري الذي كان هو إماماً كبيراً من أئمة المعتزلة .

فالخازن كان مناصراً لأهل السنة في أرائهم ، مدافعاً عن عقيدتهم ذاباً عنها كل الطوائف والفرق الأخرى التي كان من أبرزها المعتزلة التي وضح في تفسيره بأن عقيدتها فاسدة ، بخلاف الزمخشري الذي وضع تفسيره علي ضوء الإعتقاد الإعتزالي ، حيث أن الدافع الأساسي لتأليف هذا التفسير هو طلب المعتزلة في عصره لتأليف كتاب يوضح مبادئهم وأرائهم ، فلما وضع هذا التفسير نصر فيه المذهب الإعتزالي وروج أفكاره ، وذكر في مقدمته أن معتنقي هذا المذهب هم الفرقة الناجية الذين يجمعون بين المعقول والمنقول [2] .

والزمخشري في كتابه قد أيد أصول المعتزلة الخمسة وهي : (التوحيد ، العدل ، الوعد والوعيد ، المنزلة بين المنزلتين ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) و أولوا أيات القرآن الكريم بما يتفق وهذه الأصول .

وسأكتفي هنا بذكر مثالاً يوضح إعتزاله وتأييده المعتزلة من كتابه (الكشاف) ، قال تعالى : (شَهِدَ اَللهُ أَنَّهُ لَاَ إِلَهَ إلاَ هُوَ وَاَلْمَلَاَئِكَةُ وَأُوْلُوا اَلْعِلْمِ قَائِمَاً بَاَلْقِسْطِ لَاَ إِلَهَ إِلَاَ هُوَ اَلْعَزِيزِ اَلْحَكِيمِ *إِنَّ اَلْدِينَ عِنْدَاَللهَ أَلْإِسْلَاَمَ)[3] .

حيث أن الزمخشري يقرر في هاتين الأيتين مبدأ العدل والتوحيد وأنه هو الإسلام ويهاجم أهل السنة المجيزين لرؤية الله سبحانه وتعالى لأن المعتزلة كما هو معروف تنفي صفة الرؤية لله جلا وعلا – وكذلك عرض بهم وسماهم الجبرية لقولهم (إن الله يخلق أفعال العباد) .

---

[1] تفسير الخازن : 1/ 337

[2] بتصرف من كتاب التفسير والمفسرين للذهبي ، ص327

[3] سورة ال عمران الآيات (18 ، 19) .

ونحن نعرف أن المعتزلة تقول : (إن العبد هو الذي يخلق فعله) فقال : (إِنَّ اَلْدِينَ عِنْدَاَللهَ أَلْإِسْلَاَمَ) جملة مستأنفة فوائده للجملة الأولي ، فإن قلت : ما فائدة هذا التأكيد ؟ قلت : فائدته أن قوله (لَاَ إِلَهَ إِلَاَ هُوَ) توحيد وقوله : (قَاَئِمَاً بَاَلْقِسْطِ) تعديل فإذا أردفته بقوله : (إِنَّ اَلْدِينَ عِنْدَاَللهَ أَلْإِسْلَاَمَ) فقد أذن أن الإسلام هو العدل والتوحيد ، وهو الدين عندالله ، وماعداه فليس عنده في شئ من الدين .

ثم قال : وفيه من ذهب إلي تشبيه أو ما يؤدي إليه كإجازة الرؤية أو ذهب إلي الجبر الذي هو محض الجور لم يكن علي دين الله الذي هو الإسلام وهذا بين جلي كما تري [1] .

خامساً : تفوق الخازن علي الزمخشري في مجال الأحكام الفقهيه :

نعم لقد إختلف مسلك الرجلين في عرض المسائل الفقهيه ، فالخازن قد تفوق تفوقاً واضحاً في مجال المسائل الفقهيه وعرضها وإبرازها ولعل ذلك يعود إلي أن الخازن – رحمه الله – قد تأثر بالبغوي الذي له باعه الطويل ، وشأنه العظيم في مجال الفقه ، وله مؤلفات في ذلك ، فالخازن قد تأثر به في هذه الناحية تأثراً كبيراً وظهر أثر ذلك في تفسيره .

وسأسرد مثالاً يوضح ذلك : أي إهتمام الخازن بعرض الأحكام الفقهيه وكثرة إيراده لها ، في حين أن الزمخشري كان أقل إهتماماً بهذه الناحية وإن تعرض لها فلا يعدو أن يكون علي سبيل الإيجاز .

[1] تفسير الكشاف : 418/1

المثال :

قال تعالى : (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القرآن هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أخر)[1] . فالخازن يذكر فصلاً يتعلق بأحكام هذه الآية وفيه هذه المسائل فيقول : (المسألة الأولي) إختلفوا في المرض المبيح للفطر علي ثلاثة أقوال :

أحدها : وهو قول الظاهر : أي مرض كان ، وهو ما يطلق عليه إسم مرض ، فله أن يفطر تنزيلاً للفظ المطلق علي مثل أحواله ، وإليه ذهب الحسن[2] . وإبن سيرين [3] .

القول الثاني : وهو قول الأصم [4] فإن هذه الرخصة مختصة بالمريض الذي لو صام لوقع في مشقة عظيمة ، تنزيلاً للفظ المطلق علي أكمل أحواله .

القول الثالث : وهو قول أكثر الفقهاء : إن المرض المبيح هو الذي يؤدي إلي ضرر في النفس أو زيادة علة غير محتملة فالمحموم مثلاً إذا خاف لو صام إشتدت حماه ، وصاحب وجع في العين . يخاف لو صام أن يشتد وجع عينه ، فالمراد بالمرض ما يؤثر في تقويته ، قال الشافعي : (إذا أجهده الصوم أفطر وإلا فهو كالصحيح) .

المسألة الثالثة : إختلف العلماء في قدر السفر المبيح للإفطار فقال داؤد الظاهر : ولو كان فرسخا ، وقال الأوزاعي : السفر المبيح للإفطار مسيرة يوم وأحد ، وقال الشافعي وأحمد ومالك : أقله مسيرة ستة عشر فرسخاً فقال أبو حنيفة وأصحابه مسيرة ثلاثة أيام [5] .

وبالرجوع إلي تفسير الكشاف وما قاله الزمخشري فيه حول هذه الآية وجدته لم يتعرض لهذه الآية بذكر الأحكام الفقهيه الموجودة بها ، ولكن تعرض للأية السابقة لهذه الآية وهي قوله تعالى : (أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ)[6] فهو عندما

---

[1] سورة البقرة ، الآية رقم (185) .
[2] خير الدين الزركلي ، الإعلام : 226/2
[3] هو محمد بن سيرين البصري الأنصاري بالولاء ، إمام وقته في علوم الدين بالبصرة ، اشتهر بالورع وتعبير الرؤيا ، المصدر السابق ، 154/4
[4] هو حاتم الأصم ، أبوعبدالرحمن المعروف بالأصم ، زاهد اشتهر بالورع والتقشف ، له كلام مدون في الزهد والحكم ، خيرالدين الزركلي ، الإعلام ، 240/2
[5] تفسير الخازن : 113/1
[6] سورة البقرة الآية رقم (184)

تعرض للأحكام الفقهيه المتعلقة بهذه الآية وهي تشبه الآية الأولي التي ذكرها الخازن فقال : – أي الزمخشري – إختلف في المرض المبيح للإفطار ، فمن قائل : كل مرض ، لأن الله لم يخص مرضاً دون مرض ، كما لم يخص سفر دون سفر ، فكما لكل مسافر أن يفطر وكذلك كل مريض ، وسئل مالك عن الرجل يصيبه الرمد الشديد أو الصداع المضر وليس به مرض يفجعه فقال : إنه في سعة من الإفطار ، وقائل : هو المرض الذي يعسر معه الصوم ويزيد فيه لقوله تعالى : (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ اَلْيُسْرَ)[1]

عن الشافعي لا يفطر حتي يجهده الجهد غير المحتمل [2] .

بعد هذا فالزمخشري توقف عند الحد ولم يتعرض للأحكام الباقية المتعلقة بالآية ، كما فعل الخازن الذي ذكرها علي شكل مرتب ، ومن ثم فيه التطويل والإيضاح .

سادساً : في مجال الإسرائيليات :

بينت فيما سبق أن الخازن كان مكثراً من ذكر الإسرائيليات وكان غالباً ما يوردها علي علاتها دون ترجيح لها أو نقداً لها إلا القليل منه فيما يتعلق بعصمة الأنبياء فكان يتعقبه بالرد والإبطال .

أما الزمخشري فكان أيضاً مورداً للقصص الإسرائيلية أنه أقل تقريباً من الخازن الذي كان مكثراً في هذه الناحية فهما في هذه الناحية مختلفان ويتفقان في ناحية أخرى وهي أن الزمخشري كان لا يدع الإسرائيليات التي تطعن في عصمة الأنبياء دون تعقيب عليها وبيان وجه بطلانها ، فمثلاً في تفسيره قوله تعالى : (وَلَقَدْ فَتَنَاَ سُلَيْمَاَنَ وَأَلْقَيْنَاَ عَلَيَ كُرْسِيِهِ جَسَدَاً ثُمَّ أَنَاَبَ)[3] ، يفند الزمخشري في الكشاف قصة المارد الذي يزعمون أنه تمثل في صورة سليمان ، وتختم بختامه ، واستوى علي كرسيه حيناً من الدهر .

[1] سورة البقرة الآية (185)
[2] تفسير الكشاف : 335/1
[3] سورة (ص) الآية (34) .

ويحكم الزمخشري نقلاً عن العلماء بأن هذه القصة من أباطيل اليهود وإفتراءاتهم علي سليمان – عليه السلام – وفي ذلك يقول الزمخشري : (وأما ما يروي في حديث الخاتم والشياطين ، وعباده الوثن في بيت سليمان فالله أعلم بصحته)[1] .

سابعاً : تفوق الزمخشري علي الخازن في إبراز الأسرار البلاغية :

لقد تفوق الزمخشري علي الخازن وعلي غيره من المفسرين في مجال هام جداً وهو إبراز ما في القرآن الكريم من النكات البلاغية ، والأسرار البيانية فلقد عني بها الزمخشري في تفسيره عناية فائقة حتي صار هو الرائد في هذا الميدان وأول من سار علي هذه الطريقة البلاغية التطبيقية في تفسير القرآن حتي إنه لا يتبادر إلي الأذهان إلا الزمخشري وكشافه عند سماع النكات البلاغية والأسرار البيانية .

كذلك فقد بين الزمخشري في مقدمة تفسيره أن كتاب الله ملئ بالأسرار البيانية والنكات البلاغية ، وأنه لا يتصدى لذلك إلا من برع في علمين مختصين بالقرآن ، هما علم المعاني وعلم البيان فيقول : (ثم إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح وأنهضها بما يبهر الألباب والقوارح ، من غرائب نكات يلطف ممكنها ومستودعات أسرار يدق سلكها علم التفسير الذي لا يتم تعاطيه وإجاله النظر فيه كل ذي عمل ، كما ذكر الحافظ [2] ، في كتاب (نظم القرآن) فالفقيه وإن برز علي الأقران في علم الفتاوي والأحكام ، والمتكلم وإن برز أهل الدنيا في صناعة الكلام ، وحافظ القصص والإخبار وإن كان من (إبن القرية)[3] ، أحفظ والواعظ وإن كان من (الحسن البصري) أوعظ والنحوي وإن كان أنحي من سيبوية [4] ، واللغوي وأن علك اللغات بقوة لحيبه ، لا يتصدي منهم لسلوك تلك الطرائق ، ولا يغوس علي شئ من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهل في إرتيادها أو انه ، ونقب منهما في

[1] تفسير الزمخشري ، (الكشاف) ، 374/3 ، 375

[2] هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الشهير بالحافظ ، كبير أئمة الأدب ، توفي سنة 255هـ ، خير الدين الزركلي ، الإعلام : 75/5

[3] ابن القرية : بكسر القاف وتشديد الراء المكسورة ، أحد بلغاء العرب واسمه ايوب ، والقرية اسم أمه ، خير الدين الزركلي ، الأعلام ، 37/2

[4] هو عمر بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء ، أو بشر الملقب بسيبويه ، إمام النحاة وأول من بسط علم النحو ، توفي سنة 180هـ - خير الدين الزركلي ، الإعلام ، 81/5

التنفير أزمنة وبعثة علي تتبع مكانهما همة في معرف لطائف حجة الله بعد أن يكون اخذاً من سائر العلوم بحظ جامعاً بين أمرين تحقيق وحفظ [1] .

ومن هذا كله يتضح لنا تفوق الزمخشري علي غيره من المفسرين في المنهج البلاغي ولا غرو في ذلك فالزمخشري صاحب القريحة المتوقدة والعقلية المثقفة ، وكان أحد رجال البلاغة وفرسانها في ذلك الوقت ، وإليك مثال يوضح هذا الجانب وهو تفوق الزمخشري في هذا المضمار .

قال تعالى : (أُوَلَئِكَ اَلْذِينَ إِشْتَرَوَا اَلْضَلَاَلَةَ بِاَلْهُدَىَ فَمَاَ رَبِحَتْ تِجَاَرَتُهُمْ وَمَاَ كَاَنُوا مُهْتَدِينَ)[2] .

فقد وضح لنا الزمخشري في هذه الآية الكريمة لوناً من ألوان البديع وهو الإستعارة ثم ذكر ترشيحها ، ومعني ترشيح الإستعارة ، أن تقرن بما يلائم المستعار منه إلي المشبه به فقال : معني إشتراء الضلالة : إختيارها واستبدالها به علي سبيل الإستعارة ، لأن الإشتراء فيه إعطاء وبدل وأخذ أخر ثم قال : قلت كيف أسند الخسران إلي التجارة وهو لأصحابها ؟ قلت : هو من الإسناد المجازي وهو أن يسند الفعل إلي شئ يتلبس به بالذي هو حقيقة كما تلبست التجارة بالمشترين ، ثم قال : فإن قلت : هي شراء الضلالة بالهدى وقع مجازاً في معنى الإستبدال فما معني الربح والتجارة ، كان ثم مبايعة علي الحقيقة ؟ قلت هذا من الصفة البديعة التي تبلغ المجاز الذروة العلياء : وهو أن تساق كلمة مساق المجاز ثم تقضي بأشكال بها وأخوات إذا تلاحقت لم نر كلاماً أحسن منه ديباجة وأكثر ماء ورونقاً وهو المجاز المرشح [3] .

[1] مقدمة تفسير الزمخشري (الكشاف) 15/1 ، 16 ، 17
[2] سورة البقرة الآية (16)
[3] الكشاف : 191/1 ، 192 ، 193

المطلب الثالث

أحكام القرآن - لابن العربي

أحكام القرآن من تأليف أبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بإبن العربي المعافري الإشبيلي المالكي المتوفي سنة 543هـ .

وقد إخترت هذا التفسير لموازنته بتفسير الخازن لسببين :

أحدهما : من خلال قرآءتي لهذين التفسيرين ظهر لي إهتمام مؤلفيهما بالناحية الفقهيه وإيرادها في تفسيرها فأردت أن القي الضوء علي طريقة عرضهما في هذا المجال ، وتعصبهما لمذهبهما أم عدمه ، ومدى تأثر الخازن به في هذه النواحي خصوصاً انه أعتمد عليه كمصدر من مصادره .

الثاني : ونحن عرفنا من ترجمة الخازن أنه عاش في بلاد الشام فهو إذا مشرقي ،وإبن العربي عاش في الأندلس فهو إذا مغربي فأردت أن أبرز ما بين الفكرين المغربي والفكر الشرقي من علائق وثيقة في جميع المجالات .

أولاً : إختلاف المنهجين في صفة العرض :

من النظرة الأولي لكلا التفسيرين نري الإختلاف في الكتابين من ناحية العرض ، فالخازن تعرض لتفسير القرآن الكريم كله بالشرح والإيضاح ، بينما إبن العربي إقتصر علي آيات الأحكام بالتفسير علي ترتيب وجودها في السور القرآنية وكانت هذه هي طريقته في تفسيره .

فهو مثلاً يقول : في هذه السورة عدد كبير من آيات الأحكام وعندما يتعرض للكلام عنها ، أي الآية فغالباً ما يقول هذه الآية فيها عدد كذا من المسائل .

وسأضرب لذلك مثالاً بين فيه هذا المسلك نهجه إبن العربي في تفسيره .

يقول إبن العربي : الآية الثانية عشرة : قوله تعالى : (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)[1] ، الآية فيها أربع مسائل :

المسألة الأولي : في سبب نزولها :

المسألة الثانية : معنى (ولله المشرق والمغرب) .

المسألة الثالثة : في قوله تعالى : (فثم وجه الله) .

المسألة الرابعة : وفي تنزيه الآية علي الأقوال المتقدمة [2] .

ويذكر تحت كل مسألة كثير من التفصيلات التي تخص المسألة المتعلقة بها من سبب النزول والأقوال في ذلك ، وأقوال في معني (ثم وجه الله) إلي غير ذلك .

ثانياً : في مجال الأحكام الفقهيه :

الحقيقة الواضحة وضوح الشمس تقارب المنهجين في مجال المسائل الفقهيه من ناحية إيراد الأحكام الفقهيه وعرضها ومن ناحية ذكر أقوال العلماء ، ومن ناحية تعصبهما لمذهبهما أحياناً .

لولا أن إبن العربي يتفوق علي الخازن في ناحية وهي : إستنباط الأحكام الفقهيه لأدني ملابسة سواء كانت دلالة هذه الآيات علي تلك الأحكام الفقهيه بارزة ظاهرة أم خفية .

ولا عجب في ذلك لأن موضوع كتابه هو (الأحكام) فكان كتابه يقوم علي أساس التوسع والشمول في هذه الناحية بخلاف الخازن .

وأذكر مثالاً أُبين فيه توسع إبن العربي في الأحكام الفقهيه وإستنباطه لها لأدني ملابسة عند تفسير قوله تعالى : (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)[3] .

---

[1] سورة البقرة الآية (115)

[2] ابي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي المعامري المالكي ، ت : 543هـ ، تفسير أحكام القرآن ، القاهرة ، الهيئة العامة لتسويق المطابع الأميرية ، 1393هـ ، مطبعة عيسي البابي الحلبي وشركاه ، 436/1

[3] سورة البقرة الآية (25)

نجد إبن العربي يبني علي معني البشارة في هذه الآية مسألة فقهية فيقول : قال علماءنا البشارة هي الأخبار عن المحبوب ، والنذارة هي إخبار بالمكروه ، وذلك في البشارة يقتضي أول مخبر بالمحبوب ويقتضي في النذارة كل مخبر . ثم قال : وترتب علي هذه مسألة من الأحكام وذلك قول المكلف : من بشرني من عبيدي بكذا فهو حر ، فاتفق العلماء علي أنَّ أول من بشره يكون الثاني مثل الأول .

إختلف الناس فيه ، فقال أصحاب الشافعي : يكون حراً لأن كل وأحد منهم مخبر ، وعند علمائنا لا يكون حراً لأن الحالف إنما قصد خبراً يكون بشارة وذلك يختص بالأول ، وذلك معلوم عرفاً فوجب صرف اللفظ إليه[1] .

وعندما رجعت إلي تفسير الخازن – رحمه الله – وجدت أنه لا يتعرض لهذه الآية من ناحية الأحكام الفقهيه إطلاقاً [2] .

كذلك فالقارئ المتفحص لكلا الكتابين يلحظ أنهما يتفقان في نقطة أخرى وهي تعصبهما لمذهبهما أحياناً ، فالخازن كان أحياناً يميل إلي رأي الشافعي ويرجحه ، ولكن ليس عليه ذلك ، وكذلك إبن العربي في تفسيره غلب عليه روح التعصب لمذهبه ، وسأذكر مثإلا لتوضيح هذه الناحية .

قال تعالى : (وَاَتِمُوُا اَلْحَجَّ وَاَلْعُمْرَةَ للهِ)[3] ، ففي هذه الآية الكريمة نجد إبن العربي ينتصر لمذهبه المالكي في عدم وجوب العمرة ويرد علي من يستدل بهذه الآية علي وجوبها – فيقول : المسألة الرابعة : إختلف العلماء في وجوب العمرة ، فقال الشافعي : هي واجبة ويؤثر ذلك عن إبن عباس ، وقال جابر بن عبدالله : هي تطوع ، وإليه ذهب مالك وأبو حنيفة ثم يقول بعد ذلك : ليس في هذه الآية حجة للوجوب لأن الله سبحانه وتعالى إنما قرنها بالحج في وجوب الإتمام لا في الإبتداء ، فإنه إبتداء إيجاب الصلاة والزكاة وإبتداء بإيجاب الحج فقال تعالى : (وَللهِ عَلَيَ اَلْنَاَسِ حَجُ اَلْبَيْتِ مَنْ إِسْتَطَاَعَ إِلَيْهِ سَبِيلاَ)[4] ، فلما ذكر العمرة أمر بإتمامها ، كابتدائها فلو حج

[1] أحكام القرآن لابن العربي ، 37/1
[2] تفسير الخازن : 25/1
[3] سورة البقرة الآية (196)
[4] سورة ال عمران الآية (97)

عشر حجج ، أو إعتمر عشر عمر لزم الإتمام في جميعها ، وإنما جاءت الآية لإلزام الإتمام لا الإلزام الإبتداء [1] .

أما بالنسبة للخازن فكان يميل إلي مذهب الشافعي ويرجحه ، وسأورد مثالاً لتوضيح هذه الناحية

فقد عقد – رحمه الله – فصلاً في حكم البسملة فقال وفيه مسألتان : الأولي في كون البسملة من الفاتحة وغيرها من السور سوى سورة براءة ، إختلف العلماء في ذلك فذهب الشافعي وجماعة من العلماء إلي أنها أية من الفاتحة ومن كل سورة في أولها سوي سورة براءة وهو قول إبن عباس وإبن عمر وأبي هريرة وسعيد بن جبير وعطاء وإبن المبارك وأحمد في إحدي الروايتين عنه ، ونقل البيهقي هذا القول عن علي بن أبي طالب والزهري والثوري ومحمد بن كعب وذكر القائلين أن البسملة ليس بأية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وذكر حججهم ثم نقل حجج القائلين بالوجوب ، ثم قال : أي الخازن وقال البيهقي : أحسن ما أحتج به أصحابنا في أن بسم الله الرحمن الرحيم من القرآن وأنها من فواتح السور سوى سورة براءة ما روينا عن جميع الصحابة كتاب الله عز وجل في المصاحف وأنهم كتبوا فيها بسم الله الرحمن الرحيم علي رأس كل سورة سوي سورة البراءة ، فكيف يتوهم متوهم أنهم كتبوا فيها مائة وثلاثة عشر أية ليس من القرآن ، قال – أي الخازن – وقد علمنا بالروايات الصحيحة عن إبن عباس أنه كان يعد بسم الله الرحمن الرحيم أية من الفاتحة [2] .

ثالثاً : تقارب المنهجين في الجمع بين المأثور والرأي :

ومن ناحية أخرى فقد تقارب المنهجان في العناية بالمأثور والرأي علي السواء فقد بينت فيما سبق إهتمام الخازن – رحمه الله – بالجمع بين التفسير بالمأثور والرأي علي السواء ، فكذلك إبن العربي سار علي هذا المنوال في تفسيره .

وإليك هذا المثال علي سبيل الموازنة بين الكتابين ، قال تعالى : (وَاَتَوُا اَلْنِسَاءَ صَدَقَاَتِهِنَ نِحْلَةَ)[3] .

[1] أحكام القرآن ، لابن العربي ، 226/1
[2] تفسير الخازن ، 18/1
[3] سورة النساء الآية (4)

قال إبن العربي في تفسيره (المسألة الأولي) من المخاطب بالإيتاء ؟ وقد إختلف الناس في ذلك علي قولين :

1/ أحدهما : أن المراد بذلك الأزواج .

2/ الثاني : أن المراد به الأولياء ، قاله أبو صالح .

ثم قال : وإتفق الناس علي الأول وهو الصحيح لأن الضمائر وأحدة إذ هي معطوفة بعضها علي بعض في نسق واحد ، وهي فيما تقدم بجملته الأزواج فهم المراد ها هنا ، لأن الله تعالى قال : (وَإِنْ خِفْتُمْ ألا تُقْسِطُوا فِي اليتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فإن خِفْتُمْ ألا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى ألا تَعُولُوا وَآَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً) فوجب تناسق الضمائر وأن يكون الأول هو الأخرمنها [1]

ولو رجعنا إلي تفسير الخازن – رحمه الله – لنسمع ما يقول في هذا الآية الكريمة لو جدناه يقول الكلبي [2] وجماعة هذا خطاب للأولياء : قال أبو صالح [3] كان الرجل إذا زوج أيمة أخذ صداقها دونها فنهاهم الله عن ذلك ، وقال أن ولي المرأة كان إذا زوجها فإن كانت معهم في العشيرة لم يعطها من مهرها لا قليلاً ولا كثيراً ، وأن كان زوجها غريباً حملوها إليه علي بعير ولا يعطيها من مهرها غير ذلك فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم أن يدفعوا الحق إلي أهله وقال الحضرمي[4]: كان أولياء النساء يعطي هذا أخته علي أن يعطيه الأخر أخته ولا مهر بينهما ، وهذا هو الشغار فنهاهم الله عز وجل عن ذلك . وأمرهم بتسمية المهر في العقد .

ويقال الخطاب للأزواج وهذا أصح وهو قول الأكثرين لان الخطاب فيما قبل مع الناكحين وهم الأزواج أمرهم الله بإتيان النساء صدقاتهن [5].

فنلاحظ من هذين النصين ميل هذين المفسرين إلي التفسير بالمأثور .

---

[1] سورة النساء الاية-3، تفسير أحكام القرآن لابن العربي ، 165/2

[2] - هو إبراهيم بن خالد اليماني الكلبي المتوفي سنة 240هـ خير الدين الزركلي الاعلام ، 37/1

[3] - هو أمد بن عبد الملك بن علي أبو صالح المؤذن النيسابوري من رجال الحديث والتاريخ ، توفي سنة 470هـ المصدر السابق 1/ 163.

[4] - هو إ سماعيل بن محمد بن علي بن إسماعيل الحضرمي من فقهاء الشافعية توفي سنة 676هـ ، المصدر السابق 1/ 324

[5] تفسير الخازن ، 340/1.

رابعاً : إتفاق المنهجين في المذهب الإعتقادي

لقد كان الخازن وأبن العربي متفقين في العقيدة الدينية ، وكلاهما كان إن صدق هذا التعبير أشعريا المذهب . فالخازن قد عرفنا فيما سبق أنه كان يناصر أهل السنة ووقف مواقف مشرفة في الفرق الكلامية الأخرى .

كالمعتزلة والجهمية والشيعة وغيرهم فقام بإبطال حججهم وأدلتهم والتعريف بها وإدحاضها .

ومن خلال قرآءتي في هذا التفسير وجدت بفضل الله وتوفيقه بعض العبارات والدلائل التي يرد فيها إبن العربي علي الفرق المناوئة لأهل السنة كالمعتزلة وغيرهم .

قال تعلى : (قَاتِلُوا اَلْذِينَ لَاَ يُؤْمِنُونَ بِاِللهِ وَلَاَ بَاَلْيَوُمِ اَلْآخِر وَلَاَ يُحَرِمُوُنَ مَاَ حَرَمَ اَللهُ وَرَسُوُلُهُ وَلَاَ يُدِينُوُنَ دِيْنَ اَلْحَقْ مِنْ اَلْذِينَ أُوُتُوُا اَلْكِتَاَبَ حَتَىَ يَعْطَوُا اَلْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاَغِرُوُنَ) [1] وقال إبن العربي : في قوله تعالى : (وَلَاَ يُحَرِمُوُنَ مَاَ حَرَمَ اَللهُ وَرَسُوُلُهُ) نص في أفعاله التي متن أمهاتهم إرسال الرسل وتاييدهم بالمعجزات النازلة وقوله : صدقتم أيها الرسل ، فإذا أنكر أحد الرسل أو كذبهم فيما يخرون عنه من التحليل والتحريم ولأمر والندب فهو كافر ثم قال : إبن العربي – وكل جملة من هذه الوجوه الثلاثة له تفضيل تدل عليه هذه الجملة التي أشرنا بها ، إختلاف الناس في التفكير بذلك التفصيل والتفسيق والتخطئة والتصويب وذلك كالقول في التشبيه والتجسيم والجهة أو الخوض في إنكار العلم والقدرة والإدارة والكلام والحياة فهذه الأصول يكفر بها جاحدها بلا إشكال ، كقول المعتزلة : إن العباد يخلقون أفعالهم وأنهم يفعلون مالا يريده الله ، أن نفوذ القضاء والقدر علي الخلق بالنار جور ، وكقول المشبه : أن الباري جسم ، وأنه يختص بجهة وأنه قادر علي المجال وأنه تعالى قد نص علي كل حادثة من الأحكام ، وهذا كله كذب صراح [2] .

من هذا كله نستطيع أن نحكم بأن إبن العربي أشعري المذهب وهو بهذا مثل الخازن من الناحية العقدية .

---

[1] - سورة التوبة الآية (29)

[2] - تفسير أحكام القرآن لابن العربي 4/ 241.

خامساً : تقارب المنهجين في مجال القرآءآت :

يتفق الخازن مع إبن العربي في مسلك القرآءآت فالدارس لكتابيهما يلاحظ ولأول وهلة أنهما مقالين في مجال إيراد القرآءآت وتوجيهها بقدر ما يجلي النص ألقرآني ويبينه ، وكذلك فهما متفقان في ناحية أخرى وهي أنهما لا يذكرآن القرآءآت الشاذة .

وكذلك يتفقان في ناحية ثالثة وهي أنهما لا ينسبان القرآءآت إلي أصحابها ، بل يكتفيان غالباً بمجرد ذكر القرأة مجردة .

يبدو أن أبن العربي كان يتميز عن الخازن بنقطة بسيطة وهي أنه أحيانا كان يرجح إحدي القرآءتين إستناداً إلي القرآئتين التي تعد هذه القرآءة بخلاف الخازن الذي كان غالباً يذكر القرآءة مجردة دون ترجيح لقرآءة علي أخرى .

ونذكر هذا المثل الذي يوضح تقارب المنهجين في مجال القرآءآت ، قال تعالى (فَاعْتَزِلُوُا اَلْنِسَاءَ فِيِ اَلْمَحِيْضِ وَلَاَ تَقْرَبُوُهِنَّ حَتَىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَاَ تَطَهَرْنَ)[1] قرأء (وَلَاَ تَقْرَبُوُهِنَّ) مخففاً ، وقرأء حتى (يَطَّهَرْنَ) مشدداً ، والتخفيف وإن كان ظاهراً في إستعمال الماء ، فإن التشديد فيما ظهر كقوله تعالى : (وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبَاً فَاَطَّهَرُوُا) بالتشديد [2] .

فالملاحظ علي إبن العربي أنه ذكر القرآءتين دون أسماء القرآء وحسن قرآءة التشديد لما ساندها من القرآءآت لأخرى في بعض الآيات .

أما الخازن – رحمه الله – فوجدناه يقول في قوله تعالى : (حَتَىَ يَطَّهَرْنَ) يعني من الحيض ، والمعنى ولا تقربوهن حتي يزول عنهن الدم وقرئ يطهرن بتشديد الطاء ، ومعناه يغتسلن .[3]

فالخازن إكتفى بمجرد القرآءتين الورادتين دون ذكر أسماء القراء ، وكذلك دون ترجيح إحداهما علي الأخرى .

---

[1] - سورة البقرة الآية (222)

[2] - سورة المائدة الأية (6) ، أحكام القرآن لابن العربي : 2/ 241

[3] - تفسير الخازن ، 1/ 154

سادساً: تفويق الخازن علي إبن العربي في مجالي اللغة والنحو :

لقد إهتم الخازن في تفسيره بشرح المفردات اللغوية وإشتقاقها ، وكذلك عنى بذكر الأحكام الإعرابية والجوانب النحوية ، كل ذلك بقصد إجلاء الألفاظ القرآنية وبيان معنها .

بخلاف إبن العربي في تفسيره فقد كان مقلاً في هذه الناحية ولم يعن بالمعاني اللغوية والأوجه النحوية ، لانه في تفسيره ركز علي ناحية فقط وهي الأحكام الفقهيه وذكر ما يترتب عليها من مسائل فرعية .

من هنا بدا تفوق الخازن علي إبن العربي في هذا المسلك وأبرز ما يوضح هذا قوله تعالى : (إِنَّ اَلْصَفَاَء وَاَلْمَرْوَةَ مِنْ شَعَاَئِرِ اَللهِ فَمَنْ حَجَّ اَلْبَيْتَ أَوِ إِعْتَمَرَ فَلَاَ جُنَاَحَ عَلَيِهِ أَنْ يَطَوَفَ بِهِمَاَ)[1]

فالملاحظ أن الخازن قد تعرض لشرح جميع المفردات اللغوية في هذه الآية بخلاف إبن العربي الذي إقتصر علي كلمتين فقط وهما (الشعائر والجناح) من هذه المفردات ، فيقول إبن العربي بعد أن ذكر المسأله الأولي في سبب نزولها . المسألة الثانية قال علماء اللغة قوله تعالى : (مِنِ شَعَاَئِرِ اَللهِ) يعني من معالم الله في الحج ، وإحدتها : شعيرة ومنه إشعار الهدي أي علامة بالجرح وما علق عليه ، والمعنى فيه ما حصل به العلم لإبراهيم عليه السلام وأشعر به إبراهيم ، أي أعلم .

المسألة الثالثة : قوله تعالى : (فَلَاَ جُنَاَحَ عَلَيِهِ) الجناح في اللغة عبارة عن الميل كيفما تصرف ولكنه حصل بالميل إلي الإثم ثم عبر به عن الإثم في الشريعة وقد إستعمل العربر في الهم والاذي وجاء في أشعارها وأمثالها [2] .

بخلاف الخازن التي تعرض لجميع المفردات اللغوية الواردة في كل كلمة فقال (الصفا) : جمع صفاة وهي الصخرة الصلبة الملساء ، وقيل هي الحجارة الصافية . والمروة : جمع مرو ومروات ، وهذا أصلها في اللغة وإنما عني الله بهما الجبلين المعروفين بمكه في طرفي المسعي وكذلك أدخل فيهما الألف واللام ، (شعائر الله) علامة دينه ، فأصلها من الإشعار وهو الإعلام

[1] - سورة البقرة الآية (158)
[2] - تفسير ابن العربي ، 1/ 83

وإحدتها شعيرة وكل ما كان معلماً لقربان يتقرب به إلي الله من صلاة ودعاء وذبيحة فهو شعيرة من شعائر الله ، ومشاعر الحج : معالمه الظاهرة للحواس ويقال : شعائر الحج فيقال المطاف والوقوف ، والمنحر كلها شعائر والمراد الشعائر هنا : المناسك التي جعلها الله أعلاماً لطاعته ، فالصفا والمروة من حيث يسعي بينهما . (فَمَنْ حَجَّ اَلْبَيْتَ) : أي قصد البيت وهذا أصله في اللغة ، وفي الشرع ، عبارة عن أفعال مخصوصة لإقامة المناسك ، (أَوِ إِعْتَمَرَ) أي زار البيت ، والعمرة : الزيارة ففي الحج والعمرة المشروعين قصد وزيارة (فَلَاَ جُنَاَحَ عَلَيِهِ) أي فلا إثم عليه ، وأصله من جنح إذا مال عن القصد المستقيم ، (أَنْ يَطَوَفَ بِهِمَاَ) : أي يدور بهما ويسعي بينهما[1] .

وفي مجال النحو أذكر هذه الآية علي سبيل المثال لا الحصر قوله : (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) قال الخازن في تفسير في الباء في قوله (بِسْمِ اللهِ) حرف خافض يخفض مابعده مثل من ، عن ، والمتعلق بهم ضمير محذوف لدلالة الكلام عليه تقديره أبدا باسم الله أو بسم الله ابدأ أو أقرأ، وإنما طولت الباء في بسم الله وأسقطت الألف طلباً للخفة ، وقيل أسقطوا الألف ردوا طولها على الباء ليدل طولها على الألف المحذوفة ، وأثبت الألف في قوله تعالى (فَسَبِّحْ بِإِسْمِ رَبِكَ اَلْعَظِيْمِ) [2] لقلة إستعماله ، وقيل : إنما طولوا الباء لانهم أرأدوا أن يستفتحوا كتاب الله بحرف عظيم .[3]

وبالرجوع إلي تفسير إبن العربي لم أجده يتعرض لهذه الوجوه الإعرابية في الباء وإنما تطرق إلي مواضيع فقهية أخرى .

سابعاً : إختلاف المنهجين في مجال الإسرائيليات :

إختلاف المنهج الإسرائيلي وأضح بين هذين الرجلين الجليلين ، فالخازن كما هو معروف مكثر للقصص الإسرائيلي سرداً ونقلاً عن التفاسير الأخرى دون مناقشة أو تعقيب وهو الذي يتتبعه بالنقض والإبطال .

---

[1] -تفسير الخازن : 97/1

[2] - سورة الواقعة الآية (74)

[3] - تفسير الخازن 16/1

أما إبن العربي فيختلف منهجه كثيراًعن منهج الخازن ، فهو وإن كان مقالاً يذكر الروايات الإسرائيليات أخذ منها موقف الحيطة والحذر فضلاً عن ما ينتقده في كتابه إلي أن هذه الرويات ضعيفة لا يصح سندها . ولا أدل على تحفظه عن هذه الرويات وسرده القصص الإسرائيلية ما ذكره في تفسيره من قاعدة عامة علي أساسها تقبل هذه الروايات الإسرائيلية أم ترد ، وكانت هذه القاعدة مبدأعاماً سار عليه في كتابه هذا . حيث قال في تفسيره (المسألة الثانية) في الحديث عن بني إسرائيل قال : كثير إسترسال العلماء في الحديث عنهم في كل طريق ، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج [1] ، ومعنى هذا الخبر : الحديث عنهم بما يخبرون به عن أنفسهم وقصصهم ، لا بما يخبرون به عن غيرهم ، لأن أخبارهم مفتقره إلي العدالة والثبوت إلي منتهى الخبر وما يخبرون به عن أنفسهم فيكون من باب إقرار المرءعلي نفسه أو قومه فهو أعلم بذلك .[2]

من هذا يظهر لنا أن إبن العربي كان موقفه من الإسرائيليات في قوله تعالى : (وَاتَّبَعُوا مَاتَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَيَ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَاكَفَرَ سُلَيْمَانَ)[3] يذكر القصص في هذه الآية نقلا عن المفسرين ، ثم ياخذ نقد ماجاء في هذا القصص وبيان مايتضمنه من تهافت وبطلان فيقول :

المسألة الأولي : ذكرها الطبري وغيره في تفسير هذه الآيه أن سليمان – عليه السلام – كانت له إمرأة يقال لها (جرادة) تكرم عليه ويهواها فاختصم أهلها مع قومه فكان صفو سليمان – عليه السلام – إلي أن يكون الحكم لأهل جراده فعوقب ، وكان إذا أراد أن يدخل الخلاء ، أو بإحدي نسائه أعطاها خاتمه ، ففعل ذلك يوماً فألقي الله تعالى صورته علي شيطان فجاءها وأخذ الخاتم ولبسه ، ودانت الجن والإنس له ، وجاء سليمان – عليه السلام – بعد ذلك يطلبه فقالت له : الم تأخذه ؟ فعلم أنه إبتلي وعلمت الشياطين أن ذلك لا يدوم لها فإغتنمت الفرصة فوضعت أوضاعاً من السحر والكفر ، وفنونا من النيرجات [4] ، وسطروها في مهاريق [5] ، وقالوا هذا ماكتبه أصف بن برخيا ، فدفنوها تحت كرسيه ، وعاد سليمان إلي حاله وأستأثر الله تعالى

[1] - أحمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري ، ت256هـ ، الجامع الصحيح ، كتاب الانبياء ، باب ماذكر عن بني إسرائيل طبعة دار الفكر ، بيروت لبنان 945هـ : 207/4

[2] - احكام القرآن لابن العربي ، 40/1

[3] -سورة البقرة الآية : (102)

[4] - النيرج : أخذ تشبيه السحر وليست بحقيقتة ولا كالسحر إنما تشبيه وتلبيس ، محمد بن مكرم بن منظور ، ت711هـ لسان العرب ، ط2، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2/ 247

[5] -المهاريق هي الصحائف ، المصدر السابق ، 315/10

به فقالت الشاطين للناس : إنما كان سليمان يملكهم بأمور اكثرها تحت كرسيه فيها علوم غريبة ، فأحتفروها عليه ففعلوا وأستأثروها فنفذ عليهم القضاء ، فصار في أيديهم تناقلته الكفرة والفلاسفة عنهم ، حتي وصل ذلك إلي يهود الحجاز فكانوا يعملونه ويعلمونه ، ويصرفونهم في حوائجهم ومعايشهم وكانوا بين جاهلية جلاء وأمة عمياء ، فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق ، ونور القلب وكشف قناع الألباب لجأت اليهود إلي تعليق ما كان عندها من ذلك لسليمان عليه السلام وتزعم أنه لما نزل علي جبريل وميكائيل – عليهما السلام – علي سليمان – وكان ذلك قد حمل قوماً قبل المبعث على أن يتبرأوا من سليمان – عليه السلام فأنزل الله تعالى الأية.

المسألة الثانية : هذا الذي ذكرناه آنفاً مما فيه الجرح في ذكره عن بني إسرائيل لما قدمناه من أنه إنما يؤذن لنا أن نتحدث عنهم في حديث يعود إليهم وما كنا لنذكر هذا لولا أن الدواوين قد شحنت به أما قولهم : بأن شيطاناً تصور في صورة ملك أو نبي فأخذ الخاتم فباطل قطعاً لأن الشياطين لا تتصور علي صورة الملائكة ولا صور الأنبياء وقد بينا ذلك مبسطاً في كتاب (النبي) وأما دفنها تحت كرسي سليمان – عليه السلام – فلايمكن أن لا يعلم بذلك وتبقى حتي يفتن بها الخلق بعده وقد روي أن سليمان أخذها ودفنها تحت كرسيه ، وذلك بما لا يجوز عليه وأنه لم يكن سحراً أما لو علم أنها سحر فحقها أن تحرق أو تغرق ولا تبقي عرضه للنقل والعمل [1]

[1] - تفسير الحكام القرآن لابن العربي 48/1

المطلب الأول

أهمية السنة كمصدر من مصادر التفسير

التعريف بالسنة لغةً وأصطلاحاً :-

أصل السنة لغة وأصطلاحاً : من السنن وهو الطريق ، قال الجوهري في الصحاح: السنن الطريقة ، يقال إستقام . علي سنن واحد ، ويقال : أمض علي سنتك وسنن ، أي علي وجهك قال: وجاءت الريح سنائن ، إذا جاءت علي طريق واحد لا تختلف[1] .

فالسنة والسيرة بمعني واحد وهي الطريقة التي إعتاد الإنسان عليها في أمور فلا يسمي العمل سنة إلا إذا تكرر وهذا هو المفهوم من إستعمال القرآن لهذه الكلمة كما في الأمثلة الآتية :

1/ قوله تعالى : (وَمَاَ مَنَعَ اَلْنَاَسَ أنْ يُؤْمِنُوًا إِذْجَآءَهُمُ اَلْهُدَىَ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَهُمُ إِلَاَ أنْ تَأتِيَهُمُ سُنَّةُ أَلْأَوَلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ اَلْعَذَاَبُ قُبُلَاَ) [2]

2/ قوله تعالى: (قُلْ لَلَذِينَ كَفَرُوا إِن يَنْتَهُوا يَغْفِر لَهُمْ مَاَقدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُوُدوُا فَقَدْ مَضَتْ سُنَةْ اَلْاَوَلِينَ) [3]

3/ قوله تعالى : (سُنَة مَنْ قَدْ أَرْسَلَنَاَ قَبْلَكَ مِنْ رُسُلَنَاَ وَلَاَتَجِدُ لِسُنَتِنَاَ تَحْوِيلَاً)[4]

والسنة في الإصطلح يختلف معناها حسب المصطلحين :

فعند المحدثين : تطلق ويراد بها كل ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفه خليقة أو سيرة قبل النبوة وبعدها .

وعند الأصوليين : هي ما أضيف إلي النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير .

وعند علماء أصول الدين : هي مايقابل البدعة فيقال : هذه سنة وهذه بدعة فالسنة هنا إذن تدل علي المشروع سواء ثبت بالقرآن أو بالسنة [5] .

وعند الفقهاء : هي مايقابل الواجب أو الفرض ، أي ما طلب فعله طلباً غير جازم وهو المندوب [6]

---

[1] - اسماعيل بن حماد الجوهري – الصحاح – تحقيق أحمد عبد الغفور – دار العلم للملايين – 1418هـ - 1998م : 2/ 15659

[2] - سورة الكهف الآية (55)

[3] - سورة الانفال الآية (38)

[4] - سورة الاسراء الآية (77)

[5] - الدكتور : محمد كبير يونس ، أصول التفسير ، دار الامة ط1 ، 1425هـ ، 2005 م ص 155

[6] - محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، ت1250 هـ ، ط دار الفكر بدون تاريخ ص33

وتأتي أهمية السنة كمصدر من مصادر التفسير لأن القرآن الكريم دل علي أن السنة هي التفسير الصحيح له بعد تفسيره بضعه ببعض فقد قال تعالى : (لاَ تُحَرِكَ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَاَ جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَاَ قَرَأنَاَهُ فَأتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَ إنَّ عَلَيْنَاَ بَيَانَهُ)1 وقال تعالى : (وَاَنْزَلْنَاَ إِلَيْكَ اَلْذِكْرَ لَتُبَينَ لِلنَاَسِ مَاَنُزِلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَهُمْ يَتَفَكَرُوُنَ) 2 فدلت هذه الآيات علي أن الله عز وجل قد تكفل لرسوله صلى الله عليه وسلم ببيان معاني مانزل عليه من القرآن ، ثم كلفه ببيان ذلك للناس .

قال إبن عباس رضي الله عنهما في بيان سبب نزول سورة القيامة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل جبريل بالوحي مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه ويعرف منه ، فانزل الله : (لاَ تُحَرِكَ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَاَ جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)3 فإذا انزلناه فاستمع (ثُمَ إنَّ عَلَيْنَاَ بَيَانَهُ) علينا أن نبينه بلسانك فكان إذا أتاه جبريل أطرق ، فإذا ذهب قرآه كما وعد الله 4 .

وقال تعالى :

(وَمَاَ أَنزَلْنَاَ عَلَيْكَ اَلْكِتَاَبَ إلاَ لِتُبَيِّنَ لَهُمْ اَلْذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدَى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُوُنَ) 5 .

وقد قام النبي صلى الله عليه وسلم بما كلفه الله به في بيان القرآن أحسن قيام ، وشرح لصحابه معاني القرآن مع تبليغه للالفاظ ، لذلك قال أبو عبد الرحمن السلمي التابعي الكبير : حدثنا الذين كانوا يقرأون القرآن ، كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما : أنهم إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر أيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا مافيها من العلم والعمل ، قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل معاً6 .

وقد ذكر الله عز وجل في كتابه أن السنة منزلة من عند الله كالقرآن لذلك قد ذكرها في كتابه في أكثر من آية وقال تعالى : (وَاَذْكُرُوا نِعْمَتَ اَللهِ عَلَيْكُمْ وَمَاَ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ اَلْكِتَاَبِ وَاَلْحِكْمَةَ يَعِظَكُمْ بِهِ وَاَتَقُوا اَللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اَللهَ بِكُلِ شَئٍ عَلِيمَ)7 .

قال تعالى : (وَاَنْزَلَ اَللهُ عَلَيْكَ اَلْكِتَاَبَ وَاَلْحِكْمَةَ وَعَلَمَكَ مَاَلَمْ تَكُنْ تَعْلَمَ وَكَاَنَ فَضْلُ اَللهِ عَلَيْكَ عَظِيمَاَ)8 وقال تعالى : (وَاَذْكُرْنَ مَاَ يُتْلَيَ فِي بُيُوتُكُنَ مِنْ اَيَاَتِ اَللهِ وَاَلْحِكْمَةِ إنَّ اَللهَ كَاَنَ لَطِيفاً خَبِيرَاً)9

وقال الشافعي – رحمه الله – فذكر الله الكتاب ، وهو القرآن ، يقول الحكمة سنة رسول الله قال الشافعي : وهذا يشبه ما قال والله اعلم [10] .

---

[1] - سورة القيامة الآيات : (16 – 19)
[2] -سورة النحل الآية : (44)
[3] - سورة القيامة الآيات : (16 – 19)
[4] - الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ت 852هـ ، مطبعة الفكر 1411هـ - 1991م / 688- 6889
[5] - سورة النحل الآية (64)
[6] -شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، مجموع الفتاوي ، مقدمة التفسير ، ص 5
[7] -سورة البقرة الآية (231)
[8] -سورة النساء الآية (113)
[9] - سورة الاحزاب الآية (34)
[10] - الامام المطلبي بن ادريس الشافعي ت 204هـ ، الرسالة ، طبعة دار الفكر لتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر بدون تاريخ ص 78

المطلب الثاني

أوجه بيان السنة للقرآن

إهتم العلماء منذ أقدم العصور الأولى ببيان السنة للقرآن ، وذلك غالباًعند حديثهم عن صله السنة ومكانتها في الشريعة ، وأهم من إهتم بتفصيل هذه الأوجه هما ، الإمام محمد بن إدريس الشافعي 1 والإمام أبو إسحق الشاطبي 2

وسأكتفي في هذه الفقره بعرض كلامهما ملخصاً إن شاء الله .

أولاً : أوجه بيان السنة للقرآن عن الإمام الشافعي :

أهتم الإمام الشافعي كثيراً في كتابه الرسالة بالدفاع عن السنة وبيان حجتها مع الكتاب ودورها في بيان الأحكام وفي إطار ذلك أكد عدم مناقضة السنة للقرآن الكريم ، بل علي العكس من ذلك دائماً تعاضده وتشرحه ، وأما أوجه شرح السنة للقرآن وأنواعة فتتلخص عنده فيما ياتي :

1/ بيان المجمل : وفي ذلك يقول الشافعي (ومنه ما أحكم الله فرضه بكتابه وبين كيف هو علي لسان نبيه ، مثل عدد الصلاة والزكاة وغير ذلك من فرائضه إلي أُنزل في كتابه)3 .

وذكر في مكان أخر أن من جمع كتاب الله المعرفة بالوضع الذي وضع الله به نبيه ، من الإنابة عنه فيما فرضه في كتابه وبينه علي لسان نبيه – وما أراد بجميع فرائضه ومن أراد ، أكل خلفه أو بعضهم دون البعض4 .

2/ تقييد المطلق : ومن أوجه بيان السنة للقرآن عند الشافعي تقييد المطلق ، وهو لم يذكره بعنوانه ، ولكنه مثل له بما يدل علي حقيقة ، وهو في صدر بيان ما جاء له بما يدل علي حقيقته ، وهو في صدر بيان ما جاء عاماً ولست السنة علي أنه يراد الخاص ومثل لذلك بالمواريث ، فذكر قول الله تعالى (مِنْ بَعْدِ وَصِيَةٍ يُوصِينَ بِهَاَ أو دَيْنٍ) 5 ، قال فأبان النبي صلى الله عليه وسلم أن الوصايا مقتصد بها علي الثلث لا يتعدى ذلك 6 .

---

[1] - هو محمد بن ادريس الشافعي ، ينتهي نسبة إلي لؤي بن غالب ، الامام عالم العصر ، ناصر الحديث فقه صنف في اصول الفقة وفروعة ، محي الدين محمد بن أحمد بن عثمان 0الذهبي ، ت 748هـ مؤسسة الرسالة بيروت ، لبنان ط 7 1990

[2] - هو هارون بن جعفر أبو محمد الشاطبي قاضي في فقه المالكية توفي سنة 582 هـ خير الدين الزركلي ، الاعلام : 59/8

[3] الرسالة ، محمد بن إدريس الشافعي ، ص22

[4] المصدر السابق ، ص41

[5] - سورة النساء الآية : (12)

[6] -محمد بن ادريس الشافعي ، الرساله ، ص: : 64

3/ تخصيص العام : وكما تفيد السنة مطلق الكتاب كذلك تخصيص عامة ، نص علي ذلك نصاً حيث قال : باب ما نزل عاماً دلت السنة خاصة علي أن يراد به الخاص 1 .

وقال أيضاً في مكان أخر (الغرض المنصوص الذي دلت السنة علي أنه إنما أراد الخاص)2، ومثل لذلك بالمواريث ثم قال (فدلت السنة علي أن الله إنما أراد ممن سمي له بالمواريث من الإخوة والأخوات والولد والأقارب والوالدين والأزواج وجميع من سمي له فرصه في الكتابه خاصاً ممن سمي الله ، وذلك بان يجتمع دين الوارث والموروث فلا يختلفان ، ويكونان من أهل دار المسلمين ومن له عقد من المسلمين يأمن به علي ماله ودمه ، أو يكونان من المشركين فيتوارثان بالشرك) .

ثم ذكر بسند عن أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا يرث المسلم الكافر ولايرث الكافر المسلم) 3

4/ بيان النسخ : ومن أوجه بيان السنة للقرآن عند الشافعي بيان الناسخ والمنسوخ ، فقد ذكره وهو يصدربيان أنواع مابين القرآن والسنة من الصلة ، أن منها (الإستهلال بسنته علي الناسخ والمنسوخ في كتاب الله) 4 ومثل لذلك بأمور ، منها نسخ وجوب قيام الليل بالفرض ونسخ إستقبال بيت المقدس بإستقبال الكعبة ونسخ حبس الزواني ، وإيذاء الزناة بالجلد والرجم 5 .

5/ بيان التأكد : ومن أوجه بيان السنة للقرآن أيضاً عند الشافعي تأكد ما فيه ، وقد ترجم له الشافعي بقوله : (الفرائض المنصوصة التي سن رسول الله معها) ومثل لذلك بفرائض الوضوء ، والغسل من الجنابه ، ثم جاءت سنن تؤكد هذه الفرائض 6 .

ثانياً : أوجه السنه عند الإمام أبي إسحاق الشاطبي :

1/ بيان المجمل : وهو الوجه المشهور عند العلماء كما قال الشاطبي[7] كالأحاديث التي جاءت في بيان ما أجمل من الأحكام اما بحسب كيفيات العمل أو أسبابه أو شروطه أو موانعه أو لواحقه – كبيان الصلوات علي إختلاف في مواقيتها وركوعها وسجودها وسائر أحكامها وبيان

---

[1] -المصدر السابق ص 65

[2] -المصدر السابق ص 167

[3] - نفس المصدر السابق ، ص168-69 الحديث اخرجه الامام مالك بن انس الموطأ ، باب ميراث أهل الملك رقم 259 طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان تاريخ : 4/ 10.

[4] - المصدر السابق ، ص : 106

[5] - المصدر السابق ، ص- 113-146

[6] - محمد بن ادريس الشافعي ، الرساله ، ص 161- 166

[7] -هارون بن أحمد بن جعفر أبو محمد الشاطبي ت 582 هـ الموافقات في أصول الاحكام ، مطبعة دار الفكر ، بدون تاريخ

الزكاة في مقاديرها وأوقاتها ونصب الأموال المزكاة وتعيين ما يزكي مما لايزكي ، وغير ذلك مما ذكر .

2/ التفريع علي ماجاء في القرآن من الإصول وحاصلة أن القرآن جاء يحفظ أصول مصالح العباد ، وهي الدين والنفس والعقل والمال والنسل والعرض في مستوياتها الثلاث الضروريات – والحاجات ، والتحسينات ، ثم جاءت السنة بتفصيل جزيئات هذه المصالح زيادة علي ما ورد في القرآن الكريم ، فكل ماجاء في السنة إذن مما لم ياتٍ في القرآن نصاً يعتبر شرحاً لمقاصد القرآن[1].

3/ أن يقع في القرآ ن الكريم النص علي أمور ذات طرفين ، فيوجد بعض القضايا التي يشتبه أمرها ، فتأتي السنة فتبين إندارجها تحت إحدى الوجوه المنصوص عليها في القرآن وضرب لذلك **أمثله منها :-**

أ/ إن الله حرم الزنا وأحل الزواج وملك اليمين ، وسكت عن النكاح المخالف للمشروع ، فإنه ليس بنكاح محض ، وليس بسفاح محض فجاءت السنة فأعطته حكماً بين الحاكمين فقال صلى الله عليه وسلم (أيما أمراة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل فنكاحها باطل فنكاحها باطل ، فإن دخل بها فلها المهر بما إستحل منها) 2

ب- أحل الله الزكاة وحرم الميتة وسكت في كتابه عن الجنين تذكى أمه ، فجاءت السنه فالحقته المذكاة لكونه يشبه أن يكون جزءاً من أمه كسائر أعضائها [3] .

4- القياس على ماورد حكمه في الكتاب : وذكر لذلك أمثله منها :

أ-أن الله حرم الجمع بين الأختين في الكتاب ، لعله قطع الرحم فجاءت السنه فاضافت عليه الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها.

ب- إن الله ذكر القصاص في النفس والديه فيها ، وذكر القصاص في الأطراف ولم يذكر ديتها فجاءت السنه بدية الأطراف قياساً على دية النفس[4] .

هذه هي الوجوه التي ذكرها العلماء ببيان السنه للقرآن .

---

[1] - المصدر السابق ، 15/4/ 16

[2] - أبو عيسي محمد بن عيسي سورة الترمذي ، سنن الترمذي ، باب ماجاء لا نكاح الا بولي ،رقم الحديث 1021 طبعه دار الكتب العلميه بيروت لبنان ،1998 م

[3] -هارون بن احمد بن جعفر أبو محمد الشاطبي :22/21/4

[4] المصدر السابق :25/22/4

المطلب الثالث

مصادر الخازن في الحديث

أهتم الخازن بالحديث النبوي الشريف وأكثر منه ، حتى ماتكاد تخلو صفحة من صفحات كتابه من حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، كما التزم بيان حكم الحديث وشرح غريبه وحل مشكلاته إن وجدت ودفع ما يوهم التعارض من ذلك .

وقد كان من منهجه إستعمال الرموز في عزو الحديث ، غالباً وأنك لترى رمز ق ، ح ، م[1]، ظاهره كثيرة منورة لصفحات كتابه رحمه الله وقد إعتمد على الكتب الصحيحة المعتمدة في الرواية وهي :

أولاً: الجامع الصحيح (للإمام البخاري) :

هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري مولده في شوال سنه 194 هـ طلب العلم صغيراً ورد على بعض مشايخه غلطاً وهو في إحدى عشر سنة فأصلح كتابه من حفظه ، سمع الحديث ببلدة بخاري ثم رحل إلي عدة أماكن وسمع الكثير وألف الصحيح منه زهاء ستمائة ألف حديث ، ألفه بمكة وقال : وما إدخلت فيه إلا الصحيح ، وأحفظ مائة ألف حديث صحيح ، ومائتي ألف حديث غير صحيح . كانت وفاته بقرية سمرقند وقت العشاء ليلة السبت عيد الفطر سنه 256 هـ ولم يخلف ولداً [2] .

ثانيا : صحيح مسلم :

هو الإمام المسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ولد سنة 204 هـ وطلب علم الحديث صغيراً ، وسمع من مشايخ البخاري وغيرهم وروى عنه أئمة من كبار عصره وألف المؤلفات النافعة ، وأنفعها صحيحه الذي فاق بحسن ترتيبه وحسن سياغه وبديع طريقته وحاز نفائس التحقيق وللعلماء في المفاضله بينه وبين صحيح البخاري وأنصف بعض العلماء في قوله :

تشاجر قوم في البخاري ومسلم *** لدى وقالوا : أي ذين تقدم .

فقلت : لقد فاق البخاري صحة *** كما فاق في حسن الصناعة مسلم

---

[1] -/تفسير الخازن 4/1

[2] الاعلام للزركلي :24/6

وكانت وفاته سنه 261 هـ ودفن يوم الاثنين بنيسابور وقبره بها مشهور مزور[1] .

ثالثاً : الجامع الصحيح للإمام الحافظ أبي عيسى الترمذي :

هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي نسبه إلي مدينه قديمه على طرف جيحون ،سمع الحديث عن البخاري وغيره من مشايخ البخاري ، وكان إماماً ثبتا حجا ، والف كتاب السنن وكتاب العلل ' وكان ضريرا قال :عرضت كتابي هذا :أي كتاب السنن المسمى بالجامع على علماء الحجاز والعراق وخراسان ، فرضوا به ، ومن كان في بيته فكأنما في بيته نبي يتكلم ، قال الحاكم : سمعت عمر بن عبد الملك يقول : توفي البخاري ولم يخلف لخراسان مثل أبي عيسى في العلم والحفظ والورع والزهد وكانت وفاته بترمذ في أوأخر رجب سنه 267 هـ 2

رابعا : سنن أبي داود لإبن داؤد السجستاني :

وهو سليمان بن الأشعث السجستاني مولد سنه 202 هـ سمع الحديث من أحمد والقعنبي وسليمان بن حرب وغيرهم ، وقال : كتبت عن النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة ألف حديث ، إنتخبت منها ما تضمنه كتاب السنن و أحاديثه أربعه ألأف حديث وثمانمائة ليس فيها حديث أجمع الناس على تركه [3] .

خامسا: الموطأ للإمام مالك بن أنس رضى الله عنه :

هو مالك بن أنس بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الإمام فقيه الأمة إمام دار الهجرة ، وقال الشافعى : إذا ذكر العلماء فمالك النجم وقال : لولا مالك وإبن عيينة لذهب علم الحجاز ، توفي سنه 76 هـ [4] .

سادسا : المسند للإمام أحمد بن حنبل الشيباني :

هو الإمام أحمد هو أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل ، ولد الإمام أحمد في شهر ربيع الأول سنه 264 هـ وطلب العلم صغيراً ورحل لطلبه إلي الشام والحجاز واليمن وغيرها ، حتى أجمع على إمامته وتقواه و ورعه وزهده قال أبو زرعه : كانت كتبه أثني عشر جملتاً ، وكان يحفظها عن ظهر قلب وكان يحفظ ألف ألف حديث وألف المسند أعظم المسانيد وأحسنها وضعاً ، فإنه

[1] -الاعلام للزركلي :221/7
[2]- المصدر السابق 322/9
[3] -تهذيب الكمال :172/1
[4] -تذكرة الحفاظ :207/1

لم يدخل فيه إلا ما يحتاج به ، مع كونه إنتقاه من أكثر من سبعمائه ألف حديث وخمسين ألف حديث وكانت وفاته سنة 241هـ علي الصحيح ببغداد وقبره معروف مزور[1]

سابعاً : سنن النسائي للإمام الحافظ أبي عبدالرحمن بن شعيب النسائي

والنسائي هو أحمد بن شعيب الخراساني ، ذكر الذهبي أن مولده سنة 215هـ ، وسمع من سعيد وإسحق بن راويه وغيرهم من أئمة هذا الشأن وتفرد بالمعرفة والإتفاق وعلو الإسناد وإستوطن مصر وسننه أقل السنن بعد الصحيحين حديثاً ضعيفاً وأختار من سننه المجتبي لما طلب منه أن يفرد الصحيح من السنن وكانت وفاته يوم الإثنين سنة 303هـ ودفن ببيت المقدس ونسبته إلي نساء وهي مدينة خراسان [2] .

ثامناً : سنن الدار قطني للإمام علي بن عمر الدار قطني :

هو الإمام علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبدالله البغدادي ، الشافعي (أبو الحسن) محدث حافظ ، فقيه مقرئ أخباري لغوي سمع من أبي القاسم البغوي وخلق كثير ببغداد والكوفة والبصرة و واسط ، ورحل في كهولته إلي مصر والشام من تصانيفه ، المختلف والمؤتلف في أسماء الرجال ، غريب اللغة ، كتاب القرآءآت ، كتاب السنن ، ولد في ذو القعدة سنة 308هـ ، وتوفي ببغداد في ذو القعدة سنة 385هـ ، ودفن قريباً من معروف الكرخي[3] .

تاسعاً : سنن إبن ماجه لأبي عبدالله بن محمد الغزويني :

هو الإمام أبو عبدالله محمد بن يزيد بن عبدالله بن ماجه القزويني ، طلب العلم ورحل في طلبه وطاف البلاد ، وكان أحد الأعلام ، وألف السنن وليس لها رتبة ما ألأف قبله لأن فيها أحاديث ضعيفة ، بل منكرة ولد سنة 207هـ وكانت وفاته يوم الثلاثاء 8 رمضان 273هـ[4] .

عاشراً : جامع الأصول في أحاديث الرسول لأبي الأثير الجزري :

هو مجدالدين بن الأثير الجزري ، أبو السادات المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني ، المعروف بإبن الأثير الجزري ، الملقب مجد الدين ، له المصنفات البديعة والرسائل الوسيعة منها : جامع الأصول في أحاديث الرسول جمع فيه بين

---

[1] الإعلام للزركلي : 35/6

[2] المصدر السابق .

[3] معجم المؤلفين : 157/7

[4] الإعلام للزركلي : 144/7

الصحاح الستة ، ومنها كتابه النهاية في غريب الحديث في خمسة مجلدات ، وكتاب الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف في تفسير القرآن الكريم ، أخذه من الثعلبي والزمخشري ، وله كتاب المصطفي والمختار في الأدعية والأذكار ، وله كتاب لطيف في صنعه الكتابة ، وكتاب البديع في شرح الفصول والنحو لإبن الدهان ، وله ديوان رسائل ، وكتاب الشافي في مسند الإمام الشافعي وغير ذلك من التصانيف وكانت وفاته في سنة 606هـ [1] .

الحادي عشر : المسند للإمام الحافظ الكبير عبدالله بن الحميدي :-

هو الإمام محمد بن فتوح بن عبدالله بن فتوح بن حميد الأزدي الحميدي أبا عبدالله بن أبي نصر مؤرخ محدث ، أندلسي أصله من قرطبة ظاهري المذهب وهو صاحب إبن حزم وتلميذه رحل إلي مصر ودمشق سنة 448هـ وأقام ببغداد وتوفي بها من كتبه : الذهب المبسوط في وعظ الملوك ، وتسهيل السبيل إلي علم الترسيل ، ونوادر الأطباء والجمع بين الصحيحين وتفسير غريب ما في الصحيحين ، وبلغه المستعجل [2] .

الثاني عشر : صحيح إبن خزيمة لأبي بكر محمد بن إسحق النيسابوري :

هو الإمام محمد بن إسحق بن خزيمة السلمي ، إمام نيسابور في عصره ، كان فقيهاً مجتهداً ، عالماً بالحديث رحل إلي العراق والشام ، ولقبه السبكي بإمام الأئمة .

تزيد مصنفاته علي مائة وأربعين ، منها : كتاب التوحيد وإثبات صفة الرب ، ومختصر المختصر المسمى صحيح بن خزيمة توفي سنة 544هـ [3] .

الثالث عشر : المستدرك علي الصحيحين : للحاكم النيسابوري :

هو الإمام الحاكم بن البيع النيسابوري أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدوية بن نعيم بن الحكم الضبي المعروف بالحاكم النيسابوري الحافظ المعروف ، بابن البيع ، إمام أهل الحديث في عصره والمؤلف فيه الكتب التي لم يسبق إلي مثلها ، كان عالماً عارفاً واسع العلم ، تفقه علي أبي سهل محمد بن سليمان الصعلوكي الفقيه الشافعي ، ثم إنتقل إلي العراق وقرأ علي يد علي بن أبي هريرة الفقيه ، ثم طلب الحديث وقلب عليه فاشتهر به وسمعه من جماعة لا يحصون كثرة ، صنف في علومه ما يبلغ ألفاً وخمسمائه جزء منها : الصحيحان ، والعلل والأمالي ، وفوائد الشيوخ ، وأمالي العشيات ، وتراجم الشيوخ . وأما ما تفرد بإخراجه فمعرفة

[1] وفيات الأعيان : 141/4
[2] المصدر السابق : 282/4
[3] الاعلام للزركلي : 29/6

علـوم الحـديث ، وتـاريخ علمـاء نيسـابور ، والمـدخل علـي علـم الصـحيح ، والمسـتدرك علـي الصحيحين ، وفضائل الشافعي ، وما تفرد بـه كل من الإمامين ، ولد في شهر ربيع الأول سنة 321هـ نيسابور وتوفي بها يوم الثلاثاء سنة 405هـ ، وإنما عرف بالحاكم لتقلده القضاء – رحمه الله [1] .

وبـين الخـازن منهجـه فـي الحـديث فيقـول : (فمـا أوردت فيـه مـن الأحاديـث النبويـة والأخبـار المصطفوية علي تفسير أية أو بيان حكم ، فإن الكتاب يطلب من السنة ، وعليها الشرع وأحكام الدين عزوته إلي مخرجه وبينت إسم ناقله ، وجعلت عوض كل إسم حرفاً يعرف بـه ليهون علي الطالب طلبه فما كان من صحيح أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري فعلامته قبل ذكر إسم الصحابي الراوي للحديث (خ) وما كان من صحيح أبي الحسين مسلم أبي الحجاج النيسابوري فعلامته (م) وماكان مما إنفقا عليه فعلامته (ق) وما كان من كتب السنن أبي داؤد والترمزي والنسائي فإني أذكر إسمه بغير علامة وما لم أجده في هذه الكتب ووجدت البغوي قد أخرجه بسند لـه إنفرد بـه قلت روى البغوي بسنده ، وما رواه البغوي بإسناد الثعلبي قلت : روي البغوي بإسناد الثعلبي ، وما كان فيه من أحاديث زائدة وألفاظ متغيره فاعتمد فإني إجتهدت في تصحيح مـا أخرجتـه مـن الكتـب المعتبرة عنـد العلمـاء كـالجمع بـين الصـحيحين للحميـدي وكتـاب جـامع الأصول لأبي الأثير الجزري ثم عوضت عن حذف الإسناد شرح غريب الحديث وما يتعلق به ليكون أكمل فائدة في هذا الكتاب وأسهل علي الطلاب [2] .

[1] وفيات الأعيان : 280/4
[2] مقدمة تفسير الخازن : 4/1

المطلب الأول

أهمية السيرة كمصدر من مصادر التفسير

من هنا ندرك أنه ليس في إمكاننا فهم النصوص قراناً وسنة فهماً لغوياً مجرداً عن معزل عن طريقة تطبيق النبي لها ، ونحن مأمورون في كتاب الله بطاعته وإتباعه (مَنْ يُطِعِ الرسُول فقَد أطَاعَ الله)[1] ، وهو القائل : (خذوا عني مناسككم)[2] . ومثال علي ذلك قوله تعالى : (يَاَ أَيُهَا اَلْنَبِيُ جَاَهِدِ اَلْكُفَاَرَ وَاَلْمُنَاَفِقِينَ وَأَغْلِظْ عَلَيْهِمْ)[3] .

ورغم حدود اللغة نقطع بأن جهاد الكفار والمنافقين علي حد سواء وأن المنافقين معطوفة علي الكفار ، غير أن تطبيق النبي صلى الله عليه وسلم للنص وإمتناعه من قتل عبدالله بن أُبي بن سلول رأس النفاق وزعيم المنافقين ، ونهيه إبنه عبدالله بن عبدالله بن أُبي من ذلك وقوله : (بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا)[4] .

وكذلك نهيه عمر بن الخطاب عن ذلك وحمايته من القتل وقوله لعمر : (حتى لا نحدث العرب أن محمداً يقتل أصحابه)[5] وكذلك حمايته لدماء المنافقين بعدم إفشاء سرهم للصحابة وإستئمان حذيفة بن اليمان وحده علي ذلك ، كل ذلك يضعنا أمام فهم مغاير تماماً عن المعني اللغوي للأية الكريمة ، ويقدم لنا تفسيراً علمياً .

عملياً يتعدى حدود اللغة المجردة أي فهم أعمق وأشمل ، ونجد أنفسنا في النهاية مسلمين بطريقة تطبيق النبي صلى الله عليه وسلم عباده وطاعة وإتباعاً .

وعلي ذلك نستطيع أن نحكم علي فهم يطالب بقتل المنافقين والعملاء مستشهداً بالآية الكريمة في معزل عن تطبيق النبي صلى الله عليه وسلم بأنه فهم مغلوط لا يتفق وطبيعة المنهج الإسلامي .

وهذا هو تفسير المفسرين للآية فكيف فسروها .

---

[1] سورة النساء الآية (80)

[2] اخرجه مسلم في صحيحه باب استحقاق رمى العقبة ، دار الكتب العلمية لبنان ، 1958م حديث رقم 2285

[3] سورة التوبة الآية (73) ، سورة التحريم الآية (9) .

[4] فقه السيرة للسيوطي ، ص216

[5] أخرجه البخاري باب قوله : (يقولون لئن رجعنا) رقم الحديث 4525 : 195/1

هكذا إلا في ضوء تطبيق النبي صلى الله عليه وسلم لها ؟ وقال إبن عباس : أمره الله تعالى بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان وأذهب الرفق عنهم ، وقال الضحاك : جهاد الكفار بالسيف وأغلظ علي المنافقين بالكلام وهو مجاهدتهم ، وعن مقاتل والربيع مثله ، وقال الحسن وقتادة ومجاهد : ومجاهدتهم إقامة الحدود عليهم ، وقد يقال لا منافاة بين هذه الأقوال والله أعلم[1] ..... ومثل ذلك ينطبق علي كثير من النصوص قرآناً وسنة .....

والسيرة النبوية مع الحديث الشريف يمثلان معاً السنة النبوية وهي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم من مصادر تفسير القرآن الكريم .

ولتفسير أحداث السيرة النبوية قدسية مثل تفسير القرآن الكريم فهي داخله في الحكمة التي قرنها الله تعالى في أكثر من موضع من الكتاب الذي أنزله علي رسوله ، وقال المفسرون : أن الحكمة في الآيات هي السنة النبوية[2] . لقوله صلى الله عليه وسلم : إني أوتيت القرآن ومثله معه[3].

[1] تفسير ابن كثير ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، ط7 ، 1985م : 372/3
[2] المصدر السابق ، 487/3 ، تفسير القرطبي ، 183/4
[3] الإمام الحافظ ابي داؤود السجستاني – سنن أبي داؤود – دار أحياء التراث ببيروت العربي بيروت ، رقم الحديث 4604 : 200/4

المطلب الثاني

مصادره في السيرة النبوية

أولاً : السيرة النبوية لأبن هشام

ذكره الخازن عند تفسيره لقوله تعالى :(يَسْأَلُونَكَ عَنِ أَلْأَنْفَالَ)[1]

عن أبي إمامة الباهلي قال : سألت عباده بن الصامت عن الأنفال فقال : فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين أختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا وجعله إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيننا عن بواء ، يقول علي سواء وكان فيه تقوى الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإصلاح ذات البين [2]

ثم قال : أي – أبن هشام في السيره النبويه – فكان عباده بن الصامت فيما بلغني إذا سئل عن الأنفال قال : فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين إختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا وجعله إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيننا عن بواء ، يقول علي سواء وكان فيه تقوي الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإصلاح ذات البين [3] .

مثال أخر :-

ذكره الخازن عند تفسيره لقوله تعالى : (هَذَانِ خَصْمَانِ إِخْتَصَمُوا فِي رَبِهِمْ)[4] حيث قال : أي – الخازن – قال محمد بن إسحاق : خرج يوم بدر عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وأبنه الوليد بن عتبة ودعوا إلي المبارزة فخرج إليهم فئة من الأنصار ثلاثة : عوف معوز أبناء الحارث وأمهما عفراء و عبدالله بن رواحه فقالوا رهط من الأنصار فقالوا : أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم يا عبيدة بن الحارث ويا حمزة بن عبدالمطلب ويا علي بن أبي طالب فلما دنوا منهم قالوا : من أنتم ؟ فذكروا أنفسهم قالوا : نعم أكفاء كرام

---

[1] سورة الانفال الآية (1) .
[2] السيرة النبوية لابن هشام ، الطبعة الأولي 1422هـ ، مكتبة الصفا : 207/2
[3] هو ابو الفضل القاضي عياض بن موسي إلي حيمي ، المتوفي سنة 544هـ
[4] سورة الحج الآية (19) .

فبارز عبيدة – وكان أسن القوم – عتبه ، وبارز حمزة شيبة ، وبارز علي الوليد بن عتبه ، فأما حمزة فلم يمهل أن قتل شيبة وعلي الوليد ، وأختلف عبيدة وعتبه بينهما .

ضربتان كلاهما أثبت صاحبه ، فكر حمزة وعلي بأسيافهما علي عتبة فزففا عليه ، وإحتملا عبيدة إلي أصحابه[1] .

ثم قال : أي بن هشام في كتابه السيرة النبوية – ثم خرج عتبه بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وأبنه الوليد بن عتبة ، حتي إذا فصل من الصف دعا إلي المبارزة ، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة وهم : عوف ومعوز أبناء الحارث وأمهما عفراء ورجل أخر يقال هو عبدالله بن رواحه : فقالوا : من أنتم ؟ فقالوا : رهط من الأنصار قالوا : ما لنا بكم من حاجة ، ثم نادى مناديهم : يا محمد أخرج إلينا أكفائنا من قومنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم يا عبيدة بن الحارث وقم يا حمزة وقم يا علي ، فلما قاموا ودنوا منهم قالوا : من أنتم ؟ قال عبيدة : عبيدة – وقال حمزة حمزة ، وقال علي : علي ، قالوا : نعم أكفاء كرام ، فبارز عبيدة – وكان أسن القوم – عتبة بن ربيعة ، وبارز علي الوليد بن عتبة ، فأمام حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله ، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله وإختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتان كلاهما أثبت صاحبه وكر حمزة وعلي بأسيافهما علي عتبة فزففا عليه وإحتملا صاحبهما إلي أصحابه[2] .

ثانياً : كتاب الشفاء للقاضي عياض[3] .

ذكره الخازن عند تفسيره لقوله تعالى : (وَلَقَدْ هَمَتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا)[4] . فقال الخازن : هذه الآية الكريمة مما يجب الإعتناء بها والبحث عنها والكلام عليها في مقامين الأول : في أقوال المفسرين أي قال : أي الخازن – أما المقام الثاني : في تنزيه يوسف عليه السلام عن هذه الرذيلة وعصمته من هذه الخطيئة التي ينسب إليها[5] .

---

[1] تفسير الخازن : 252/3

[2] السيرة النبوية لابن هشام : 178/2

3 هو ابي محمد بن عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميدي البصري المتوفي سنة 218هـ .

[4] سورة يوسف ، الآية (32)

[5] تفسير الخازن : 521/2 ، أنظر مثال أخر 3367/2

ثم قال : أي – القاضي عياض – في كتابه الشفاء فعلي مذهب كثير من الفقهاء المحدثين أن هم النفس لا يؤخذ ذنبه وليس سيئة ، ويدل علي صحة هذا ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : يقول تبارك وتعالى : (إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فإن عملها فأكتبوها عليه سيئة واحدة وإذا هم بحسنة ولم يعملها فأكتبوها له حسنة فإن عملها فاكتبوها عشراً)[1] . فلا معصية في هم يوسف إذا ، وأما علي مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فإن الهم إذا وطئت عليه النفس كان سيئة وأما ما لم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه هذا هو الحق ، فيكون إن شاءالله هم يوسف من هذا ، ويكون قوله (وما أبري نفسي)[2] . أي وما أبريها من هذا الهم ويكون منه ذلك علي طريقة التواضع والإعتراف بمخالفة النفس لما ذكي قبل وبرئ ، فكيف وقد حكي أبو حاتم[3] ، عن أبي عبيدة أن يوسف لم يهم ، وأن الكلام فيه تقديم وتأخير ، أي ولقد همت به لولا أن رأى برهان ربه لهم بها ، وقد قال الله تبارك وتعالى عن المرأة : (وَلَقَدْ رَاوَدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ)[4] . وقال تعالى : (كَذَلِكَ لِنَصْرُفَ عَنْهُ اَلْسُوء وَاَلْفَحْشَاء)[5] ، وقال تعالى : (وَغَلَّقَتِ اَلْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكْ قَالَ مَعَاذَ اَلله إنَهُ رَبِي أَحْسَنَ مَثْوَايَ)[6] ، وقيل من قوله وهم بها أي زجرها ووعظها ، وقيل هم بها أي همه إمتناعه ، وقيل هم بها أي نظر إليها ، وقيل هم بضربها ودفعها ، وقيل هذا كله كان قبل النبوة ، وذكر بعضهم مازال النساء يميلن إلي يوسف ميل شهوة زليخا حتي نبأه الله فألقي عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من راه عن حسنه[7] .

---

[1] صحيح مسلم : باب إذا هم عبدي بحسنه ، رقم الحديث 183 : 319
[2] سورة يوسف : الآية (32)
[3] أبو حاتم السحستاني من كبار العلماء للغة والشعر من أهل البصرة : الزركلي : 143/3
[4] سورة يوسف : الآية : 33
[5] سورة يوسف : الآية (24)
[6] سورة يوسف : الآية (23)
[7] تفسير ابن كثير ، مصدر سابق .

المطلب الأول

أهمية اللغة كمصدر من مصادر التفسير

اللسان العربي هو اللسان الذي نزل به القرآن الكريم ، قال تعالى : (الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنَاً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[1] . ، وقال تعالى : (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُوحُ الْأَمِينُ * ... بلسان عربي مبين)[2] .

والعرب الذين نزل القرآن بلغتهم ينسبهم العلماء إلي الجنس السامي أخذاً من إسم سام بن نوح عليه السلام [3] .

واللغة العربية الفصحي أصلها لغة اسماعيل عليه السلام وهو أخذها من قبيلة جرهم التي نشأ بينهم .

وروي البخاري عن إبن عباس من حديث طويل (أن إسم إسماعيل بعد أن تفجر لها ماء زمزم مرت بالقرب منهم رفقة من جرهم ، أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا في أسفل مكة ، فرأوا طائراً فأرسلوا جرياً أو جريين فرجعوا فأخبرهم بالماء ، فأقبلوا وأم اسماعيل عند الماء ، فقالوا أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟ قال إبن عباس ، قال النبي صلى الله عليه وسلم فألفي ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس ، فنزلوا وأرسلوا إلي أهليهم ، فنزلوا معهم ، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم ، وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم أعجبهم حين شب ، فلما أدرك زوجوه إمرأة منهم وماتت أم إسماعيل) [4] .

ومن البديهي أن يكون علم اللغة من مصادر تفسير القرآن الكريم وذلك أن منزله عز وجل قد نص فيه أنه أنزل بلسان عربي وذلك في غير ما أية كما مر بنا أنفاً .

ومع أنه قد يبدوا لبعض الناس أن هذه القضية لا تحتاج إلي تنصيص ولا أي تأكيد إذ يعرف ذلك من يفهم العربية إلا أن القرآن نص علي ذلك ، لينيه أي أنه لا يفهم هذا الكتاب إلا من

---

[1] سورة يوسف ، الآيات (1-2)

[2] سورة الشعراء الآيات (192 – 195)

[3] د . محمد كبير يونس ، أصول التفسير ، ص:221

[4] أبو عبدالله محمد إسماعيل البخاري – جامع الصحيح – باب من رأي أن صاحب الحوض ، حديث رقم : 1195 : 188/8

عرف سنن العرب وأساليبها في الكلام . لذا إتفقت كلمة العلماء علي إشتراط المعرفة العميقة بلغة العرب لكل من يتصدي لتفسير كتاب الله عز وجل : ويكفي أن نذكر منها هنا ما يأتي :

1/ ما جاء عن الصحابة والتابعين :

* قول عبدالله بن عباس رضي الله عنهما : (إذا سألتموني عن غريب القرآن ، فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب)[1] .

* وقال مجاهد : (لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الأخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب)[2] .

2/ ما جاء عن الأئمة من السلف :-

* قال يحيي بن نضلة المديني : سمعت مالك بن أنس يقول : (لا أوتي برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا)[3] .

* وقال الشافعي في الرسالة : (ومن جماع علم كتاب الله ، العلم بأن جميع كتاب الله إنما أنزل بلسان العرب) [4] .

ثم قال : (وإنما بدأت بما وصفت من أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيره ، لأنه لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب وكثرة وجوهه ، وجماع معانيه وتفرقها ، ومن علمه أنتفت عنه الشبه التي دخلت علي من جهل لسانها)[5]

3/ ما جاء عن الأئمة من الخلف :

* قال الإمام بدر الدين بن عبدالله الزركشي ، وأعلم أنه ليس لغير العالم بحقائق اللغة وموضوعاتها تفسير شئ من كلام الله ، ولا يكفي في حقه تعلم اليسير منها ، فقد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعنيين والمراد لمعني الأخر[1] .

---

[1] دكتور محمد كبير يونس ، أصول التفسير ، ص234

[2] الإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، توزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، ط3 ، بدون تاريخ : 293/292/1

[3] المصدر السابق : 292/1

[4] الإمام محمد بن إدريس الشافعي ، الرسالة ، ص20

[5] المصدر السابق : 292/1

* وقال الإمام الشوكاني في هذا الموضوع قال : (وأشدد بدل من تفسير كتاب الله علي ما تقتضيه اللغة العربية ، فهو قرآن عربي كما وصفه الله ، فإذا جاءك التفسير عن الرسول صلى الله عليه وسلم فلا تلتفت إلي غيره . وكذلك ما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم فإنهم من جملة العرب ومن أهل اللغة ومن جمع إلي اللغة العربية العلم بالإصطلاحات الشرعية ، ولكن إذا كان معنى اللفظ أوسع مما فسروه به في لغة العرب ، فعليك أن تضم أي ما ذكره الصحابي ما تقتضيه لغة العرب وأسرارها)[2] .

* وقال شيخ الإسلام إبن تيمية عند حديثه عن تفسير التابعين : فإن إختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة علي بعض ولا علي من بعدهم ، ويرجع في ذلك إلي لغة القرآن أو عموم لغة العرب ، وأقوال الصحابة في ذلك [3] .

ولنكتف بهذا القدر فإنما أردت التمثيل لا الإحاطة إذ هو أمر مجمع عليه بين علماء الأمة .

---

[1] الإمام بدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي ، البرهان ، ص : 295/1

[2] الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، ت: 1250هـ ، فتح القدير ، ط1 ، دار المعرفة ، 1415هـ ، 1995م : 386/8

[3] شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، مجموع الفتاوي ، مقدمة التفسير ، ص37

المطلب الثاني

المنهج الصحيح لتحديد معاني مفردات القرآن

الكلمة إذا وردت في القرآن الكريم يجب البحث عن مدلولها علي مستويين .

أ/ مستوي الإستعمال العربي العام :

ويلجأ في ذلك إلي مأثور الكلام العربي الفصيح وخاصة أشعارهم وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم أنفسهم يلجأون إلي الشعر العربي لإستجلاء معاني ألفاظ القرآن الكريم يدل علي ما يأتي:

1/ ما ذكره الشاطبي في الموافقات : أن عمر بن الخطاب سئل وهو علي المنبر عن قوله تعالى : (أَو يَأخُذَهُمْ عَلَيَ تَخَوُفِ)[1] فقال له رجل من هزيل :-

التخوف عندنا التنقص ثم أنشده

تخوف الرحل منها تامكاً قرداً [2]

كما تخوف عود النبعة السفن

فقال عمر : (أيها الناس تمسكوا بديوان شعركم في جاهليتكم ، فإن فيه تفسير كتابكم) وفي رواية : قال عمر لأصحابه ، عليكم بديوانكم لا تضلوا ، قالوا فما ديواننا ، قال : شعر الجاهلية ، فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم[3] .

2/ قول إبن عباس إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر ، فإن الشعر ديوان العرب[4] .

وذكر الزركشي في البرهان عن إبن عباس أنه قال : (الشعر ديوان العرب)[5] .

---

[1] سورة النحل الآية (47) .
[2] التامك : السنام ، لسان العرب : 91/11 ، قرداً : تجعد وانعقدات أطرافه : تاج العروس : 1773/1
[3] دكتور محمد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون ، ط11 ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، 1961م ، 47/1
[4] المصدر السابق ، 47/1
[5] المصدر السابق ، 47/1

وكان إبن عباس يكثر الرجوع إلي الشعر في تفسير مفردات القرآن وقد روي عنه في ذلك شئ كثير .

ومن أشهر ما ورد عنه في ذلك سائل نافع بن الأزرق التي رواها الطبراني في معجمه الكبير وإبن الأنباري في كتاب الوقف فإن إبن عباس جعل يجيبه علي مسائله مستشهداً علي ذلك بالمأثور عن شعر العرب ، وما جاء فيها ما يأتي :-

1/ قال نافع : فأخبرني عن قوله تعالى : (فَأَجَاءَهَا المِخَاضُ)[1] ، قال إبن عباس : ألجأها . قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال إبن عباس نعم أما سمعت قول حسان بن ثابت :-

إذا شددنا شدة صادفه فألجناكم إلي سفح الجبل .

2/ وقال نافع : أخبرني عن قوله تعالى : (وَحَنَانَاً مِنْ لَدُنَا)[2] ، قال : رحمه الله من عندنا قال وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم أما سمعت طرفه إبن العبد يقول :-

أبا منذر فنيت فاستيق بعضنا *** حنانيك بض الشر ، هوى من بعض .

3/ وقال نافع : أخبرني عن قوله تعالى : (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الْشَمَالِ عِزِينَ)[3] ، قال العزين : حلق الرفاق قال وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم أما سمعت عبيد بن الأبرص يقول :-

فجاءوا يهرعون إليه حتي *** يكونوا حول منبره عزيناً[4] .

ب/ مستوي الإستعمال القرآني الخاص :

لا يكفي في تفسير معاني ألفاظ القرآن معرفة مدلولها في الكلام العام ، بل لابد من معرفة مدلولها في القرآن الكريم فإن القرآن الكريم يتعرف تارة في الألفاظ بالتخصيص والتفسير الخاص من إستعمال الكلمات وقد نبه علي هذا كثير من العلماء نذكر منهم من يأتي :-

[1] سورة مريم الآية (23)
[2] سورة مريم الآية (13)
[3] سورة المعارج الآية (37)
[4] انظر هذه المسائل ، جلال السيوطي ، الإتقان : 120/1- 121 وما بعدها .

1/ شيخ الإسلام إبن تيمية : حيث قال : (ينبغي أن يقصد إذا ذكر لفظ من القرآن والحديث – أن يذكر نظائر ذلك اللفظ ، فإذا عني بها الله ورسوله التي يخاطب بها عباده ، وهي العادة المعروفة من كلامه ، ثم إذا كان لذلك نظائر من كلام غيره وكانت النظائر كثيرة ، عرف أن تلك العادة واللغة مشتركة عامة)[1] .

والسبب في عدم الإكتفاء بمعرفة الدلالة العربية العامة للفظ القرآني عند أبي تيمية لأن اللفظ لا يستعمل قط مقيداً بقيود لفظية موضوعة ، والحال حال المتكلم والمستمع لابد من إعتباره في جميع الكلام ، فإنه إذا عرف المتكلم فهم من معني كلامه ما لا يفهم إذا لم يعرف ، لأنه بذلك يعرف عاداته في خطابه ، واللفظ إنما يدل إذا عرف لغة المتكلم التي بها يتكلم ، وهي عادته وعرفه الذي يعتاده في خطابه ... فإذا إعتاد أن يعبر باللفظ عن المعني كانت تلك لغته [2] .

2/ العلامة إبن القيم الجوزية : فقد قرر أنه (يجوز أن يجمل كلام الله عز وجل ويفسر بمجرد الإحتمال النحوي الإعرابي الذي يتحمله تركيب الكلام ، ويكون الكلام به له معني ما ، فإن هذا مقام غلط فيه أكثر المعربين [3] .

وقد علل إبن القيم سبب وجوب الإلتزام بهذا بقريب مما علله به شيخه إبن تيمية فقال : (للقرآن عرف خاص ومعان معهودة لا يناسبه تفسيره بغيرها ، ولا يجوز تفسيره بغير عرفه والمعهود من معانيه ، فإن نسبة معانيه إلي المعاني ، كنسبة ألفاظه إلي الألفاظ بل أعظم ، كما أن ألفاظه مدلول الألفاظ وأجلها وأوضحها ، ولها من الفصاحة أعلي مراتبها التي يعجز عنها قدر العالمين ، فكذلك معانيه أجل المعاني وأعظمها وأفخمها ، فلا يجوز تفسيره بغيرها من المعاني التي لا تليق به)[4] .

3/ العلامة شاة ولي الله الدهلولي : فقد قال في الباب الرابع في بيان فنون التفسير من كتابه الفوز الكبير في أصول التفسير (ومن جملة ذلك شرح الغريب ، وبناؤه تتبع لغة العرب ، أو التفطن لسياق الآية وسياقها والعلم بمناسبة اللفظ بأجزاء جملة وقع فيها .. فينبغي للمفسر

[1] شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، المكتب الإسلامي 1401هـ ، ص: 110 - 111
[2] شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، الإيمان ، ص110
[3] الإمام بن القيم ، التفسير القيم طبعه دار الفكر ، بدون تاريخ ، ص268
[4] الشيخ خالد عبدالرحمن المك ، أصول التفسير وقواعده ، ط3 ، دار النفائس 1414هـ ، 1995 م

المنصف أن يزن شرح الغريب مرتين : في إستعمال العرب له ، وفي معرفة أقوي الوجوه وأرجحها ، ومناسبة السابق واللاحق أخرى ، فيعلم أي الإستعمال[1] .

وقد حاول الإلتزام بهذه المنهجية أصحاب الإتجاه البياني في التفسير حديثاً ، وجعلوه جزءاً من منهجهم العام في تفسير القرآن ، فقد ذكرت بنت الشاطئ وهي تلخص ضوابط منهج التفسير البياني ، أن من أصوله فهم دلالات الألفاظ ، أن تقدر أن العربية هي لغة القرآن ، فتلتمس الدلالة اللغوية الأصيلة التي تعطينا حس العربية للمادة في مختلف إستعمالاتها الحسية والمجازية ، ثم نلخص للمخ الدلالة القرآنية باستقراء كل ما في القرآن من صيغ اللفظ ، وتدبر سياقها الخاص في الآية والسورة ، وسياقها العام في القرآن كله[2] .

وهذا نوع من تفسير القرآن بالقرآن .

[1] الإمام شاه ولي الله الدهلوي ، الفوز الكبير في أصول التفسير ، طبعة مجلة الأزهري شعبان 1404هـ .
[2] د . عائشة عبدالرحمن بنت الشاطبي ، التفسير البياني للقرآن الكريم ، ط5 ، دار المعارف بمصر 1977م : 11/10/1

المطلب الثالث

مصادر الخازن في اللغة والنحو

من خلال قراءتي لتفسير الخازن وتفحصي لكل من أجزائه وجدت كذلك أن له مصادر ومراجع رجع إليها لبيان المعاني اللغوية والنحوية للايات وأشتقاقها ومرادفها مع الإستشهاد لذلك بما يراد من كتاب الله والشعر العربي ، ووجوه إعرابها ، وكل ذلك الأوجه البلاغية من مجاز وإستعارة وكناية وغير ذلك .

ولم أفرد كل علم من هذه العلوم بمصادر يخصه لأن معظم المراجع التي رجع إليها الخازن في تفسيره – رحمه الله – تجمع بين ذلك مثل معاني القرآن للزجاج .

لأن الخازن – رحمه الله – قد أستمد المادة اللغوية والنحوية من مصادر جمعت بين اللغة والنحو ، ولها صلة وثيقة بالنص القرآني مثل كتاب معاني القرآن للأخفش وغير ذلك .

ومن أبرز الأسماء التي تتردد خلال تفسيره :

المفردات في غريب القرآن للإمام الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني المتوفي سنة 502هـ ، وقيل 565هـ لقد أكثر الخازن في كتابه من النقل عن مفردات القرآن للأصفهاني .

ذكره الخازن في قوله تعالى :(قَالُوا لَاَ تَخَفْ إنَاَ أُرْسِلْنَا إلـيَ قَوْمِ لُوط * وأمْرَأتَهُ قَائِمَة فَضَحِكَتْ)[1] ، في تفسير الضحك قولين أحدهما .

الضحك المعروف وعليه أكثر المفسرين .

القول الثاني : أنه بمعني حاضت وقال عكرمة ومجاهد : أي حاضت في الوقت وأنكره بعض أهل اللغة[2] .

وقال الراغب : وقول من قال حاضت ليس ذلك تفسيراً لقوله (فضحكت) كما تصوره بعض المفسرين فقال : ضحكت بمعني حاضت وإنما ذكر ذلك تنصيصاً لحالها ، فإن جعل ذلك إمارة

[1] سورة هود الآيات : (70-71)
[2] تفسير الخازن : 493/2 راجع أمثلة أخرى 341/2/207/2

لما بشرت به محيضاً في الوقت لتعلم أن حملها ليس بمنكر لأن المرأة ما دامت تحيض فإنها تحمل[1] .

فالخازن إستدل برأي الراغب للرد علي من يقول أن حاضت بمعني ضحكت إنما جعل ضحكها إمارة لما بشرت به لأن المرأة إذا حاضت علم أن حملها ليس بمنكر والله أعلم .

الصحاح : تاج اللغة وصحيح العربية : تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري المتوفي سنة 393هـ

لقد أفاد الشيخ الخازن كثيراً من هذا الكتاب وذكره في كتابه في قوله تعالى : (قُلْ إِنَمَا حَرَمَ رَبِيَ الْفَوَاحِشَ مَاَ ظَهَرَ مِنْهَاَ وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغِي بِغَيْرِ الْحَقْ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِالله مَالَمْ يُنَزِلَ بِهِ سُلْطَاَناً وأَنْ تَقُوُلُوا عَلَيَ اَللهِ مَاَلاَ تَعْلَمُونَ)[2] .

ذكر الخازن في هذه الآية إختلاف العلماء في الفرق بين الفاحشة والإثم فقال : (وأختلفوا في الفرق بين الفاحشة والإثم فقيل الفواحش الكبائر لأنه قد تفاحشت قبحها ، والإثم عبارة عن الصغائر من الذنوب ثم قال : (إن الفاحشة وإن كانت بحسب الغة أسماء لكل ما تفاحش من قول أو فعل لكنه قد صار في العرف مخصوصاً بالزنا لأنه إذا أطلق لفظ الفاحشة لم يفهم منه إلا ذاك فوجب حمل لفظ الفاحشة علي الزنا وأما الإثم فقد قيل أنه إسم من أسماء الخمر وقول الحسن وعطاء ثم قال أي الخازن)

وقال الجوهري : قد تسمي الخمر إثماً وإستدل بقول الشاعر :

شربت الإثم ثم ضل عقلي

كذاك الإثم يذهب بالعقول [3]

تهذيب اللغة : لأبي منصور محمد أحمد الأزهري المتوفي سنة 370هـ إستعان الخازن بهذا الكتاب العظيم في اللغة وأسرارها في الكثير من المواضع يدل لذلك قوله تعالى : (فَإِنْ خِفْتُم أَلا

[1] الإمام الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، ت : 502هـ ، وقيل 565هـ ، كتاب المفردات في غريب القرآن ، كتاب الضاد مع الحاء ، ص433

[2] سورة الأعراف الآية (33)

[3] إسماعيل بن حماد الجوهري ، ت : 393هـ ، باب الميم فصل الألف 234/5

تَعْدِلُوا فَوَاحِدَة أَو مَامَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىَ أن لاَ تَعُولُوا)[1] . أي تميلوا ولا تجوزوا وهو قول أكثر المفسرين ، لأن أصل القول : الميل يقال عال الميزان إذا مال ، قال – يعني الخازن – وقال الشافعي[2] – رحمه الله – معناه لا تكثر عيالكم وقد أنكر علي الشافعي من ليس له ، إحاطة بلغة العرب فقال إنما يقال من كثر عياله – أعال الرجل يعيل إذ كثر عياله ، قالوا وهذا من خطا الشافعي لأنه إنفرد به ولم يوافق عليه أحد .

من هنا بدأ الخازن يرد من خطأ الشافعي – رحمه الله – ويستدل لذلك بأبواب العربية وأقوال جهابذة اللغة ، فقال : فقد روي الأزهري في كتاب تهذيب اللغة عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم في قوله (أن لاَ تَعُولُوا) .

وروي الأزهري عن الكسائي قال عال الرجل إذا إفتقر وأعال إذا أكثر عياله ، قال من العرب الفصحاء من يقول عال يعول إذا كثر عياله ثم قال الأزهري وهذا يقوي قول الشافعي لان الكسائي لا يحكي عن العرب إلا ما حفظه وضبطه .

ويقول الأزهري : الشافعي حجة لأنه عربي فصيح والذي أعترض عليه وخطأه ولم يتثبت فيما قال ولا ينبغي للحضري أن يعجل إلي إنكار ما لا يحفظه من لغات العرب هذا أخر كلام الأزهري[3] .

أقول : إن الحق مع الإمام الشافعي لأن هذا الإمام لم يظهر مثله في علماء الإسلام ، في فقه الكتاب والسنة ، ونفوذ النظر فيهما ودقة الإستنباط .

قال عنه الإمام أحمد : ما رأيت أحداً أفقه في كتاب الله من هذا الفتي ، ويقول : أي الإمام أحمد لولا الشافعي ما عرفنا فقه الحديث [4] .

كتب إبن قتيبة : المتوفي سنة 322هـ لقد إستفاد الشيخ الخازن من كتب إبن قتيبة كثيراً بدلالة قوله تعالى : (هُوَ الذِي أَنْزَلَ مِنْ السَمَاء مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابُ وَمِنْهُ شَجرُ فِيهِ تَسِيمُونَ)[5] .

---

[1] سورة النساء الآية (3)
[2] تفسير الخازن : 339/1
[3] المصدر السابق : 339/1
[4] إقتباس من كلام المزي في أول مختصره لحاشية الأم 3/2/1 ط المكتبة العربية بغداد 1356هـ
[5] سورة النحل الآية (10)

ذكر الخازن في هذه الآية أقوال أهل اللغة من معني الشجر فقال : الشجر في اللغة ماله ساق من نبات الأرض ، ونقل الواحدي : عن أهل اللغة أنهم قالوا : الشجر أصناف ماجل وعظم وهو الذي يبقي علي الشتاء ، ومادون وهو صنفإن أحدهما : تبقي له أورقة في الشتاء وينبت في الربيع الثاني ومنها ما لا يبقي له ساق في الشتاء كالبقول ، ثم قال يعني الخازن – وقال إبن قتيبة من هذه الآية يعني الكلا ومعني الآية أنه ينبت بالماء الذي أنزل من السماء ما ترعي الراعية من ورق الشجر لأن الإبل ترعي كل الشجر[1] .

من هذا يتضح لي أنه ينقل عن إبن قتيبة دون ذكر إسم الكتاب الذي أخذ منه ومع رجوعي لكتب إبن قتيبة لم أجد هذا النص في أحد منها .

معاني القرآن الكريم وإعرابه للزجاج : المتوفي سنة 311هـ . لقد أكثر الخازن في كتابه من النقل عن معاني القرآن للزجاج سواء كان عن طريق النص أو عن طريق الإستنباط للفكرة .

ذكره الخازن في قوله تعالى : (فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا إِسْتَيسَرَ مِنْ الْهَدِي)[2] فقال – أي الخازن – وأصل الحصر في اللغة الحبس والتضييق ، ثم إختلف أهل اللغة في الحصر والإحصار فقيل إذا رد الرجل عن وجه يريده فقد أحصر ، وإذا حبس فقد حصر ثم قال : وقال الزجاج : الرواية عن أهل اللغة يقال للذي يمنعه الخوف أو المرض أحصر والمحبوس حصر ثم قال : وقال الزجاج يقال للرجل من حصرك هنا ومن أحصرك [3] .

وقال الزجاج في كتابه معاني القرآن : في الآية السابقة ، الرواية عند أهل اللغة إنه يقال للرجل الذي يمنعه الخوف أو المرض قد أحصر فهو محصر ، ويقال للرجل الذي حبس فهو محصور[4]

من هذا المثال يظهر لي (أن الخازن) يريد أن يقرر فكره وهي : المعنى اللغوي للإحصار ، ومن ثم يريد أن يبين الفرق بين معني حصر وأحصر وضع هذا عن طريق النقل عن الزجاج .

---

[1] تفسير الخازن : 69/3 . انظر مثال أخر 76/3

[2] سورة البقرة الآية (196)

[3] تفسير الخازن : 126/1

[4] ابو اسحق ابراهيم بن السري الزجاج ، ت : 311هـ ، معاني القرآن ، تحقيق عبدالجليل عبده ، مطبعة سبلي منشورات المكتبة العصرية بيروت ، صيدا ، توزيع الإهرام .

كتب إبن السكيت : المتوفي سنة 244هـ لقد أفاد رحمه الله أيضاً من كتب إبن السليت ومذكراته اللغوية في تفسيره مثال قوله تعالى : (فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا إِسْتَيسَرَ مِنْ الْهَدِي)[1] ، قال الخازن : أصل الحصر في اللغة التضييق والحبس ، ثم إختلف أهل اللغة في الحصر والإحصار فقيل إذا رد الرجل عن وجه يرده فقد أحصر .

وقال : إبن السكيت أحصره المرض إذا منعه من السفر أو حاجة يريدها وحصره العدو إذ ضيق عليه [2] .

ومن هنا بدأ لي أن الخازن ذكر رأي إبن السكيت ولكنه لم يناقشه ، وبدوري بحثت عدة كتب لإبن السكيت لم أجد في أحد منها هذا النص (كإصلاح المنطق) وغيرها من كتبه ويبدو أن الخازن أخذ من كتبه التي لم تصلنا .

ومن الكتب التي إستمد منها المادة اللغوية ولها صلة وثيقة بالنص القرآني :

- كتاب معاني القرآن لأبي زكريا يحي بن زياد الفراء المتوفي سنة 217هـ .
- كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثني التميمي المتوفي سنة 210هـ [3]

[1] سورة البقرة الآية (196) .
[2] تفسير الخازن ، 126/1
[3] المصدر السابق : 153/2 ، 199/2 ، 341 : 2 ، 410/2

المبحث الأول

موقفه من التفسير بالمأثور

تمهيد : تعريف التفسير بالمأثور :-

يشمل التفسير بالمأثور ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته ، وما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم وما نقل عن الصحابة من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم .

ويندرج في التفسير بالمأثور ما روي عن التابعين أو من قبيل الرأي– لأننا وجدنا كتب التفسير بالمأثور كتفسير إبن جرير الطبري وغيره ، لم تقتصر علي ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم وما روي عن الصحابة ، بل تضمنت إلي ذلك ما نقل عن التابعين في التفسير[1] .

وقد عرف هذا النوع الذي برز من تفسير بعض المفسرين بالمأثور ، ومن أهم مصادره التي يعتمد عليها (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) للإمام جلال الدين السيوطي ، حيث إعتمد علي ما أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الأجلاء من تقرير المعاني لكثير من آيات القرآن الكريم ، ومن أبرزهم إبن عباس رضي الله عنهما الذي حظي بصحبة رسول الله صلي الله عليه وسلم خادماً ومتعلماً مع حظوته بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم فكان فقيه الأمة وحبرها الذي لا يجاري علماً وفقهاً في الدين ومعرفة بالتأويل .

(ولقد كان القرآن الكريم ولا يزال محوراً للثقافة الإسلامية منذ تألفت أمة بقيادة رسول الله عليه وسلم ، جمعها علي التوحيد لله سبحانه وتعالى ، وخلافته في الأرض ، فرأي المسلمون من آيات القرآن الكريم حثاً علي النظر والتأمل وتدبر آياته)[2] وللخازن منهج متميز في التفسير ، يعتمد علي عناصر أساسية ، وهي إعتماده علي المأثور من الكتاب والسنة النبوية وأقوال الصحابة والتابعين ، مع عنايته بالقرآن واللغة والنحو بإيجاز يحقق فهم الآيات ، وذكره لمسائل العقيدة والأحكام الفقهيه بطريقة مختصرة .

---

[1] د. محمد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون ، 1/1 ، الناشر مكتبة وهبة ، تاريخ الجمهورية ، عابدي ، 154/1

[2] د. منيع عبدالحليم محمود ، مناهج المفسرين ، ط/1417هـ - 2000م ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ص70 ، بدون تاريخ .

المطلب الأول

منهجه في تفسير القرآن بالقرآن :

يعتبر كتاب الله العزيز معجزة الإسلام الخالدة في تفوق بلاغته وحسن بيانه وجمال أسلوبه ، وقد أنزل القرآن الكريم منجماً من عند الله تعالى ليكون مسايراً للأحداث والوقائع ، فكان موافقاً لحاجات البشر مبيناً مفصلاً الأمور كلها .

وأي القرآن الكريم يوضح بعضه البعض ، فما أجمل وأوجز في موضع من القرآن الكريم فسر وبين وبسط في مكان أخر ، وقد تخصص آية عموم آية سابقة ، وقد تأتي آيات مؤكدة علي معني آية سابقة في هدفها وتوجيهها . والمهم أن كتاب الله تعالى يوضح بعضه البعض الأخر ، وهو سر كونه من عند الله تعالى (أَفَلَا يَتَدَبَرُون القُرآنَ وَلَو كَانَ مِنْ غَيرِ اَللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إِخْتِلَافَاً كَثِيراً)[1] ويعتمد (تفسير الخازن المسمي لباب التأويل في معالم التنزيل) علي كتاب الله تعالى إعتماداً كبيراً ، وتطرد ظاهرة التمثيل والإستشهاد بآيات القرآن لبيان معني الآيات الأخرى ونسوق لهذا الجانب بعض الأمثلة :

ففي تفسيره لسورة الفاتحة يبين في مستهلها معني البسملة فيقول : الإسم هو المسمي عينه وذاته قال تعالى : (إِنَّاَ نُبَشَرُكَ بِغُلاَمِ إِسْمُهُ يَحْيَىَ)[2] .

وفي تفسير الفاتحة كذلك يوضح لنا المراد بالمنعم عليهم في قوله تعالى : (أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)[3]

أي الذين مننت عليهم بالهداية والتوفيق وهم الأنبياء والمؤمنين الذين ذكرهم الله تعالى في قوله : (فَأُوَلَئِكَ مَعَ اَلْذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِنْ النَبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُهَدَاءِ وَالصَالِحِينَ وَحَسُنَ أولَئِكَ رَفِيقاً)[4] .

وعلي النحو نفسه كان صنيعه في بيان المراد من قوله تعالى في ختام سورة الفاتحة : (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلِا الضَآلِينَ)[(5)] وقيل غير المغضوب عليهم هم اليهود والضإالين هم النصاري ، وقد فسر القرآن بالقرآن وحدد هاتين الطائفتين من سورة أخرى وهي سورة المائدة ، وذلك أن الله تعالى حكم علي اليهود بالغضب فقال : (مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ)[6] ، وحكم علي

---

[1] سورة النساء الآية (82)
[2] سورة مريم الآية (7) ، تفسير الخازن : 16/1
[3] سورة الفاتحة الآية (7)
[4] سورة النساء الآية (69)
[5] سورة الفاتحة الآية (7) .
[6] سورة المائدة الآية (60) ، تفسير الخازن 32/1

النصاري بالضلال فقال : (وَلَا تَتَبِعُوا أَهْواءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَبِيلِ)[1].

ومن قبيل تفسير القرآنبالقرآنما ذكره الخازن في تفسيره لمعنى الكلمات التي تلقاها آدم (عليه السلام) من ربه في قوله تعالى من سورة البقرة : (فَتَلَقْيَ آدَمَ مِنْ رَبِهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيِهِ إنَهُ هُوَ اَلْتَوَابُ اَلْرَحِيمُ)[2] إذ يذكر عن تلك الكلمات أنها المقصودة في قوله تعالى في سورة الأعراف : (رَبَنَاَ ظَلَمْنَاَ أَنْفُسَنَاَ)[3] .

ويفسر كلمة الحسني التي أتمها علي بني إسرائيل بأنها النصر والتمكين مستدلاً بالقرآن نفسه فيقول في قوله تعالى من سورة الأعراف (وَتَمْتَ كَلِمَتُ رَبِكَ اَلْحُسْنَيَ عَلَيَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ)[4] ، يعني يعني وتمت كلمة الله وهي وعده إياهم بالنصر والتمكين في الأرض وذلك قوله تعالى : (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَ عَلَيَ اَلْذِينَ اُسْتُضْعِفُوا فِي اَلأرْضَ)[5] .

ويورد الإمام الخازن خلال تفسيره النظائر من الآيات لبيان المعني المطلوب ، وقد يستشهد للكشف والإبأنه عن المعني – بنصوص وأيات كثيرة لتوثيق المراد وتأكيده ، فهو في قوله من سورة الرعد (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْسَيئةُ قَبْلَ اَلْحَسَنَةُ)[6] .

ويفسر هذا الإستعجال بمقالتهم التي أوردها تعالى في سورة الأنفال : (وَإِذْ قَالَوُا اَللَهُمَ إِنْ كَاَنَ هَذَاَ هُوَ اَلْحَقُ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرِ عَلَيْنَاَ حِجِاَرَةً مِنْ اَلْسَمَاءِ أَوِ إِئتِنَاَ بِعَذَاَبٍ اَليمَ)[7] ، وذلك أن مشركي مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلاً من العافية إستهزاء منهم [8] .

ولا يكتفي الإمام الخازن بإيراد النظائر المتفقة في المعني خلال التفسير ولكنه يسوق أحياناً الآية التي تخالف – في ظاهرها – معنى الآية المفسرة لبيان وإيضاح هذا الأشكال ، وهذا ما فعله حين قرر معني إطمئنان قلوب المؤمنين بذكر الله تعالى في قوله (ألا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُ اَلْقُلُوبَ)[9] اَلْقُلُوبَ)[9] ، ثم قال : فإن قلت أليس قد قال الله تبارك وتعالى في أول سورة الأنفال : (إِنَمَاَ اَلْمُؤمِنُونَ اَلْذِينَ إذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ)[10]، والوجل أإستشعار الخوف ، وحصول الإضراب وهو ضد الطمأنينة عند ذكر الوعد والثواب[11] .

---

[1] سورة المائدة الآية (77) ، تفسير الخازن ، 21/1
[2] سورة البقرة الآية (37)
[3] سورة الأعراف الآية (23) ، تفسير الخازن 39/1
[4] سورة الأعراف الآية (137)
[5] سورة القصص الآية (5) ، تفسير الخازن 242/2
[6] سورة الرعد الآية (6) ، تفسير الخازن 6/3
[7] سورة الأنفال الآية (32)
[8] تفسير الخازن 6/3
[9] سورة الرعد الآية (28) ، تفسير الخازن 17/3
[10] سورة الأنفال الآية (2)
[11] تفسير الخازن 17/3

ويفسر قوله تعالى في سورة الحج (إلا مَاَ يُتْلَيَ عَلَيْكُمْ)[1] ، من باب تفسيره لقوله تعالى في سورة المائدة (حُرِمَتْ عَلَيْكُمْ اَلْمَيْتَةَ وَاَلْدَمَ)[2] ، فما أجمل في سورة الحج في قوله تعالى : (إلا مَاَ يُتْلَيَ عَلَيْكُمْ) فصل في سورة المائدة تفصيلاً حيث كشف وأبان عن كل اللحوم المحرمة علي المسلم . وفي تفسيره لقوله تعالى : (فَبِظُلْمٍ مِنْ اَلْذِينَ هَاَدُوا حَرَمْنَاَ عَلَيْهِمْ)[3] ، يؤكد هذه الطيبات التي كانت حلالاً لهم بأية قرآنية أخرى ، لا نستطيع أن نفهم الطيبات التي أحلت للذين هادوا ثم حرمت عليهم بسبب بغيهم وخلافهم لأنبيائهم ، وإرتكابهم المعاصي ، وإقترافهم للآثام إلا إذا رجعنا إليها وهي ماذكر في سورة الأنعام في قوله تعالى : (وَعَلَيَ اَلْذِينَ هَاَدُوا حَرَمْنَاَ كُلَ ذِي ظُفُرٍ)[4] .

والملاحظ في الأمثلة السابقة التي فسر فيها الآية بالإستعأنه بآيات قرآنية أخرى ، أنه لم يتمثل ويورد تلك الآيات كاملة وإكتفى بجزء يسير منها يوضح ويبين المعنى ، وهو موضع الشاهد المطلوب ، وإن سوق الآية كاملة يزيد المعنى وضوحاً وجلاءً .

وأحياناً يورد الدليل علي صحة القرآءة المختارة عن كتاب الله تعالى خلال آيات أخرى. وهذا ما صنع في أخر آية من سورة الرعد (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ اَلْكِتَابَ)[5] وهي قرآءة إبن عباس وغيره علي البناء للمفعول ، والمعنى ومن عند الله علم الكتاب ودليل هذه القرآءة قوله تعالى : (وَعَلَمْنَاهُ مِنْ لَدُنَاَ عِلْمَاً)[6].

---

[1] سورة الحج الآية (30)
[2] سورة المائدة الآية (3) ، تفسير الخازن 256/3
[3] سورة النساء الآية (160)
[4] سورة الأنعام الآية (146) ، تفسير الخازن ، 446/1
[5] سورة الرعد الآية (43)
[6] سورة الكهف الآية 65 تفسير الخازن : 26/3 .

المطلب الثاني

منهجه في تفسير القرآن بالسنة :

إهتمام الخازن الكبير وشغفه بالسنة ثمرة بارزة في تفسيره فجاء (لباب التأويل في معالم التنزيل المشهور بتفسير الخازن) تفسيراً حافلاً بنصوص الحديث ، والذي يؤكد إهتمامه بالحديث إدراكه للصلة الوثيقة بين الكتاب والسنة فهو يقول في مقدمة تفسيره : (فإن الكتاب يطلب بيانه من السنة وعليها مدار الشرع وأحكام الدين)[1] .

وما تكاد تخلو صفحة من صفحات كتابه عن حديث عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ويلاحظ عنايته بالحديث النبوي الشريف والتزامه ببيان حكمه ، وشرح غريبه وحل مشكلاته – إن وجدت – دفع ما يوهم التعارض من ذلك [2] .

وقد كان من منهجه إستعمال الرموز في عزو الحديث – غالباً – وإنك لتري رموز : قـ ، م ، ج [3] ظاهرة كثيرة منورة لصفحات كتابه – رحمه الله تعالى .

ومما يؤكد عناية الإمام الخازن بالحديث النبوي الشريف ، الفصول التي عقدها في مقدمة تفسيره ، وضمنها نصوصاً من السنة المطهرة .

فالفصل الأول : من فضائل القرآن وتعليمه ، وأورد خمسة عشر حديثاً في فضائل القرآن الكريم وتعليمه . وقد خرج عدداً من هذه الأحاديث فالحديث الأول أخرجه مسلم والرابع ناقله غريب وإسناده مجهول ، والتاسع حسن والحادي عشر حديثاً حسن صحيح ، والخامس عشر أخرجه البخاري .

أما الفصل الثاني : في وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم فقد أورد فيه إحدي عشر حديثاً عن الرسول صلى الله عليه وسلم كما خرج بعضها فالحديث الأول حديث حسن والحديث الثالث والرابع صحيحان والحديث التاسع غريب والحديث الأخير حسن غريب .

أما الفصل الثالث : في جمع القرآن وترتيب نزوله فقد ساق فيه خمسة أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم أورد سبعة أحاديث في نزول القرآن علي سبعة أحرف ، وهكذا يكون مجموع الأحاديث التي إشتملت المقدمة عليها ثمانية وثلاثين حديثاً [4] .

ونمثل لكل فصل بنموذج واحد من تلك الأحاديث : فالحديث الأول الذي أورده في فضل تعليم القرآن هو : عن زيد بن أرقم قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فينا خطيباً بماء

---

[1] مقدمة تفسير الخازن : 4/1

[2] تفسير الخازن : 104/2

[3] يعني بالحرف (قـ) المتفق عليه وب (خ) ما رواه البخاري ، وب (م) ما رواه مسلم

[4] تفسير الخازن : 11/1

يدعى قماً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثني عليه ووعظ وذكر ثم قال : (أما بعد ألا أيها الناس إني أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول رب فأجيب وإني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله ورغب فيه ثم قال : (وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهلي بيتي)[1]

والحديث الأول في وعيد من قال في القرآن برأيه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار)[2]

والحديث الثاني في جمع القرآن وترتيب نزوله عن زيد بن ثابت قال : (بعث إلي أبو بكر لمقتل أهل اليمامة وعنده عمر ، فقال أبو بكر إن عمر جاءني فقال : إن القتل قد إستحر يوم اليمامة بقرآء القرآن وإني أخشى أن يستحر القتل بالقرآء في كل المواطن فيذهب من القرآن الكثير ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن ، قال : قلت لعمر كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر : هو والله خير ، فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر عمر ، ورأيت في ذلك الذي رأء عمر . قال زيد : فقال لي أبو بكر إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فأجمعه ، قال زيد : فو الله لو كلفني بنقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن ، فقلت : كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أبو بكر : هو والله خير ، فلم يزل أبوبكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبوبكر ، قال : فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والعسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت أخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري ، فلم أجدها مع أحد غيره (لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسَوُلٌ مِنْ أَنْفُسَكُمْ....). إلي أخر برآءة فألحقتها في سورتها .

قال فكانت الصحف عند أبي بكر في حياته حتى توفاه الله ، ثم عند عمر في حياته حتي توفاه الله ، ثم عند حفصه بنت عمر) .[3]

وتحتل نصوص الحديث النبوي والسنة المطهرة مساحة فسيحة في تفسيره حتى بلغ الأمر به أن يعقد فصلاً حديثيه في مقام التدليل علي المعنى المراد في تلك الآية . ونسوق علي ذلك بعض الأمثلة :

ففي تفسيره لمعني الظلم في قوله تعالى في سورة الأنعام (اَلذِينَ اَمَنُوُا وَلَمْ يُلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمْ اَلْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)[4]

---

[1] الإمام مسلم – حجاج القشيري / صحيح مسلم / - ب – من فضائل علي بن أبي طالب بمحشر الجدب 4425 ، ط1 : 124/12

[2] أبو عيسي محمد بن حسين بن سورة الترمذي ، ت267 ، سنن الترمذي ، رقم الحديث 2874 ، ط206/10

[3] الإمام ابو عبدالله اسماعيل البخاري ، الجامع الصحيح ، باب جمع القرآن 285/15 رقم الحديث 4603

[4] سورة الأنعام الآية (82)

يورد حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين معني الظلم ، عن أبي مسعود قال : لما نزلت (اَلْذِينَ اَمَنُوْا وَلَمْ يُلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) شق ذلك علي المسلمين فقالوا : يا رسول الله فأيُنا لاَ يظلِمُ نَفْسَهُ ؟ فقال : ليس ذلك إنما هو الشرك ألم تسمعوا قول لقمان لإبنه وهو يعظه (يَاَ بُنَيَّ لاَ تُشْرِكَ بِاللهِ إنَ اَلْشِرْكَ لَظُلْمُ عَظِيْمُ)[1] .

وفي تفسيره لمعني القوة التي وردت في قوله تعال من سورة الأنفال : (وَاَعِدْوَا لَهُمْ مَا اَسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَةٍ)[2] ، يورد سبعة أحاديث لبيان المعنى وتوضيحه وأولها ما رواه عقبة بن عامر يقول وهو علي المنبر (وَاَعِدْوَا لَهُمْ مَا اَسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَةٍ) ألا إن القوة الرمي إلا إن القوة الرمي[3] .

أما بقية الأحاديث فهي في فضل الرمي وثوابه ، ومنها ما رواه عقبة بن عامر ايضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر في الجنة ، صانعه ، والممد به ، والرامي في سبيل الله)[4] .

وفي تفسيره للحساب اليسير الذي ورد في قوله تعالى : (فَأَمَّاَ مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوُفَ يُحَاَسَبُ حِسَاَباً يَسِيرَاً)[(5)] ، يسوق حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم يبين معني يسر الحساب وموضعه وموعده ، وهو ما ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتي تعرفه ، وإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (مَنْ حُوسِبَ عُذِبَ)[6] ، ، قالت عائشة أو ليس يقول الله عز وجل فسوف يحاسب حساباً يسيراً قالت : فقال : إنما ذلك العرض ولكنه من نوقش في الحساب عذب .

وفي مستهل تفسيره لسورة الكوثر يسوق حديثاً عن الرسول صلى الله عليه وسلم يبين فيه معني الكوثر في الآية المذكورة فيقول : عن أنس رضي الله عنه قال : بينما رسول الله صلي الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفي إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسماً فقلنا : ما أضحكك يا رسول الله : قال : نزلت علي آنفاً سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم (إنَّاَ أَعْطَيْنَاَكَ اَلْكَوُثَرَ * فَصَلِ لِرَبِكَ وَأَنْحَرَ * إنَّ شَأَنِئَكَ هُوَ اَلأَبْتَرَ)[7] ثم قال : أتدرون ما الكوثر ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم أعلم قال : فإنه نهر وعدني به ربي فيه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء فيختلج العبد منهم فأقول : رب إنه من أمتي فيقول : ما تدري ما أحدث بعدك[8] .

---

[1] سورة لقمان الآية (13)

[2] سورة الأنفال الآية (60) سورة الإنشقاق الآية (8) ، تفسير الخازن : 408/4

[3] مسند الإمام أحمد بن حنبل ، 35–269 ، تفسير الخازن : 322/2 .

[4] الإمام مسلم ، باب ماجاء في فضل الرمي في سبيل الله ، رقم الحديث (1637)

[5] سورة الإنشقاق الآيات (7—8) ، تفسير الخازن : 408/4

[6] الإمام ابو عبدالله محمد اسماعيل البخاري ، الجامع الصحيح ، باب من سمع شيئاً فلم يفهمه ، رقم الحديث 180/100/1

[7] سورة الكوثر الآيات من (1—3) .

[8] الإمام مسلم بن حجاج القشيري ، صحيح مسلم / باب حجة من قال البسملة اية في اول كل سورة براءة ، رقم الحديث 607 ، 481/2

ويسوق بعد ذلك مجموعة من الأحاديث في وصف نهر الجنة الكوثر من لذة طعمه وطيب ريحه وبياض لونه[1] .

ولكن يتجاوز التفسير والبيان لمعنى الآية إلي التمثيل وعرض الشواهد الكثيرة في المعنى والهدف المراد خلال أية من آيات القرآن الكريم ، في تفسيره لمعنى التقوي التي يحققها لنا الصوم يعقد فصلاً يسوق فيه جملة من الأحاديث الصحيحة في فضل هذا الشهر الكريم وما فيه من الثواب والجزاء العظيم فذكرها تواليا مجردة من سندها .

1/قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا دخل شهر رمضان صفدت الشياطين وفتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار)[2] .

2/ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من صام رمضان إيماناً وإحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر إيماناً وإحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)[3] .

3/ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كل عمل إبن آدم يضاعف له الحسنة بعشرة أمثالها إلي سبعمائة ضعف ، قال تعالى إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به ، يدع الصائم طعامه وشرابه وشهوته من أجلي ، للصائم فرحتان ، فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ، ولخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك ، الصوم جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق فإن سآبه أحد أو قاتله فليقل إني إمرئٌ صائم)[4] .

4/ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن في الجنة ثمانية أبواب منها باب يسمي الريان لا يدخله إلا الصائمون)[5]

5/ عن أبي أُمامة قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : أي العمل أفضل فقال : (عليك بالصوم فإنه لا عدل له)[6] .

وفي مقام رعاية الحقوق والوفاء بها وعلي رأس ذلك بر الوالدين يسوق أحاديث نبوية كثيرة تكشف عن الواجبات والتكاليف الشرعية تجاه الوالدين ، يقدم ذلك كله خلال تفسير لقوله تعالى : (وَقَضَىَ رَبُكَ إلا تَعْبُدُوا إلا إِيَاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ اِحْسَانَاً اِمَاَ يَبْلُغَنَ عِنْدَكَ اَلْكِبَرَ أَحَدُهُمَاَ أَوْ كِلَاَهُمَاَ فَلَاَ تَقُلْ لَهُمَاَ أُفٍ وَلَاَ تَنْهَرْهُمَاَ وَقُلْ لَهُمَاَ قَوْلاً كَرِيماً * واَخْفِضْ لَهُمَاَ جَنَاحَ اَلْذُلِ مِنْ اَلْرَحْمَةِ وَقُلْ رَبِ اَرْحَمْهُمَاَ كَمَاَ رَبَيَانِي صَغِيْراً)[7] .

---

[1] تفسير الخازن ، 481/4

[2] ابو عيسي محمد بن عيسي بن سورة الترمذي ، باب ما جاء في فضل شهر رمضان ، رقم الأحاديث 618

[3] الإمام احمد بن حنبل في المسند ، 191/1 ، 292/2

[4] الإمام ابو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري ، الجامع الصحيح ، باب هل يقول أني صائم إذا شئت رقم الحديث 4471 ، انظر الخازن : 114/1

[5] المصدر السابق ، باب الجنة رقم الحديث 3017 ، 35/11 ، انظر الخازن : 114/1

[6] الإمام احمد بن شهب النسائي ، سنن النسائي ، باب ذكر الاختلاف ، علي محمد بن ابي يعقوب في حديث ابي امامة في فضل الصائم رقم الحديث 2192 : 704/4 انظر البخاري : 114/1

[7] سورة الإسراء الآية (23 – 24)

وأما الأحاديث فهي :

1/ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : (أمك ثم أمك ثم أمك ، ثم أباك ثم أدناك فأدناك)[1] .

2/ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (رغم أنفه ، رغم أنفه رغم أنفه) قيل من يا رسول الله ؟ قال : (من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة)[2] .

3/ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يجزي ولد والده إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه)[3]

4/ عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : (جاء رجل إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن في الجهاد فقال : أحي والداك قال : نعم قال : ففيهما تجاهد)[4] .

5/ وقال صلى الله عليه وسلم : (رضا الرب في رضا الوالدين وسخط الرب في سخط الوالدين)[5] الوالدين)[5]

6/ عن عبدالله بن مسعود قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الأعمال أحب إلي الله تعالى ؟ قال : الصلاة لوقتها : قلت : ثم أي قال : بر الوالوالدين ، قلت : ثم أي ، قال : الجهاد في سبيل الله)[6] .

ومثل ذلك صنع الإمام الخازن للتدليل علي أهمية صلة الرحم والبر والأقارب وذوي الرحم فحين يفسر قوله تعالى : (وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ)[7]

يذكر أن المقصود هم الأرحام ، ثم يسوق مجموعة من الأحاديث في هذا المقام وهي[8] :

1/ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عز وجل : (أنا الله عز وجل أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها من إسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته أو قال : بتته)[9]

2/ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله)[10] .

---

[1] الإمام مسلم بن حجاج القشيري ، صحيح مسلم باب الوالدين وأدناه رقم الحديث 4622 ، انظر الخازن : 127/3

[2] الإمام مسلم بن حجاج القشيري ، صحيح مسلم ، باب رغم أنف من أدرك ابوية ، رقم الحديث 4628 ، 397/12 ، انظر الخازن : 227/3

[3] الإمام مسلم بن الحجاج القشيري – صحيح مسلم – باب الوالدين رقم الحديث 2779 ، 30/8 أنظر الخازن : 127/3

[4] المصدر السابق ، صحيح مسلم ، باب الجهاد بإذن الأبوين ، رقم الحديث 2782 ، 188/10 أنظر الخازن : 127/3

[5] الإمام ابو عيسي محمد بن عيسي ، سنن الترمذي ، باب ما جاء في فضل رضا الوالدين ، رقم الحديث 1821 ، 122/7

[6] الإمام مسلم بن حجاج القشيري ، صحيح مسلم ، باب كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال ، رقم الحديث 122 ، 135/1 أنظر الخازن : 127/3

[7] سورة الرعد الآية (21)

[8] الإمام ابو عيسي محمد بن عيسي ، سنن الترمذي ، باب ما جاء في قطيعة الرحم ، رقم الحديث : 1830 : 137/7 ، أنظر الخازن : 15/3

[9] الإمام مسلم بن حجاج القشيري ، صحيح مسلم ، باب صلة الرحم تحريم قطيعتها ، رقم الحديث 4635 ، 407/12

[10] الإمام محمد بن عبدالله محمد اسماعيل البخاري ، الجامع الصحيح ، بابمن يبسط في الرزق ليصل الرحم ، رقم الحديث 5526 ، 385/18

3/ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسي له أثره فليصل الرحم)[1] .

4/ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(لا يدخل الجنة قاطع)[2] .

5/ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها)[3] .

6/ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ، فإن صلة الرحم محبة في الأهل ومثراة في المال ومنسأة في الأثر)[4] .

.

وعند تفسيره للأخر سورة الشعراء وشرحه قوله تعالى : (وَالْشُعَرَاءَ يَتَّبِعَهُمْ الْغَاوُونَ . اَلَمْ تَرَ أَنَهُم فِي كُلَ وَادٍ يَهِيْمُوُنَ * وَأَنَهُمْ يَقُوُلُونَ مَاَ لَاَ يَفْعَلُونَ)[5]

يورد بياناً لمعنى هذه الآية وتوضيحاً لموقف الإسلام من الشعر مجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة تكشف عن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر)[6] :

1/قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتي يريه خير من أن يمتلأ شعراً)[7]

2/ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل)[8] .

3/ .... أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وإبن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول :

خلو بني الكفار عن سبيله *** اليوم نضربكم علي تنزيله

ضرباً يزيل الهام عن مقيله *** ويذهل الخليل عن خليله

---

[1] المصدر السابق ، باب اثمر القاطع ، رقم الحديث 389 ، 383/18

[2] المصدر السابق ، باب ليس الواصل المكافئ ، رقم الحديث 5532 ، 391/18

[3] الإمام ابو عيسي محمد بن عيسي ، سورة الترمذي ، سنن الترمذي ، باب ما جاء في تعليم النسب ، رقم الحديث 1902 ، 249/7

[4] سورة الشعراء الآيات (224 – 226)

[5] تفسير الخازن ، 334/3

[6] تفسير الخازن 334/3

[7] أحمد بن حنبل ، المسند ، 387/6

[8] المصدر السابق ، 387/6

فقال عمر يا إبن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول الشعر ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (خل عنه يا عمر فلهي أسرع فيهم من نضح النبل)[1] .

4/ .....(قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يوم قريظة لحسان ، أهج المشركين فإن جبريل معك)[2]

5/ ..... (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان بن ثابت منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نا فح أو فأخر عن رسول الله)[3] .

1 الإمام ابو عيسي محمد بن عيسي ، سنن الترمذي ، باب ما جاء في انشاد الشعر ، رقم الحديث 2773 ، 67/1

[2] الإمام ابو عبيدة محمد بن اسماعيل البخاري ، الجامع الصحيح ، باب مرجع النبي صلي الله عليه وسلم من الأحزاب ومخرجه إلي بني حذيفة ، محاصرته اياهم ، رقم الحديث 3814 ، 28/13

[3] اخرجه الترمذي في سننه ، باب ما جاء في انشاد الشعر : 66/10 ، رقم الحديث 2773

المطلب الثالث

موقفه من التفسير بأقوال الصحابة والتابعين

جاء تفسير الإمام الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل) – فضلاً عن إعتماده علي الكتاب والسنة إعتماداً ظاهراً – معتمداً علي المأثور من تفسير الصحابة والتابعين رضي الله عنهم فهو من الكتب المعتبرة في التفسير بالمأثور ، وإن لم يكن خالصاً للتفسير بالمأثور .

ونسوق بعض الأمثلة للتدليل علي هذا الإتجاه الغالب علي تفسير الإمام الخازن ، وهو حرصه في تفسيره علي المأثور .

فمن ذلك أنه في بيانه لمعنى الصراط المستقيم ، يوضح ذلك خلال آراء السلف : قال إبن عباس : هو دين الإسلام ، وكذلك يضع في بيانه لمعني (اَلْذِينَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)[1] فيورد فهم وتفسير إبن عباس)[2]

والحقيقة أن للتفسير بالمأثور أهمية كبيرة في فهم المراد من آيات كتاب الله تعالى ، لأنه يعرض لنا فهم الصحابة الكرام رضي الله عنهم لهذه الآيات خاصة وأن القرآن أنزل فيهم ، وأن الرسول المبلغ المبين له كان بين ظهرانيهم .

ومثل ذلك من الأهمية آراء التابعين الذين تلقوا القرآن الكريم عن الرعيل الأول من الصحابة الكرام . وتتجلي أهمية التفسير بالمأثور في بعض آيات كتاب الله التي لا سبيل إلي فهمها دون فهم الصحابة رضي الله عنهم وذلك كما في الحروف المقطعة التي أُستهلت بها بعض سور القرآن الكريم .

وهذا ما أختاره الإمام الخازن في تفسيره لأول البقرة إذ أورد في ذلك رأي أبوبكر الصديق ، وعلي بن أبي طالب وإبن عباس رضي الله عنهم[3] .

وفي التفسير بالمأثور ما أورده الإمام الخازن في سبب نزول قوله تعالى : (تَتَجَافَيَ جُنُوبُهُمْ عَنْ اَلْمَضَاجِعْ)[4]

وفي بيانه لمعنى مجافاة المضاجع ، إذ يورد أقوالاً عدة عن أنس وإبن عباس وأبي حازم ومحمد بن المنكدر وعطاء والحسن ومجاهد ومالك والأوزاعي ، قال الخازن : قال أنس : نزلت فينا

---

[1] سورة الفاتحة الآية (7)
[2] تفسير الخازن ، 20/1
[3] تفسير الخازن 23/1
[4] سورة السجدة الآية (16)

معشر الأنصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع إلي رحالنا حتي نصلي العشاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]

وعن أنس أيضاً قال : نزلت في أُناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا ينتقلون ما بين المغرب والعشاء وهو قول أبي حازم ومحمد بن المنكدر ، وقيل في صلاة الأوآبين ، وروي عن إبن عباس قال : إن الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلاة الأوآبين ، وقال عطاء : هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الأخيرة في جماعة[2] .

وفي تفسير الخازن لمعنى الأمأنه التي جاءت في قوله تعالى : (إِنَّاَ عَرَضْنَاَ اَلَأمَأنه عَلَيَ اَلْسَمَوَاَتِ وَاَلَأرْضَ وَاَلْجِبَاَلَ ....)[3]

يورد ثلاثة أقوال للصحابة رضي الله عنهم وهو لا شك من التفسير بالمأثور فيقول : أراد بالأمأنه والطاعة والفرائض التي فرضها الله وهذا قول إبن عباس ، قال إبن مسعود : الأمأنه أداء الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت و .... و .... وأشهد من هذا كله الودائع ، وقال عبدالله عمر بن العاص : أول ما خلق الله في الإنسان فرجه وقال : الأمأنه أستودعها ، فالفرج أمأنه والأذن أمأنه ، وفي رواية عن إبن عباس هي أمانات الناس والوفاء بالعهود[4] .

وكذلك يستعين بالمأثور من التفسير في بيان معنى اللمم الذي في قوله تعالى : (اَلْذِينَ يَجْتَنِبُوُنَ كَبَاَئِرَ اَلإِثْمَ وَاَلْفَوَاَحِشَ إلا اَلَلْمَمَ)[5] ، فيورد قول أبي هريرة ومجاهد والحسن ورواية عن إبن عباس وهو إن معنى الآية : إلا أن يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب أو يقع الوقعة ثم ينتهي . وقال عبدالله بن عمرو بن العاص : اللمم ما دون الشرك ، وقال أبو صالح : سئلت عن قول الله عز وجل (إلا اَلَلْمَمَ) فقلت هو الرجل يلم الذنب ثم لا يعاوده[6] .

---

[1] تفسير الخازن ، 404/3
[2] تفسير الخازن ، 4040/3
[3] سورة الأحزاب الآية (72)
[4] تفسير الخازن 438/3
[5] سورة النجم الآية (32)
[6] تفسير الخازن ، 210/4

ويعتمد علي المأثور في بيان أن معني الماعون الذي يمنعه بعض المصلين ، روي عن علي رضي الله عنه أنه قال : هي الزكاة وهو قول إبن عمر والحسن وقتادة والضحاك وقال عبدالله بن مسعود : الماعون الفأس والدلو والقدر وأشباه ذلك وهي رواية عن إبن عباس ، قال مجاهد : الماعون العارية ، وقال عكرمه ، أعلاها الزكاة المفروضة وأدناها عارية المتاع ، وقال محمد بن كعب القرظي : الماعون المعروف الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم[1] .

ونكتفي بهذه الأمثلة السابقة في التدليل علي إعتماد الإمام الخازن علي المأثور في تفسيره ، وهو إعتماد ظاهر في السور كلها ، وإن كان هذا لا يعني أن تفسيره إقتصر علي المأثور من التفسير بل يستعين في فهم الآية باللغة العربية والمعقول من الإجتهاد .

[1] تفسير الخازن ، 479/4

المطلب الأول

الإسرائيليات : معناها وبيان المراد منها :

الإسرائيليات جمع مفردة إسرائيلية ، وهي قصة أو حادثة تروي عن مصدر إسرائيلي ، والنسبة في مثل هذا تكون لعجز المركب الإضافي لا لصدره – وإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام[1] .

وهو مصطلح لم يتحدث عنه المتقدمون ، وإنما تحدث عنه عدد من الباحثين المحدثين[2] .

ولفظ الإسرائيليات ، وإن دل ظاهره علي اللون اليهودي للتفسير ، وما كان للثقافة اليهودية من أثر ظاهر فيه إلا أن المدققين من علماء الإسلام أطلقوه علي ما هو أشمل من ذلك ، فهو عندهم يعم اللون اليهودي واللون النصرآني ، وكل ما نقل عن أهل الملل والأديان الأخرى ، وما دسه أعداء الإسلام – ممن تظاهروا بالدخول فيه – علي إختلاف أجناسهم وأهدافهم[3] .

وإنما صح إطلاق لفظ الإسرائيليات علي كل ذلك ، من باب التغليب للون اليهودي علي غيره ، لأن غالب ما يروي من هذه الخرافات والأباطيل يرجع في أصله إلي مصدر يهودي[4] ، ولأن الضرر فيه أكبر ، والأثر السيئ منه أظهر[5] .

غير أن الإطلاق – فيما أرى – إنما هو من حيث إدراج المدخلات تحت عنوان الإسرائيليات ، وأما من حيث التفاصيل ، فإن كل جزئية تنسب إلي مصدرها ، فيقال : هذه مأخوذه عن مصدر نصراني وهذه من وضع الزنادقة وهكذا .

وذلك التصريح نجده في مثل قصة زينب رضي الله عنها قالوا : إنها من وضع يوحنا الدمشقي في العهد الأموي ، وفي قصة القرانيق[6] ، ويقول الإمام إبن كثير : قد ذكر كثير من المفسرين ، هاهنا قصة الغرانيغ ، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلي أرض الحبشة ، ظناً منهم أن مشركي قريش قد أسلموا . لكنها من طرق كلها مرسلة ، ولم أرها مسنده من وجه صحيح ، قال إبن أبي حاتم : حدثنا يونس بن حبيب ، حدثنا أبو داود شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة النجم ، فلما بلغ هذا الموضع (أَفَرَأَيْتُمُ اَللَاتَ

---

[1] د. محمد حسين الذهبي ، الإسرائيليات في التفسير والحديث ، دار الكتب الحديثة بمصر ، 1396هـ - 1967م ، ص13

[2] د. رمزي نعناعة ، الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير ، ص72 - 73

[3] د. محمد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون ، 165/1

[4] د. محمد حسين الذهبي ، الاسرائيليات في التفسير والحديث ، ص15

[5] د. أبي شهبة ، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، ص23 - 24

[6] الغرانيغ : هي الأصنام وفي الأصل : الذكور من طير الماء : القاموس المحيط : 449/2

وَاَلْعُزَىَ * وَمَنَاَةَ اَلْثَالِثَةَ اَلأُخْرَيَ)[1] قال : فألقي الشيطان علي لسانه تلك الغرانيغ العلى وأن شفاعتهن ترتجي ، قالوا : ما ذكر ألهتنا بخير قبل اليوم ، فسجد وسجدوا ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية (وَمَاَ أَرْسَلْنَاَ مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُوُلٍ وَلَا نَبِيٍ إلا إذا تَمَنَيَ أَلَقَىَ اَلْشَيْطَاَنُ فَيِ أُمْنِيَتِهِ فَيَنْسَخُ اَللهُ مَاَ يُلْقِيِ اَلْشَيْطاَنَ ثُمَ يُحْكِمَ اللهُ آيَاَتِهِ وَاَللهُ عَلِيِمُ حَكِيْمُ)[2] .

ورواه إبن جرير عن بندار عن غندر عن شعبة به نحوه ، وهو مرسل ، وقد رواه البزار في مسنده عن يوسف بن حماد عن أمية بن خالد عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير ، عن إبن عباس فيما أحسب الشك في الحديث ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ بمكة سورة النجم حتى إنتهي إلي (أَفَرَأَيْتُمُ اَلْلَاَتَ وَاَلْعُزَىَ) وذكر بقيته ، ثم قال البزار : لا نعلمه يروي متصلاً إلا بهذا الإسناد ، تفرد بوصلة أمية بن خالد ، وهو ثقة مشهور ، وإنما يروي هذا من طريق الكلبي عن أبي صالح عن إبن عباس ، ثم رواه إبن أبي حاتم عن أبي العالية وعن السعدي مرسلاً ، وكذا رواة إبن جرير عن محمد بن كعب القرطي ومحمد بن قيس مرسلاً ايضاً)[3] .

وقد تعرض القاضي عياض – رحمه الله – في كتاب الشفاء لهذه القصة وأجاب بما حاصله .

(أعلم أكرمك الله ، أن لنا في الكلام علي مشكل هذا الحديث مأخوذين : أحدهما في توهين أصله ، والثاني : علي تسليمه .المأخذ الأول : فيكفيك أن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل . وأما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب ، المتلقون من الصحف كل صحيح وسقيم والذي منه في الصحيح ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ (وَاَلْنَجْمُ) وهو بمكه ، فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والأنس ، هذا توهينه من طريق النقل .

أما من جهة المعنى ، فقد قامت الحجة وأجمعت الأمة ، علي عصمة النبي صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرزيلة ، أما من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح اَلهة غير الله ، وهو كفر ، أو يتسور عليه الشيطان ، ويشبه عليه القرآن حتي يجعل فيه ما ليس فيه ، حتي ينبهه جبريل – عليه السلام – وذلك كله ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم ، أو يقول ذلك

[1] سورة النجم الآيات (19– 20)
[2] سورة الحج ، الآية (52) انظر الخازن : 360/3
[3] ابن ابي الفداء اسماعيل ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، 655/4

النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمداً وذلك كفر، أو سهواً وهو معصوم من هذا كله[1] .

و أقول في هذا البحث قصة الغرانيق تستلزم أن الشيطان إستولى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فألقي علي لسانه هاتين الكلمتين الكاذبين الخبيثتين في مدح الأوثان ، بعد ذم القرآن لها ، وتقريع عابديها من الوثنيين المشركين ، وأنه صلى الله عليه وسلم – هو المبلغ عن الله رسالاته – لم يميز هذا البهتان الشيطاني من الكلام الإلهي .

ونقول هذا يسلب رسول الله صلى الله عليه وسلم أخص خصائصه البشرية .

أولاً : في معرفته بخصائص القرآن الحكيم الأسلوبية ، وحقائقه المعنوية ، وأهدافه في الهداية التي نزل لتوطيد دعائمها ، كما يسلب عنه نعوت النبوة وحقيقتها ، وما يجب لها من عصمة من وجبت له منذ أول لحظة ثبوتها بالوحي من الله تعالى .

فهذه الرواية باطلة كاذبة ، فيما تقولته علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا عبرة بصحة سندها ، إذا ثبتت هذه الصحة . إنها رواية ترفع الثقة عن آيات القرآ الحكيم ، وتذهب بخصوصية إعجازه البياني ، الذي أدركه أجلاف العرب ، فسجدوا عند سماعه ، إعظاماً لبلاغته ، وهم لم يؤمنوا به فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم القائم علي تنزيله وتبليغه ، وحفظه من التحريف والتبديل ، الحفيظ علي نصه ، ونظم تاليفه ، العليم بحقائقه وهدايته ، لا يميز بين كلمات هذا الكتاب الحكيم وأياته ، وبين غثاء الشياطين وإفتراءهم فمن إذاً بقى من الخلق – ليحافظ علي هذا الكتاب الحكيم المحكم مقومات صدقه ، ودلائل إعجازه ، ومعرفة هديه ، وبراعة أسلوبه ، وتميز معانيه وحقائقه ؟

ومما يثبت بطلان الخبر ، عدم إستقامة النص علي نهج الهداية ، وموافقة أصول الرسالة الخاتمة الخالدة ، ومعرفة ما للقرآن من قداسة توجب إلا يقبل أسلوبه ونظمه وحقائق هدايته ومعانيه التشريعية أن يدخل فيه ما ليس فيه ، ولا أن ينقص من آياته أو كلمة أو حروفه ما هو منه ، ومعرفة ما للنبي صلى الله عليه وسلم من عصمة توجب ألا يتقول علي الله تعالى ما لم يقل ، وقد قال تعالى : (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَاَ بَعْضَ اَلاَقَاَوِيلَ * لَأَخَذْنَاَ مِنْهُ بِإِلي مِيْنِ * ثُمَ لَقَطَعْنَاَ مِنْهُ اَلْوَتِينَ)[2] ، إذن هذه القصة باطلة منكرة ، تناقض مع إصول الإسلام وقواعد الدين ، وصريح المرويات .

[1] القاضي ابن الفضل عياض ، الشفاء بتعريف حقوق المصطفي 107/2
[2] سورة الحاقة (45 – 46)

ومن وقف علي أسانيد بن جرير في تفسيره التي يعزو إليها الذين كتبوا في الإسرائيليات أنواع .. فمنها ما هو صحيح في سنده ومتنه[1] ، ومنها ما هو ضعيف في السند[2] ، ومنها ما هو ضعيف في المتن[3] ، ومنها ما هو موضوع ومختلف ومصنوع[4] .

والإسرائيليات تدخل من حيث موضوعها في العقائد والإحكام الشرعية والمواعظ والقصص ، ومنها ما يوافق شرعنا ، ومنها ما لا يوافق شرعنا ، ومنها ما هو مسكوت عنه .

وحكم الأخذ بالإسرائيليات الجواز للرواية التي يصدقها التاريخ مما يشهد له بالصحة ، والرد لما يكذبه الشارع لمخالفته ما عندنا ، وجواز رواية ما سكت عنه وحكايته فلا نؤمن به ولا نكذبه .. وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلي أمر ديني[5] .

وقد إعتمد أهل التفسير في حكاية أقاويل أهل الكتاب علي قول الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أباح ذلك حيث قال : (بلغوا عني ولو أية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)[6] .

ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للإعتقاد كالذي يرد في أسماء أصحاب الكهف ، ولون كلبهم وعدتهم ، وعصا موسي من أي الشجر كانت ، وأسماء الطيور التي أحياها الله تعالى لإبراهيم .. إلي غير ذلك مما أبهمه الله تعالى من القرآن مما لا فائدة من تعيينه تعود علي المكلفين في دنياهم ولا دينهم[7] .

وقد شحنت كتب التفسير بالمأثور وأبتليت بالأحاديث الإسرائيلية ، ولا شك أن المحذور منها هو النوع الثاني مما يكذبه الشارع بما عندنا مما يخالفه .

وفي هذا يقول الدكتور الذهبي : لا أكون مبالغاً ولا متجاوزاً حد الصدق إن قلت ، إن كتب التفسير كلها قد أنزلق مؤلفوها إلي ذكر بعض الإسرائيليات ، وإن كان ذلك يتفاوت قلة وكثرة ، وتعقيباً عليها وسكوتاً عنها[8] .

---

[1] ابي الفداء إسماعيل بن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، 253/2 الإمام محمد أبو عبدالله محمد إسماعيل البخاري ، الجامع أ ، صحيح ، 169/6

[2] راجع ما رواه الطبري 244/1

[3] راجع فيه ابن كثير في تفسيره في هاروت وماروت 138/1

[4] راجع فيه إليه ابن كثير في تفسيره من بناء (بيت المقدس) 25/3

[5] راجع مقدمة في أصول التفسير ، ص100 ، والإسرائيليات في كتب التفسير ، ص71 - 105

[6] الإمام أبو عبدالله محمد إسماعيل البخاري ، الجامع الصحيح ، رقم الحديث 3202 ، 277/11

[7] راجع مقدمة في أصول التفسير ، ص10

[8] محمد حسين الذهبي – الإسرائيليات في التفسير والحديث ، ص96

ولا تنازع في أن الخازن قد أكثر من رواية الإسرائيليات في تفسيره – غير أننا نجده – قد رد علي إسرائيليات باطلة متعددة لها مساس بالعقيدة قد سكت عنها جمع من المفسرين .

وإذا لاحظنا أن الإسرائيليات متفاوتة في مدي خطورتها علي عقائد المسلمين وقدسية الإسلام ، وأنه لا يمكن المساواة بين إسرائيلية ذكرت شرحاً لبعض المجملات ، أو لبعض جزئيات الحوادث والأخبار أو ما شابه ذلك مما لا تعلق له بالعقائد والأحكام وبين إسرائيلية تمس معاقد الإيمان ، قد وضعت عن خبث ومكر لهدم أصول العقائد والتشريع ، إتضح لنا أن الإمام الخازن – رحمه الله – أسلم بهذا الإعتبار من بعض التفاسير التي ذكرت بعض تلك الطامات ولم تردها.

المطلب الثاني

مزايا الخازن في رواية الإسرائيليات

للخازن في ذلك شأناً جليلاً ، ومسلكاً مفيداً وسأركز منه علي ما يتعلق بالعقائد مما له مساس بمقام النبوة ، أو خدش لعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فقد أبلي فيه الخازن بلاءً حسناً ، وكان له في ذلك باع طويل فهو – رحمه الله تعالى – يتعقب الروايات الواردة في ذلك ويبطلها ويفندها وجه الحق والتفسير الصحيح للأيات التي نسجت تلك الروايات حولها ، والأمثلة علي ذلك كثيرة ، وسأكتفي ببعض النماذج ، فمن ذلك :-

القصص المفترى علي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا سيما داؤد وسليمان اللذآن لقيا من اليهود أذي كثيراً ، وبهتاناً عظيماً ، ولا غرابة فاليهود قوم بهت كما وصفهم الحبر المقدم فيهم الذي أنقذه الله بالإسلام ، الصحابي الجليل عبدالله بن سلام رضي الله عنه[1] .

وقد ساق الخازن في تفسيره كثيراً من الروايات الطاعنة في نبي الله داؤد عليه السلام . والقادحة في عصمته كقصة الشيطان الذي تمثل له في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن ، وجناحاها من الدر والزبرجد ، فطارت ثم وقعت بين رجليه ، وألهته عن صلاته ، وقصة إمرأة أوريا التي وقع بصره عليها ، فأعجبه جمالها ، فأحتال علي زوجها حتى قتله رجاء أن تسلم له هذه المرأة التي فتن بها وشغف بحبها ، وغير ذلك من الروايات العجيبة الغريبة التي أوردها في تفسير قوله تعالى : (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ اَلْخَصْمَ إِذْ تَسَوَرُوا اَلْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَي دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالَوا لَا تَخَفْ خَصْمَانَ بَغِيَ بَعْضُنَا عَلَيَ بَعْضْ فَاَحْكُمْ بَيْنَنَا بَالَحَقْ وَلَا تَشْطُطُ وَاَهْدِنَا إِلي سَوَاءَ اَلْصِرَاطَ * إِنْ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعُ وَتِسْعُونَ نَعْجَةُ وَلِي نَعْجَةُ وَاَحِدَةْ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي اَلْخِطَابَ)[2] الآيات إلي قوله تعالى : (وَظَنَّ داوَدَ إَنَمَا فَتَنَاهُ فَاَسْتَغْفَرَ رَبُهُ وَخَرَ رَاَكِعَاً وَاَنَابَ)

---

[1] هو الصحابي الجليل عبدالله بن سلام الحارث أبو يوسف الإسرائيلي ثم الأنصاري ، كان من ذرية يوسف عليه السلام ، وقصة إسلامه في الصحيح ، وهو من بشرهم النبي صلي الله عليه وسلم بالجنة ، توفي بالمدينة المنورة سنة ثلاث واربعين ، رضي الله عنه وأرضاه ، أنظر الأصابة 32/2 – 33 والبخاري رقم 3911 في كاب مناقب الأنصار ، في باب هجرة النبي صلي الله عليه وسلم وأصحابه إلي المدينة 249/7 ، 250 ، وباب مناقب عبدالله سلام رضي الله عنه : 128/7

[2] سورة ص الآيات (21 – 23)

، وبعد أن أورد الخازن تلك الروايات التي يمكن أن تكون من باب :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه

ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه[1]

عقب ذلك يفصل في تنزيه داؤد عليه السلام عما لا يليق به وما ينسب إليه ، فقال رحمه الله تعالى :

أعلم أن من خصه الله بنبوته وأكرمه برسالته وشرفه علي كثير من خلقه وأتمنه علي وحية وجعله واسطة بينه وبين خلقه ، ولا يليق أن ينسب إليه ما لو نسب إلي أحاد الناس لاستنكف أن يحدث به عنه ، فكيف يجوز أن ينسب إلي بعض أعلام الأنبياء والصفوة الأمناء ؟ ونقل عن علي بن أبي طالب رضي الله عن قال : من حدثكم بحديث داؤد علي ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة وهو حد الفرية علي الأنبياء[2] .

ولم يكتف الإمام الخازن – رحمه الله تعالى – بإبطال ذلك القصص وتلك الروآيات فحسب ، بل يعمد إلي ذكر التفسير الصحيح للآية ، ويذكر في ذلك عدة أوجه ويختمها بقوله وقيل إن ذنب داؤد الذي استغفر عنه ليس هو بسبب أوريا المرأة ، وإنما هو بسبب الخصمين ، كونه قضي لأحدهما قبل سماع كلام الأخر ، وقيل : هو قوله لأحد الخصمين (قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ)[3] فحكم علي خصمه بكونه ظالماً بمجرد الدعوى ، فلما كان هذا الحكم مخالفاً للصواب ، إشتغل داؤد بالإستغفار والتوبة .

قال الخازن : فثبت بهذه الوجوه نزاهة داؤد عليه السلام مما نسب إليه و الله أعلم[4] .

وهذا الوجه ، وإن بدت عليه مخايل الجودة ، وأنه موافق لسياق الآية : (يَاَ دَاوُدَ إِنَاَ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي اَلأَرْضَ فَاْحْكُمْ بَيْنَ اَلنَّاسَ بِاَلْحَقْ وَلاَ تَتَبِعْ اَلْهَوَىَ فَيُضِلَكَ عَنَ سَبِيلِ اَللهِ)[5]

حيث ذكرت إستقاء الخصمين وإحتكامها إلي داؤد عليه السلام وسرعة جوابه فقد رده بعض المحققين .

---

[1] هذه الأبيات للشاعر : أبو فراس الحمداني التغلبي ابن عم سيف الدولة ، توفي سنة 967هـ ، ديوان ابو فراس الحمداني ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ طبع ، ص260 ، انظر بدر الدين الزركلي ، الإعلام ، 155/2

[2] تفسير الخازن ، 36/4

[3] سورة ص الآية (24) .

[4] تفسير الخازن ، 37/4

[5] سورة ص الآية (26)

وبهذا تبطل قصة داؤد وأوريا وأمرأته من أساسها ويحكم بأنها فرية بدون مرية ، وهكذا نرى أن الإمام الخازن – رحمه الله – يتصدى لهذه القصة ويثبت بطلانها ، بينما نجد بعض المفسرين يودعونها تفاسيرهم من غير نكير مع ما فيها من بشاعة ونكارة [1] .

وقد ساق – أيضا الروايات الواردة بشأن سليمان عليه السلام ، ومنها قصة صخر المارد وتشبهه به وتسلطه علي ملكه ونسيانه ، ثم يكر علي ذلك بالتفنيد ،وينقل عن القاضي عياض وغيره من المحققين أن ذلك كله غير صحيح ، وأن الشيطان لا سبيل للتشبه بأنبياء الله أو التسلط علي ملكهم لأن الله تعالى قد عصمهم منه .

ثم شرع في بيان التفسير الصحيح لقوله تعالى : (وَلَقَدْ فَتَنَّاَ سُلَيْمَانَ وَأَلْقَينَاَ عَلَيَ كُرسِيهِ جَسَدَاً ثُمَ أَنَاَبَ)[2]

والذي ذهب إليه المحققون أن سبب فتنته ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال سليمان بن داؤد عليهما السلام – لا طوفن الليلة علي مائة إمرأة – أو تسع وتسعين – كلهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله ، فقال له صاحبه : قل إن شاء الله ، فلم يقل إن شاء ، فلم تحمل منهن إلا إمرأة وأحدة جاءت بشق رجل ، والذي نفس محمد بيده لو قال : إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون ، وفي رواية : لأطوفن بمائة إمرأة فقال له الملك : قل إن شاء الله فلم يقل ونسى[3] .

قال العلماء : والشق هو الجسد الذي ألقي علي كرسيه وهي عقوبته ومحنته لأنه لم يستثن لما أستغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني ، وقيل : نسى أن يستثني – كما صح في الحديث – لينفذ أمر الله ومراده فيه[4] .

وبينما نرى الإمام الخازن يسير في هذا الطريق المضيء ، وينكر ذلك القصص الباطل ، نرى غيره من أجلاء المفسرين ، يذكر ذلك ولا يبطله ، بل ربما أقره بعضهم . يقول الإمام إبن عطية : إختلف الناس في الجسد الذي ألقي علي كرسيه ، فقال الجمهور : الجني المذكور – أي

---

[1] منهم : ابن عطية في الوجيز ، 446/12 ، وابن العربي كما في الجامع لأحكام القرآن 1637/4 ، ط دار المعرفة .

[2] سورة ص الآية (34) .

[3] انظر مثلاً جامع البيان لابن جرير الطبري ، 23/93-96 ، وعزاه السيوطي علي ابن ثيبة وأبي ابن حامت كما في الدر المنثور ، 300/5 ، وكذا ذكره الشوكاني في فتح القدير 428/4 ، وقال ابن القيم : وهذا داود عليه السلام كان عنده تسعة وتسعون امراة تلك المرأة وتزوجها فكمل المائة ، انظر الحواية الكافي فصل محبة السنوات ، ص326 ، وكذا ذكر أكذوبة قصة زينب – رضي الله عنها – ص310 - 311

[4] الإمام أبو عبدالله محمد اسماعيل البخاري : الجامع الصحيح ، كتاب الجهاد ، باب من طلب الولد للجهاد ، رقم 2819 ، 34/6 والإمام مسلم بن الحجاج القشيري ، كتاب الإيمان ، باب الاستثناء رقم 1654 ، 34/6 وأورده الخازن باختلاف يسير في بعض الألفاظ 43/4

صخر المارد – سماه جسداً لأنه قد تمثل في جسد سليمان عليه السلام وليس به ، وهذا أصح الأقوال وأبينها معنىً[1] .

ويقول الإمام البغوي بعد ذكر القصة : وأشهر الأقاويل أن الجسد الذي ألقي علي كرسيه هو صخر الجني[2] .

وهكذا يسلك الإمام الخازن – رحمه الله – هذا المنهج المنير في الدفاع عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وإثبات عصمتهم بما لو تتبعناه لطال بنا الحديث ، ولكننا سنكتفي بالإشارة السريعة إلي بعض ذلك :

عقد فصلاً في الرد علي الطاعنين في عصمة الأنبياء عند قوله تعالى : (وَإِمَّاَ يَنْزَغَنَّكَ مِنْ اَلْشَيْطَانِ نَزْغُ فَاَسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَهٌ سَمِيعُ عَلِيمُ)[3] ودحض الشبه في ذلك ثم نقل عن القاضي عياض قوله :

وأعلم أن الأمة مجمعة علي النبي– صلى الله عليه وسلم – من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه [4] ، وكذا عقد فصلاً عند قوله تعالى : (مَاَ كَاَنَ لَنَبِيٍ أَنٌ يَكُوُنَ لَهُ أَسْرَىَ حَتَىَ يُثْخِنَ فِيِ اَلأَرْضَ)[5] .

وذكر في ذلك وجوهاً عدة وأجاب عنها[6] .

وعقد فصلاً – أيضاً عن قوله تعالى : (عَفَاَ اَللهُ عَنْكَ لِمَ أَذَنْتَ لَهُمْ)[7] .وذكر كلاماً نفيساً في عصمة النبي صلى الله عليه وسلم عند قوله تعالى : (فَلَعَلْكَ تَاَرِكُ بَعْضُ مَاَ يُوُحَىَ إليكَ وَضَاَئِقُ بِهِ صَدْرُكَ)[8] .

وعقد فصلاً في عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام – عند قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام (إِنَهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَهُ عَمَلُ غَيْرُ صَاَلَحِ)[9] .

---

[1] تفسير الخازن 59/6
[2] انظر ابن عطية ، المحرر الوجيز ، 460/12
[3] سورة الأعراف الآية رقم (200)
[4] انظر معالم التنزيل 60/6
[5] سورة الأنفال الآية رقم 67
[6] تفسير الخازن 285/2
[7] سورة التوبة الآية (43) تفسير الخازن 367/2 .
[8] سورة هود الآية (12) ، تفسير الخازن 474/2 .
[9] سورة هود الآية (46) ، تفسير الخازن 488/2 .

وبين في قوله تعالى في قصة لوط عليه السلام (هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَ أَطْهَرُ لَكُمْ)[1] وأنه أراد ببناته نساء قومه وأضافهن إلي نفسه لأن كل نبي أبو أمته وهو كالوالد لهم ثم قال : وهذا القول هو الصحيح ، وأشبه بالصواب – إن شاء الله تعالى – ثم دلل علي ذلك ، وبين ضعف الأقوال الأخري[2].

ونقل الأقوال في قصة يوسف عليه السلام مع إمرأة العزيز ، وما نسب في ذلك إلي السلف من الأباطيل ثم أثبت تنزيه يوسف وبيان عصمته ، وأن ما جاء بخلاف ذلك وهو كذب بحت ، ونسبته إلي الصحابة أو التابعين غير صحيحة[3] .

وهو بهذا يخالف ما ذهب إليه البغوي .[4]

وتبعاً لشيخه الثعلبي في أن ما روي في هم يوسف عليه السلام هو مذهب السلف .[5]

وقد عقد فصلاً عن قصة زينب رضي الله عنها ، وزواج النبي صلى الله عليه وسلم منها وبين أن ماذهب إليه بعض المفسرين [6] من وقع محبتها في قلبه صلى الله عليه وسلم حين رآها ، إقدام عظيم من قائله ، وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله ، قال : وكيف يقال رآها فأعجبته وهي بنت عمته ، ولم يزل يراها منذ ولدت ، ولا كان النساء يحتجبن عنه صلى الله عليه وسلم ، وهو زوجها لزيد ، فلا يشك في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يأمر زيداً بإمساكها وهو يحب تطليقه إياها ، كما ذكر عن جماعة من المفسرين ، وهو كعادته لم يكتف برد الباطل ، بل يشرع بعده ببيان وجه الحق ، وقد فصل القول الصحيح في هذا الفصل ، فنقل عن زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما : أن الله عز وجل أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أنها ستكون من أزواجه ، وإن زيداً سيطلقها ، فلماء جاء زيد قال : إني أريد أن أطلقها قال له أمسك عليك زوجك – عاتبه الله تعالى .. ثم قال : وهذا هو الأولى والاليق بحال الأنبياء وهو مطابق للتلاوة ، وبعد بيان وجه الدليل من ذلك قال : فدل علي أنه إما عتب علي إخفاء ما أعلمه الله أنها ستكون زوجته ، وإنما أخف ذلك إستحياءً أن يخبر زيداً أن التي تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتي ، ثم قال الخازن – رحمه الله تعالى – وهذا قول حسن مرضي ، وكم من شئ

---

[1] سورة هود الآية (78)

[2] تفسير الخازن : 497/2

[3] المصدر السابق ، 521/2

[4] من ذلك ما نقله عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : حل الهيمان وجلس منها مجلس الخازن ثم قال البقوي : وزعم بعض المتأخرين ان هذا لا يليق بحال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ونقل تأويله ورده ثم قال وهذا التأويل وأمثاله غير مرضياً لمخالفتها اقوال القدماء من العلماء الذين أخذ عنهم الدين والعلم ، أنظر تفسير البقوي : 273/3 ، 274

[5] أنظر تفسير (هم يوسف) ماذكرة الاستاذ ـ مصطفي صادق الرفاعي رحمة الله ـ في كتابه وحي القلم 118/117/1 ، حيث قال : والحق الصحيح عن تفسير (هم يوسف) أنه لم يقع من يوسف لأنه لو لم يرى برهان ربه لكان هما ، وقد ذكر هذا الامام الخازن ـ رحمه الله أنظر الكشاف 105/2 ، تفسير المنار 287/12 ، ومابعده ، ط / دار الفكر للطباعة والنشر ، بدون تاريخ .

[6] منهم بني جرير الطبري ـ حيث يقول بعد فراقه منها ، و ينحوا هذا الذي قلنا أهل التأويل ، جامع البيان 22، 98 ، ط / 1 ، ت : بدون .

يتحفظ منه الإنسان ويستحي من إطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلالاً مطلق ، لا مقال فيه ولا عيب عند الله ، وربما كان الدخول في ذلك المباح سلماً إلي حصول وأجبات يعظم أثرها في الدين ، وهو إما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم إياها لإزالة التبني وإبطال سنيته كما قال تعالى :

(مَاَ كَانَ مُحَمَدً أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَاَلِكُمْ وَلَكِن رَسُولَ اَللهِ وَخَاَتَمَ النَبِيِينَ وَكَاَنَ اللهُ بِكُلَ شَيءِ عَلِيمَاً)[1] ، وقال : (لِكَيِ لَاَ يَكُوُنَ عَلَيَ اَلْمُؤمِنِينَ حَرَجُ فِيِ أَزْوَاَجُ اَدْعِيَاَئِهِمْ)[2] .

ولكن وبعد ما تقدم قول : إن الإمام الخازن – رحمه الله تعالى – لم يلتزم بمنهجه هذا في جميع تفسيره ، فقد كان أحياناً يذكر من القصص ما يمس جانب العقيدة ولا يتفق مع الأصول الشرعية المقررة كما يقول الدكتور الذهبي ولا يعقب عليه بما يفيد بطلانه ، ومثل لذلك بما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : (وَأَيُوُبَ إِذْ نَاَدَىَ رَبُهُ أَنِيِ مَسْنَيِ اَلضُرُ وَأَنْتَ أَرْحَمَ اَلْرَاَحِمِينَ)[3] .

حيث قال : فقد روي عن وهب بن منبه[4] ، قصة فيها نكاره ومنافاة لأصول الشريعة[5] .

وقد قرأت القصة في تفسير الخازن وتأملتها ، فتعجبت من إيراده لها وسكوته عنها حيث لم يفندها ولم يبين بطلانها كعادته – رحمه الله – وإن كان الباحث ليس مع الخازن فيما ذهب إليه من إقرار ما نسب إلي أيوب عليه السلام إلا إنه يقول :

قد نلتمس للإمام الخازن في ذلك عذراً ، إذ لعله رأى أن ما في هذه القصة لا يتعارض مع العصمة ولا يقدح في مقام النبوة ولا يمس جانب العقيدة ، بل ربما رأى أن في ذلك رفعة لمقام أيوب عليه السلام لما تصوره القصة من صبر عظيم ، إستحق أن يقول الله تعالى : فيه : (إِنَاَ وَجَدْنَاَهُ صَاَبِرَاً نِعْمَ اَلْعَبْدُ إِنَهُ أَوْاَبَ)[6] .

وهو وإن كان يرى أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام منزهون عن الأمراض المنفرة ، إلا أنه يرى أن ما حل بأبواب كان عرضاً ، فهو كالعمى الذي حل بيعقوب بسبب فراق ولده يوسف عليه السلام .

---

[1] سورة الاحزاب الآية : (40) ، تفسير الخازن : 428/3

[2] سورة الاحزاب الآية : (37) .

[3] سورة الانبياء الآية : (83)

[4] هو وهب بن منية بن كامل اليماني ، كان من خيار التابعين ، ومن العلماء العالمين وقد وثقة الجمهور ، وشذ الفلاني فقال : كان ضعيفاً وقد أخرج له البخاري حديثاً واحداً في كتابة الحديث ، وقد كان ذا شفافة وأسعة بالديأنه اليهودية وغيرها من كتب الاولين ، ولذا فقد كشير النقل عنه ولكن غالب مانسب إليه أسانيد واهيه ، توفي سنة بضع عشرة ومأئة ـ رحمة الله ـ أنظر ترجمته في تهذيب التهذيب 168/166/11، تقريب التهذيب 339/2.

[5] أنظر : الاسرائيليات في التفسير والحديث ، صفحة 134 ـ سورة الانبياء الآية (44)

[6] سورة ص الآية (44)

ومما ينبغي أن يعلم : أنه لابد أن يكون البلاء الذي حل بأيوب عليه السلام عظيماً وفوق العادة ، وقد يكون مقارباً لبعض ما في مفردات القصة من حيث جمع البلاء الجسدي والمعنوي من مثل تبكيت أصحابه له ولومهم وقولهم له : تب إلي الله من الذنب الذي عوقبت به فقد ورد أن إتهامهم له كان أشد عليه مما هو فيه .

ولذا فإن الخازن يورد سؤالاً ويجيب عنه فيقول : فإن قلت : كيف سماه الله صابراً وقد أظهر الشكوى والجزع بقوله : مسنى الضر ، ومسني الشيطان بنصب وعذاب ، قلت : ليس هذا شكاية وإنما هو دعاء ثم يدلل علي ذلك[1] .

ومهما يكن فإن قصة أيوب ليست كقصة داؤد عليهما السلام مع زوجه أوريا ، ولا كقصة زينب مع نبينا صلى الله عليه وسلم ، التي رواها وسكت عليها من هو أقدم من الخازن وأشهر . وأيضاً فليس الخازن وحده هو الذي ذكر قصة أيوب بل ذكرها أو طرفاً منها دون نكير جمع من المفسرين منهم : إبن جرير الطبري[2] .

وإبن عطية[3] ، وإبن الجوزي[4] ، والسيوطي[5] .

ونقلها الشيخ سليمان بن عمر الشهير بالجمل عن الخازن مختصراً [6] .

ومن الإسرائيليات التي فندها الخازن وأنكر علي من أقرها ، قصة هاروت وماروت ، تلك القصة العجيبة الغريبة ، وقد عقد فصلاً في عصمة الملائكة ، ونقل عمن ذهب إلي عصمة جميعهم بأنه لم يصح من هذه القصة شئ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما أخذت من اليهود ، ثم ساق وجوه أبطالها وقال : فبأن بهذه الوجوه ركة هذه القصة ، والله أعلم بصحة ذلك وسقمه ، والأولى تنزيه الملائكة عن كل ما لا يليق بمنصبهم[7] .

بينما نجد أن جمعاً من المفسرين قد أودعوها تفاسيرهم من غير نكير منهم : الإمام إبن جرير الطبري وإبن أبي حاتم الرازي والإمام البغوي وغيرهم ، بل إن الإمام الشوكاني إستبعد إنكار وقوعها .

---

[1] تفسير الخازن 239/3

[2] انظر جامع البيان فقد ساق ابن جرير القصة بأنها عن وهب بن منيه 42/17 وما بعدها .

[3] انظر المحرر الوجيز ، وقد ذكر ابن عطية اجزاء متعددة منها كما في 188/10 – 190 و 464/12 – 465 و 468 - 469

[4] انظر زاد المسير ، وقد ذكر ابن الجوزي القصة بتفاصيلها 375/5 – 379

[5] انظر : الدر المنثور 327/4 ، فما بعدها ، نشر إيران .

[6] انظر الفتوحات الإلهية علي الجلالين، 141/3

[7] تفسير الخازن 66/1

ومما فنده الخازن من الإسرائيليات ، قصة الغرانيق تلك الأكذوبة الشنيعة التي تخدش عصمة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتمس قدسية القرآن الكريم .

فنرى أن الإمام الخازن – رحمه الله تعالى – بعد أن ينقلها يكر عليها بالرد والإبطال ، ويبين أن الدلائل قد قامت علي صدق النبي صلى الله عليه وسلم وأن الأمة أجمعت فيما كان طريقة البلاغ أنه معصوم فيه من الأخبار عن شئ منه بخلاف ما هو به لا قصداً ولا عمداً ولا سهواً ولا غلطاً ، قال تعالى : (وَمَاَ يَنْطِقُ عَنِ اَلْهَوَى)[1] .

وقال الله تعالى : (لاَ يَأْتِيهِ اَلْبَاَطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيُلُ مِنْ حَكِيْمٍ حَمِيْدٍ)[2] ، ثم يشرع في دحض هذه الفرية بعده وجوه ، ويذكر بعد ذلك التفسير الصحيح لقوله تعالى : (وَمَاَ أَرْسَلَنْاَ مِنْ قَبْلَكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِي إلا إذا تَمَنَّىَ أَلْقَىَ اَلْشَيْطَاَنُ فِي أُمْنِيَتَهِ فَيَنْسَخُ اَللهُ مَاَ يَلْقِي اَلْشيْطَاَنُ ثُمَ يُحْكِمَ اَللهُ آيَاَتِهِ وَاَللهُ عَلِيُم حَكِيمُ)[3] . الآية التي نسجت حولها قصة الغرانيق ، فيقول – رحمه الله تعالى – الجواب الراجح في تحقيق تفسير الآية وقد تقدم أن التمني يكون بمعنى حديث النفس ، وبمعنى التلاوة ، فعلى الأول : يكون منى قوله (إلا إذا تَمَنَّىَ) أي خطر بباله وتمني بقلبه بعض الأمور ، ولا يبعد أنه إذا قوي التمني إنشغل الخاطر فحصل السهو في الأفعال الظاهرة ، وعلي الثاني : وهو تفسير التمنى بالتلاوة : فيكون معنى قوله تعالى : (إلا إذا تَمَنَّىَ) أي تلا ، وهو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو من إسقاط آية أو آيات أو كلمة أو نحو ذلك ، ولكنه لا يقر علي هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للوقت والحين كما صح في الحديث (لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا)[4] .

وحاصل هذا أن الغرض من هذه الآية أن الأنبياء والرسل وإن عصمهم الله من الخطأ في العلم ، فلم يعصمهم من جواز السهو عليهم ، بل حالهم في ذلك كحال سائر البشر ، والله أعلم[5] .

وبذلك يعطى القارئ صورة وأضحة صحيحة ، لا لبس فيها ولا غموض ، فجزاه الله تعالى عن كتابه وعن نبيه صلى الله عليه وسلم والمسلمين خير الجزاء .

---

[1] سورة النجم الآية (3)
[2] سورة فصلت الآية (42)
[3] سورة الحج الآية (52)
[4] الإمام أبو عبدالله محمد إسماعيل البخاري ، الجامع الصحيح ، من كتاب فضائل القرآن ، باب نسيان القرآن ، رقم 5037 ، 5038 ، 84/9 ، 85 ، 57 ، مسلم بن حجاج القشيري ، صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضائل القرآن ، رقم الحديث 788 ، 543/1
[5] تفسير الخازن 262/3

المطلب الثالث

المأخذ علي الخازن في رواية الإسرائيليات

بدءاً أقول : ليس بوسعي – ولا بوسع غيري – أن ينكر إكثار الإمام الخازن – عفا الله تعالى عنه – من رواية الإسرائيليات في تفسيره ، وإيراده لقصص لا حاصل منه ولا طائل تحته ، كمثل تفاصيل قصة أصحاب الكهف ، وذكر أسمائهم ودقة وصف كلبهم ، وذكر الإختلاف في إسمه[1] .

وذكر إسم النملة التي كلمت سليمان عليه السلام والإختلاف فيه ، وأنها كانت عرجاء ، وكانت ذات جناحين – وإن كان قد صدر بذلك بقيل[2] ، وكتوسعة في بيان صفة الدابة التي ذكرها الله تعالى بقوله : (وَإِذا وَقَعَ اَلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَاَ لَهُمْ دَآبَةُ مِنْ اَلأَرْضَ تُكَلِمُهُمْ أَنٌ اَلْنَاَسَ كَاَنُوا بِأَيَاَتَنَاَ لَاَ يُوقِنُوُنَ)[3] ، حيث نقل عن البغوي الذي نقل عن شيخه الثعلبي ما جاء في ذلك من الأثار العجيبة[4] ، ومثل هذا ما ذكره من صفه اللوح المحفوظ الذي ذكره الله تعالى بقوله : (بَلْ هُوَ قُرْآنُ مَجِيدُ * فِي لَوْحِ مَحْفُوظْ)[5] ، حيث قال : وروي البغوي بإسناد الثعلبي عن إبن عباس رضي الله عنهما قال : إن في صدر لا إله إلا الله وحده ، دينه الإسلام ومحمد عبده ورسوله ، فمن آمن بالله عز وجل ، وصدق بوعده ، واتبع رُسُلَهُ ، أدخله الجنة ، وقال : واللوح لوح من درة بيضاء وطوله ما بين السماء والأرض ، وعرضه ما بين المشرق والمغرب ، وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه يا قوتةً حمراء ، وقلمه من نور ، وكلامه سر معقود بالعرش ، وأصله من حجر ملك ، والله تعالى أعلم بمراده)[6] .

وأغرب من هذا وأعجب ما ذكره عن يأجوج ومأجوج ، فقد نقل عن البغوي الذي نقل عن كعب قوله : هم نادرة في ولد أدم ، وذلك أن أدم أحتلم ذات يوم ، وأمتزجت نطفته بالتراب ، فخلق الله من الماء يأجوج ومأجوج ، فهم متصلون بنا عن الأب دون الأم[7] .

والأدهى من ذلك كله ، أن يتابع البغوي في سوق الموضوع في هذه القصة فيقول :

---

[1] تفسير الخازن ، 158/3
[2] تفسير الخازن ، 341/3
[3] سورة النمل الآية (82)
[4] تفسير الخازن 353/3
[5] سورة البروج الأيتان (21 – 22)
[6] تفسير الخازن ، 414/4 ، وقد نقل الحافظ بن كثير ، هذا الأثر في تفسيره عن الإمام البغوي وسكت عليه ، 530/5 ، 531
[7] تفسير الخازن ، 177/3

وروي حزيفة مرفوعاً : أن يأجوج ومأجوج أمة ، وكل أمة أربعة ألاف أمة لا يموت الرجل منهم حتي ينظر ألف ذكر من صلبه قد حمل السلاح ، وهم من ولد أدم ، يسيرون إلي خراب الدنيا وقال : هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرز شجر بالشام طوله عشرون ومائة ذراع في السماء وصنف منهم عرضه وطوله سواء عشرون ومائة ذراع ، وهؤلاء لا يقوم لهم جبل ولا حديد ، وصنف منهم يفترش أحدهم أذنه ، ويلتحف بالأخرى ، لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه ، ومن مات منهم أكلوه ، مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان ، يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية[1] .

وهذا أثر موضوع ، وممن حكم عليه بالموضع الإمام إبن الجوزي[2] . وهكذا يتوسع الخازن في رواية الإسرائيليات ويكثر النقل منها دون أن يتعقب ذلك بشئ من النكير ، وإن كان من الواجب ومن باب الإنصاف أن نقول : أن الخازن قد يضمن ذلك القصص ما صح من الروايات ويبينه[3].

غير أن هذه التفاصيل – كما رأيت – لا دلالة في القرآن الكريم علي شئ منها كما أنه لم يصح فيها شئ عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ، ومن ثم فما كان ينبغي أن تذكر في تفسير الكتاب العزيز

ولعل إشتغال الخازن بالوعظ ، هو الذي حد به إلي جمع تلك القصص من كتب التفسير الكثيرة ، التي إمتلأت بها خانقاه السمساطية التي كان الخازن يشرف عليها .

ويقول الباحث : ومع هذا فنرى – وباستثناء الموضوعات – أن من الإنصاف للرجل ولتفسيره أن ندعو القارئ الكريم للتأمل معنا في النقاط التالية :

1–أن الخازن – كما تقدم – ليس بدعاً في هذا ، بل هناك من أجلاء المفسرين من أورد ما هو أشنع وأفظع ، فموقفه – بووجه عام – خير من موقف بعض المفسرين الذين ذكروا وسكتوا عما يمس العقيدة ، ويخل بمقام النبوة .

---

[1] تفسير الخازن 177/3

[2] قال ابن الجوزي ، قال ابن عدي : منكر موضع، ومحمد بن اسحاق العكاشي وكذاب بضع ، وقال السيوطي : قلت : أخرجه ابن حاتم وابن مرويه ، القاهرة ، انظر : االتي المصنوعة ، 173 - 174

[3] تفسير الخازن ، 178/3 ، حيث ذكر الحديث المتفق عليه (فتح اليوم في ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد بيده تسعين) ، أخرجه البخاري ، رقم 7135 ، 7136 في كتاب الفتن ، باب يأجوج ومأجوج 106/13 ، ومسلم رقم 2880 ، 2881 ، في كتاب الفتني ، باب اقتران الفتن ، 2208/4

2-أن كثيراً من ذلك القصص ، هو في النوع المسكوت عنه ، فهو ما لا يصدق ولا يكذب ، وإن كان بعض العلماء يرى أنه لا تجوز روايته[1] ، فالجمهور علي جواز ذلك[2] .

3-رأينا أن منهج الخازن – رحمه الله تعالى – ذكر مصدر القصة التي يوردها ، وذلك كعزوه إلي محمد بن إسحاق – صاحب السيرة والمغازي – أو إلي الثعالبي أو البغوي ، أو كعب الأحبار أو وهب منيه أو إبن عباس رضي الله عنهما أو السدي ، أو الكلبي ، وقد يقول : قال أهل العلم بالأخبار والسيرة ، أو قال العلماء بالسير وأخبار الماضين ، أو قال المفسرون أو نحو ذلك[3] .

4-وكأنه أراد بهذا أن يبرئ عهدته ، جرياً علي قاعدة ، من أسند لك فقد حملك – أو أحالك – ولئن قيل : إن هذا العزو لا قيمة له بعد حذف الإسناد قلنا : لعله إنما حذف الأسانيد إعتماداً علي وجودها في مصادرها فإن تلك الإسرائيليات نجدها مسندة في المراجع التي تعني بذكر السنة كجامع البيان لأبن جرير الطبري ، والكشف والبيان لأبي إسحاق الثعلبي – كما في مقدمته – وقد نجد جملة منها – أيضاً – في التفسير المسند لإبن أبي حاتم الرازي ، وفي تفسير الإمام عبدالرازق الصنعاني ، وغيرها من كتب التفسير بالمأثور ولذا فإن باستطاعتنا أن نحكم علي غالب تلك الإسرائيليات إن لم نقل جميعها من خلال دراسة أسانيد متونها المذكورة في تلك المراجع ، وقد صرح الخازن بسبب حذف تلك الأسانيد ، حيث قال في مقدمته : وحذف الإسناد لأنه أقرب إلي تحصيل المراد[4] .

5-وأرى في هذا البحث أن نتيجة التأمل في هذه النقاط الثلاث ، تبين لنا أن الإمام الخازن – رحمه الله تعالى – كان مظلوماً بتلك الحملة المنفرة التي أساءت إلي تفسيره ، وحالت دون رجوع الكثيرين إليه ، والإنتفاع بما فيه من العلوم والفهوم[5] .

---

[1] وممن ذهب إلي هذا الأستاذ أحمد شاكر حيث قال : إن اباحة التحدث عنهم فيما ليس عندنا دليل علي صدقه ولا كذبه شئ وذكر ذلك في تفسير القرآن وجعله قولاً أو في معني الآيات أو في تعيين عالم بعين فيها ، أو في تفصيل ما أجمل منها شئ أخر . لأن في إثبات ذلك بجواز كلام الله ما يوهم أن هذا الذي لا نعرف صدقه ولا كذبه مبين لمعني قول الله سبحانه ، ومفصل لما أجمل فيه ، وحاشا الله ولكتابه من ذلك انظر : عمدة التفسير 15/1 . وأيده الدكتور الذهبي في ذلك كما في كتابه الإسرائيليات ص168

[2] انظر : مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ، ص100

[3] انظر : تفسير الخازن – مثلاً 307/3 ، 371/3 ، 61/3 ، 521/2

[4] تفسير الخازن ، 4/1

[5] ومما يؤسف له أن يقرن تفسير الخازن بتفسير مفاتل بن سليمان الكذاب في التنبيه عليه والتحذير عنه ، كما في كتاب الإسرائيليات ، ص17 ، للدكتور إبراهيم الذهبي .

المطلب الأول

الجوانب النحوية والصرفية في تفسيره

يعتمد الإمام الخازن – في المقام الأول – علي المأثور من الكتاب والسنة وأراء الصحابة والتابعين . ويعتمد بعد ذلك علي بيانه للمعني اللغوي للمفردات والجوانب النحوية .

ويلاحظ أن حظ تفسيره من اللغة والنحو مقبول لا يفصل أو يبالغ في تناوله للمسائل النحوية اللغوية بل يتناول تلك الأمور بقدر ما يؤدي الغرض ويبلغ الهدف في بيانه للمعني وشرحه للأيات .

ومن أجل ذلك أغفل في مقدمته ذكر مصادره في اللغة والنحو ، وإقتصر علي مصادره في المأثور من كتب التفاسير وآراء الصحابة والتابعين والأخبار وعلم القرآءآت .

ولكن السمة الظاهرة علي تفسيره والأتجاه الغالب عليه شرحه للكلمات والمفردات بصورة مختصرة تبين المعني في السياق العام دون تفصيل . فمن ذلك ما صنعه في تفسير سورة الرعد حيث يذكر معاني المفردات بصورة ميسرة تشبه جهود بعض التفاسير الحديثة المختصرة التي تتجنب التطويل والتفصيل ، فهو يشرح مفردات هاتين الأيتين (اللهُ اَلَّذِي رَفَعَ اَلْسَمَوَاَتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاَ ثُمَ اَسْتَوَىَ عَلَىَ اَلْعَرْشِ وَسَخَرَ اَلْشَمْسَ وَاَلْقَمَرَ كُلُ يَجْرِي لَأَجَلٍ مُسَمَىَ يُدَبِرُ اَلْأَمْرَ يُفَصِلُ الآيات لَعَلَكُمْ بِلِقَاَءِ رَبِكُمْ تُوقِنُوُنَ * وَهُوَ اَلْذَي مَدَ اَلَأَرْضَ وَجَعَلَ فِيْهَاَ رَوَاَسِيَ وَأَنْهَاَراً وَمِنْ كُلِ اَلْثَمَرَاَتِ جَعَلَ فِيهِاَ زَوْجَيْنِ اِثْنَيْنِ يَغْشَيِ اَلْلَيْلَ اَلْنَهَاَرَ إنِّ فِي ذَلِكَ لَأيَاَتٍ لِقَوُمِ يَتَفَكَّرُوُنْ)[1] .

فيقول : (وَسَخَرَ اَلْشَمْسَ وَاَلْقَمَرَ) يعني ذللهما ، إلي أجل مسم ، يعني إلي وقت معلوم ، يدبر ألأمر: يعني أنه تعالى يدبر أمر العالم العلوي والسفلي ، يفصل الآيات : يبين الآيات الدالة علي وحدانيته ، لعلكم بلقاء ربكم توقنون : يعني بين الآيات الدالة علي وحدانيته وكمال قدرته لكي توقنوا وتصدقوا بلقائه .

والمصير إليه بعد الموت ، مد الأرض : أي بسطها ، رواسي : يعني جبالاً ثابتة ، يقال : رسا الشئ يرسو إذا ثبت وإرساء غير أثبته ، زوجين : صنفين ، يغشي : يلبس ، يتفكرون : يعني فيستدلون والفكر هو تصرف القلب في طلب الأشياء[2] .

---

[1] سورة الرعد الأيتين (2 – 3)

[2] تفسير الخازن ، 5/3

وهكذا يسلك في تفسيره لكتاب الله تعالى حيث يبين معاني الكلمات بكلمات مفردة تناظرها في العدد وتقابلها في المعنى ، بحيث ينقل الكلمة من الغموض وعدم الوضوح إلي البيان والوضوح ، وقد يذكر معني الكلمة بأكثر من كلمة تدل علي وجوه المعني حيث يقول مثلاً في معني فراشاً : أي بساطاً ووطاءً[1] . وفي بعض الأحيان يعرف المعني بطريقة أكثر تفصيلاً كما صنع مع كلمة يتفكرون السابقة ومن ذلك أيضاً تعريفه للبشارة في تفسيره لقوله تعالى : (وَبَشِّرِ اَلَّذِيْنَ اَمَنُوا ...)[2] ، حيث يقول : (والبشارة إيراد الخير السار علي سامع يستبشره ويظهر السرور في بشرة وجهه ، ثم كثر في وضع موضع الخير والشر ومنه قوله : (وَبَشْرِهُمْ بِعَذَابٍ أليم)[3] ولكن هو في السرور والخير أغلب[4] .

ويقول الإمام الخازن في معني العجب الذي ورد في قوله تعالى : (وَإِنْ تَعْجَبَ فَعَجَبُ قَوْلَهُمْ)[5] ، العجب : تبصير النفس رؤية المستبعد في العادة[6] ، ويقول في بيانه لمعني الماء (جسم رقيق مائع به حياة كل نام)[7] .

وكأن الإمام الخازن في بيانه لمعني البشارة والعجب والماء يريد الأصل اللغوي لتلك الكلمات ، وهذا ما صنعه خلال تفسيره لسورة الفاتحة حيث يبين معني الصراط والضلال فقال في الأول : الطريق[8] ، وقال في الضلال : الغيبوبة والهلاك يقال ضل الماء في اللبن إذا غاب وهلك[9] ، ، وكذلك في معني القرض ، إسم لكل ما يعطيه الإنسان ليجازي عليه . وأصل القرض في اللغة القطع سمي به لأن المقرض يقطع من ماله شيئاً فيعطيه ليرجع إلي ها مثله[10] ، وفي الأصل اللغوي لكلمة قريش حيث يقول : وسموا قريشاً من القرش والتقريش وهو الجمع والتكسب ، يقال فلان يقرش لعياله ويقترش لهم ، أي يكتسب ، وذلك لأن قريشاً كانوا قوماً تجاراً علي جمع المال والأفضال حراصاً[11] .

وكانت عناية الإمام الخازن بالمسائل النحوية سطحية سريعة ، فهو يمس المسألة النحوية مساً خفيفاً ولا يطيل الوقوف عليها بل يعرضها بإيجاز وإختصار . ويبين ما يقع من التضمين في

---

[1] تفسير الخازن ، 30/1
[2] سورة البقرة ، الآية (25)
[3] سورة الإنشقاق الآية (24) .
[4] تفسير الخازن ، 32/1
[5] سورة الرعد الآية رقم (5)
[6] تفسير الخازن 5/3
[7] تفسير الخازن 5/3
[8] تفسير الخازن 20/1
[9] تفسير الخازن 21/1
[10] تفسير الخازن ، 176/1
[11] تفسير الخازن ، 475/4

حروف الجر حيث تأتي (علي) بمعنى (في) كما في قوله تعالى : (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ اَلنَّارِ)[1] بمعنى في النار فوضع علي موضع في كقوله : (عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ)[2] أي في ملك سليمان[3] .

ويتحدث عن جواب القسم في القرآن الكريم بمناسبة وقوفه علي القسم في قوله تعالى : (وَالقرآن اَلْمَجِيدُ)[4] ويجتهد فيقدم عدة أقوال في جواب القسم للأية ، فيقول الخازن : (وأختلفوا في جواب القسم قيل : جوابه محذوف تقديره لتبعثن وقيل : جوابه بل عجبوا وقيل : ما يلفظ من قول ، وقيل : قد علمنا)[5] .

ويقف أحياناً علي المسائل التي تنطوي في ظاهرها علي أشكال نحوي ، ليبسط المسألة ويوضحها ويجيب علي الأشكال الذي تتضمنه مدلإلا علي ذلك بآيات أخرى .

فمن ذلك عو الضمير المفرد إلي المثني في قوله تعالى : (وَالَّذِينَ يَكْنُزُونَ اَلذَّهَبَ وَالْفِضَّةُ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اَللهِ فَبَشِرهُمْ بِعَذَابٍ إلي مْ)[6] وإنما قال ولا ينفقونها ولم يقل ينفقونها لأنه رد الكناية إلي المال المكنوز وهي أعيان الذهب والفضة وقيل رد الكناية إلي الفضة لأنها أغلب أموال الناس[7] ومن ذلك أيضاً إيضاحه لعدم مطابقة الصفة للموصوف في قوله تعالى : (فَظَلَتْ اَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ)[8] يقول الإمام الخازن – رحمه الله – فإن قلت : كيف صح مجئ مجئ خاضعين خبراً عن الأعناق . قلت : أصل الكلام فظلوا لها خاضعين ، فاقحمت الأعناق لبيان الخضوع وترك الكلام علي أصله ، أو لما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل خاضعين ، وقيل أعناق الناس رؤساهم ومقدموهم أي فظلت كبراؤهم لها خاضعين[9] .

ويوضح الإمام الخازن بعض الإشكالات الصرفية حول صيغة المفاعلة التي تأتي للمشاركة وأحياناً لغير المشاركة فالمخادعة من المنافقين لله تعالى لا تعني المشاركة يقول : فإن قلت المخادعة مفاعله وإنما تجئ في الفعل المشترك ، والله تعالى منزه عن المشاركة قلت : المفاعله قد لا ترد علي وجه المشاركة كما تقول : عافاك الله وطارقت النعل وعاقبت اللص[10] .

---

[1] الأنعام (27)
[2] سورة البقرة (102)
[3] تفسير الخازن ، 107/2
[4] سورة ق (1)
[5] تفسير الخازن 186/4
[6] سورة التوبة (34)
[7] تفسير الخازن 356/2
[8] سورة الشعراء الآية (4)
[9] تفسير الخازن 321/3
[10] تفسير الخازن ، 27/1

أما عن إعرابه للأيات فكثير ، وهو من ذلك أيضاً يتجنب التطويل والتفصيل ويكتفي في البيان والتوضيح بمقدار ما يدفع اللبس ويوضح الموقع فيقول في أول سورة التوبة (بَرَآءةٌ مِنْ اَللهِ وَرَسُوُلِهِ)[1] يعني هذه براءة من الله ورسوله[2] .

ويعرب حروف الجر الزائدة في القرآن صلة كما في قوله تعالى : (وَلَاَ مَوُلُودُ بِوَلَدِهِ)[3] و (يَمْحَقُ اَللهُ اَلْرِبَاَ وَيُرِبِي اَلْصَدَقَاَتِ وَاَللهِ لاَ يُحِبُ كُلُ كَفَاَرِ أَثِيمٍ)[4] .

ويوضح ما يحتاج إلي الإيضاح فيقول في (لَيَجْمَعَنُّكُمْ)[5] اللام في قوله (ليجمعنكم) لام القسم تقديره والله ليجمعنكم .

[1] سورة التوبة الآية (1)
[2] تفسير الخازن ، 333/2
[3] سورة البقرة الآية (233) ، تفسير الخازن 167/1
[4] سورة البقرة الآية (276) تفسير الخازن 211/1
[5] سورة الأنعام الآية (12) تفسير الخازن 101/2

المطلب الثاني

عنايته بالقرآءآت

أولاً : صلة القرآءآت بالتفسير :

لم يزل العلماء قديماً وحديثاً يؤكدون علي أن هناك صلة قوية بين علم القرآءآت وعلم التفسير وأن له دوراً هاماً في بيان معاني القرآن الكريم ، لذلك ذكر بعض العلماء أنه من العلوم التي يحتاج إليها المفسر المجتهد .

وإليك أقوال العلماء التي تدل علي ذلك :

قال الزركشي في البرهان : قال أبو عبيدة عن كتاب فضائل القرآن : إن القصد من القرآءة الشاذة تفسير القرآءآت المشهورة وتبين معانيها ، وذلك كقرآءة عائشة وحفصة رضي الله عنهما : (حَافِظُوْا عَلَيَ اَلْصَلَوَاَتِ وَاَلْصَلَاَةِ اَلْوُسْطَىَ (صلاة العصر) وَقُومُوَا للهِ قَانِتِينَ)[1] ، وكقرآءة إبن مسعود (وَاَلْسَارِقُ وَاَلْسَارِقَةُ فَاَقْطَعُوُا أَيْدِيْهِمَاَ)[2] ومثل قرآءة سعد بن أبي وقاص (وَلَهُ أَخُ وَأُخْتُ مِنْ أُمْ)[3] وكقرآءة إبن عباس (لاَ جُنَاَحَ عَلَيْكُمْ أن تَبْتَغُوُا فَضْلاً مِنْ رَبِكُمْ)[4] (في مواسم الحج) .

وهذا الذي قاله أبو عبيدة ليس مقصوراً علي القرآءآت الشاذة فقط بل القرآءآت الصحيحة أيضاً يفسر بعضها بعضاً ، لذلك نقل السيوطي في الإتقان عن بعض المتأخرين أن فوائد إختلاف القرآءآت أن بعضها يبين ما لعله مجمل في القرآءة الأخرى ، فقرآءة يطٌهرن بالتشديد مبينة لمعنى قراءة التخفيف ، وقرآءة (فَأَمْضُوا إلِيَ ذِكْرِ اَللهِ) تبين أن المراد بقرآءة (وَاَسْعُوا) الذهاب لا المشي السريع .[5]

ولذلك أيضاً ذكر السيوطي أن العلماء أشترطوا علي الذي يفسر القرآن الإحاطة بخمسة عشر علماً ، منه : (علم القرآءآت) لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن وبالقرآءآت ترجح بعض الوجوه المحتملة علي بعض[6] .

والذين كتبوا في أصول التفسير وقواعده أيضاً قرروا أن من تفسير القرآن بالقرآن الجمع بين القرآءآت .

---

[1] سورة البقرة الآية (238)
[2] سورة المائدة الأية(38)
[3] سورة النساء الآية (12)
[4] سورة البقرة الآية (198) انظر البرهان 336/1 ، 337
[5] الاتقان 82/1
[6] الاتقان 82/1

قال الدكتور محمد حسين الذهبي : ومن تفسير القرآن بالقرآن حمل بعض القرآءآت علي غيرها ، فبعض القرآءآت تختلف مع غيرها في اللفظ وتتفق في المعني فقرآءة إبن مسعود رضي الله عنه (أَو يَكُونُ لَكَ بَيْتُ مِنْ ذَهَبَ) تفسر لفظ الزخرف في القرآءة المشهورة (أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتُ مِنْ زُخْرُفُ)[1] .

وذكر الشيخ خالد عبد الرحمن العك إن (في تفسير القرآن بالقرآن حمل بعض القرآءآت علي بعضها لإيضاح المعني وبيان المراد . وعامة كتب التفسير تذكر وجوه القرآءآت لاستبيان معاني الأية)[2] .

ثانياً : مسلكه في القرآءآت :

وجه الإمام الخازن إهتمامه الكبير إلي القرآءآت ووقف عليها كثيراً خلال تفسيره . فجاء تفسيره زاخراً بمباحث علم القرآءآت خاصة ويقف في أحيان كثيرة مفصلاً وباسطاً تلك المسائل وذاكراً ما يفعل بها ، وحين يورد الخازن القرآءة الأخرى ينبه إلي فرق ما بين القرآءتين في المعنى ، أو علاقة ذلك باللغة والنحو والإعراب . ففي سورة الفاتحة يقف عند قرآءة مَلِكِ بدلاً من مَالِكِ قال الخازن – رحمه الله – وقيل : مالك أوسع من ملك لأنه يقال مالك العبد والدابة ، ولا يقال ملك هذه الأشياء ولأنه لا يكون ملكاً لشئ إلا وهو يملكه وقد يكون مالكاً لشئ ولا يملكه ، وقيل ملك أولي لأن كل ملك مالك وليس كل مالك وملكاً وقيل هما بمعني واحد مثل فرهين وفارهين [3] وكما الفرق بين القرآءتين في (مالك و الملك) فكذلك يفعل في مواضع أخرى من القرآن الكريم ، ومن ذلك قرآءة فتح الضاد وكسرها في قوله تعالى : (وَلَاَ تَكُ فِيِ ضَيْقِ مِمَاَ يَمْكُرُونَ)[4] ، ويقول الخازن : قري بفتح الضاد وكسرها ، فقيل لغتان وقال أبوعمر : والضَيق بالفتح الغم وبالكسر الشِدة وقال أبو عبيدة : الضِيق بالكسر في قلة المعاني وفي المسكن ، وأما ما كان في القلب والصدر فإنه بالفتح ، وقال القتيبي : الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين ولين ولين ، فعلي هذا يكون صفة كانه قال سبحانه وتعالى (لا تك في أمر ضيق من مكرهم)[5] وهو يستعين باللغة في ترجيح قرآءة علي قرآءة كما رجح قرآءة (يُضِل) بضم الياء وكسر الضاد علي قرآءة (يَضِل) بفتح الياء وكسر الضاد وقرآءة بضم الياء وفتح الضاد يقول الخازن

---

[1] سورة الاسراء الآية (93) دكتور محمد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون ، ط2 ، دار الكتب الحديثة ، 1396هـ - 1976م

[2] بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، 181/2

[3] تفسير الخازن ، 1/ 20

[4] سورة النحل الآية (127)

[5] تفسير الخازن 183/3

في قوله تعالى : (يُضِلُ بِهِ اَلْذِينَ كَفَرُوا) [1] وهو يستعين باللغة في ترجيح قرآءة علي قرآءة كما رجح قرآءة (يَضِلُ) ويقراء (يَضِل) بفتح الياء وكسر الضاد ومعناها يضل الله به الذين كفروا أو يضل به الشيطان الذين كفروا ، ويقراء (يُضَلُ) بضم الياء وفتح الضاد ومعناها أن كبارهم أضلوهم وحملوهم عليه وقرئ (يُضِلُ بِهِ اَلْذِينَ كَفَرُوا) بضم الياء وكسر الضاد ومعناه يضل به الذين كفروا تابيعهم والاخرين بأفعالهم وهذا الوجه أقوي الوجهين في تفسير قرآءة من قرآء (يُضِلَ) بضم الياء وكسر الضاد [2] وكذلك يذكر ما يترتب من معنى علي القرآءة الجديدة كقوله تعالى : (فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٌ) [3] قرئ بالرفع علي أنه نعت للقرآن الكريم (محفوظ) يعني أن القرآن محفوظ من التبديل والتغير والتحريف وقرئ (محفوظ) بالكسر علي أنه نعت للوح لانه يعرف باللوح المحفوظ وهو أم الكتاب [4] وكما أن للقرآءآت علاقة بالنحو من حيث الموقع والإعراب فتغير حركات الإعراب في القرآءة يلزم تغير الموقع الإعرابي كما في قوله تعالى: (لَتَرْكَبَنٌ)[5] قرئ بفتح الباء وهو خطاب الواحد والمعني لتركبُن يا محمد وقرئ لتركبُن بضم الباء وهو الأشبه ، ويكون خطاب الجمع ، والمعني لتركبن أيها الناس حالاً بعد حال وأمراً بعد أمر [6] .

ومن ذلك في قرآءة (سَأَلَ سَائِلْ) [7] قرئ بغير همزة وفيها وجهان الأول : أنه لغة في السؤال والثاني : من السيل ومعناها أندفع عليهم واد بعذاب وقيل سال واد من أودية جهنم وقرئ سأل سائل بالهمز من السؤال [8] وهكذا يعتبر تفسير الخازن من التفاسير المعنية بباب القرآءآت القرآءآت مع ذكر للعلاقة بين القرآءة والمعنى وصلة القرآءة باللغة والنحو . كما أنه يورد القرآءآت المتواتر ولا يذكر القرآءآت الشاذة إلا نادراً، والسبب في ذلك القرآءة الشاذة لا يبني عليها حكم حسب نظرته [9]

---

[1] سورة التوبة الآية (37)
[2] تفسير الخازن ، 359/2
[3] سورة البروج الآية (22)
[4] تفسير الخازن 414/4، انظر امثلة أخرى 313/4 ، 339/4 ، 356/4
[5] سورة الانشقاق الآية (19)
[6] تفسير الخازن ، 409/4
[7] سورة المعارج الآية (1)
[8] تفسير الخازن ، 4/ 339
[9] أنظر : تفسير الخازن 1/ 20، 21، 154

المطلب الثالث

ذكره قضايا العقيدة والأحكام الفقهيه

أولاً : قضايا العقيدة :

لقدتعرض الإمام الخازن في تفسيره إلي بعض من قضايا العقيدة وكثير من الأحكام الفقهيه ، وقد سبقت الاشارة من قبل في ترجمته إلي أنه كان في عقيدته من أهل السنة ، وأنه كان من حيث المذهب شافعياً . ولذلك وجدنا آثار ذلك في مواطن كثيرة في التفسيره لباب التأويل في معاني لتنزيل .

وكان يعالج تفسير كثير من الآيات بالإستعأنه بالأحاديث النبوية الشريفة ، و مع ذلك قد كان يورد باختصار وإيجاز رأي أهل السنة وينصر رأيهم في بيان تلك الآيات التي تتصل بالعقيدة ردا علي المعتزلة فيما ذهبوا إليه ، فمن ذلك ماذكره خلال تفسيره لقوله تعالى (عَسَىَ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُكَ مُقَامَاً مَحْمُودَاً)[1] ، حيث أورد جمله من أحاديث الرسول المصطفي صلى الله عليه وسلم حول المقام المحمود يوم القيامة بلغت سبعة أحاديث ، ثم يعقب علي ذلك بتأكيد علي شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين يوم القيامة علي خلاف المعتزلة فيقول :(والأحاديث في الشفاعة كثيرة وأول من أنكرها عمرو بن عبيد وهو مبتدع باتفاق أهل السنة)[(2)] ثم يسرد خبراً يؤكد شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم للعصاة يوم القيامة ، وهو عن يزيد بن صهيب الفقيه الذي مر في طريق حجة علي المدينة فسمع جابر بن عبد الله يذكر حديث الجهنميين فاستفهمه في ذلك ليوقف بين قوله تعالى : (إِنَكَ مَنْ تُدْخِلَ اَلْنَارَ فَقَدْ أَخْزَيْتُهُ)[3] وقول الله تعالى (كُلَمَاَ أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَاَ أُعِيدُوا فِيْهَاَ)[4] فقال له : فإنه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج من النار .

وهو يذكر رأي أهل السنة في قبول توبة القاتل . فيقول : وروي عن إبن عباس أن توبته تقبل وهو قول أهل السنة ويدل عليه الكتاب والسنة ، أما الكتاب فقوله تعالى : (وَإِنِّي لَغَفَارُ لِمَنْ تَاَبَ وَاَمَنَ وَعَمِلَ صَاَلِحَاً ثُمَ اَهْتَدَىَ)[(5)] وقوله : (قُلْ يَاَعِبَادِيَ اَلْذِينَ أَسْرَفُوا عَلَيَ أَنْفُسَهُمْ لَاَ تَقْنَطُوا مِنْ

---

[1] سورة الإسراء الآية (79)
[2] تفسير الخازن 143/3
[3] سورة آل عمران الآية (192)
[4] سورة السجدة الآية (20) تفسير الخازن ،143/3
[5] سورة طه الآية (82)

رحمه الله إِنَّ اَللهَ يَغْفِرُ اَلْذِنُوبَ جَمِيُهَاً إِنَهُ هُوَ اَلْغَفُورُ اَلْرَحِيمُ)[1] وأما السنة فما روي عن جابر بن عبدالله قال : جاء إعرابي إلي النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ما الموجبتان ؟ قال : (من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة)[2] .

ثم يعلق الخازن علي الآية المفسرة وهي قوله تعالى : (وَمَنْ يَقْتُلَ مُؤمِنَاً مُتَعَمِدَاً فَجَزَاؤهُ جَهَنَمَ خَالِدَاً فِيْهَاَ وَغَضِبَ اَللهُ عَلَيهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَ لَهُ عَذَاَبَاً عَظِيماً)[3] فيقول : إن الخلود لا يقتضي التأبيد بل معناه دوام الحالة التي هو عليها . وإذا ذكر الخلود في صفة الكفار قرنه بذكر التأبيد كقوله تعالى : (خَاَلِدِيْنَ فِيهَاَ أبداً)[4] فإذا قرن الخلود بهذه اللفظة علم أن المراد منه الدوام الذي لا ينقطع ، إذا ثبت هذا كان معنى الخلود المذكور في الآية أن الله تعالى يعذب قاتل المؤمن عمداً في النار حيث شاء الله ثم يخرجه منها بفضل رحمته وكرمه[5] .

وفي معنى الإستواء علي العرش يورد رأي وتفسير المعتزلة وهو تأويلهم له بالاستيلاء علي العرش ثم يتبع ذلك برأي أهل السنة فيقول : قال البغوي : أهل السنة يقولون الإستواء علي العرش صفة الله بلا كيف يجب علي الرجل الإيمان به ويكل العلم إلي الله عز وجل .

ثم يورد رأي الإمام مالك بن أنس جواباً علي السائل ، (الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به وأجب والسؤال عنه بدعة) ويورد رأي الإمام الأوزعي والسفيانين والليث بن سعد وعبدالله بن المبارك وغيرهم من علماء أهل السنة وهو أنهم (أمروها كما جاءت بلا كيف)[6] .

وفي معني الخلود في الجنة يرد علي الجهمية خلال تفسيره لقوله تعالى : (أُكُلُهَاَ دَاَئَمْ وَظِلُّهَاَ)[7] وَظِلُّهَاَ)[7] فيقول : يعني أنه دائم لا ينقطع أبداً . بل ظل ممدود لا ينقطع ولا يزول ، وفي الآية رد علي جهم وأصحابه فإنهم يقولون : أن نعيم الجنة يفنى وينقطع[8] .

---

[1] سورة الزمر الآية (53)
[2] الإمام مسلم بن حجاج القشيري ، صحيح مسلم ، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً ، رقم الحديث 125 ، 252/1
[3] سورة النساء الآية (93)
[4] سورة النساء الآية (169)
[5] تفسير الخازن ، 413/1
[6] تفسير الخازن 208/2
[7] سورة الرعد الآية (35)
[8] تفسير الخازن 21/3

كما يؤكد علي ما يكون من نعيم أهل الجنة في رؤية المؤمنين لله تعالى ، ويرد علي نفاة الرؤية الذين استدلوا بقوله تعالى : (لَنْ تَرَانِي)[1] فيقول : وقد تمسك من نفي الرؤية من أهل البدع والخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة بظاهر هذه الآية وهو قوله تعالى (لَنْ تَرَانِي) قالوا : لن تكون للتأبيد والدوام ولا حجة لهم في ذلك ولا دليل ولا يشهد لهم في ذلك كتاب ولا سنة . فيكون معني (لَنْ تَرَانِي) محمولاً علي الدنيا أي لن تراني في الدنيا[2] .

وتحدث الإمام الخازن في الموضوع نفسه عند تفسيره (لاَ تُدْرِكَهُ اَلأَبْصَارُ)[3] فرد علي أهل الإعتزال والخوارج وبعض المرجئة الذين تمسكوا بظاهر الآية وأثبت مذهب أهل السنة في ثبوت رؤية الله عز وجل عياناً بدليل قوله تعالى : (وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاَضِرَةُ * إلي رَبِهَاَ نَاَظِرَةُ)[4] وقوله تعالى : (كَلاَ إنَهُمْ عَنْ رَبِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ)[5] وقوله تعالى : (لَلَذِينَ أحْسَنَوا اَلْحُسْنَي وَزِيَاَدَة)[6] وفسروا هذه الزيادة بالنظر إلي وجه الله تبارك وتعالى يوم القيامة ، ثم يورد عدة أحاديث في إثبات الرؤية ، ويفرق بين الأدراك والرؤية فيقول ، الإدراك : هو الإحاطة بكنه الشئ وحقيقته والرؤية المعاينة للشئ من غير إحاطة وقد تكون الرؤية بغير إدراك[7] .

وهكذا تناول الإمام الخازن مسائل العقيدة بإيجاز ودون ذكر مفصل لأراء الفرق والمذاهب وأهل الكلام ، بل يكتفي بإيراد رأي أهل السنة الراجح مدللاً عليه بالمنقول والمعقول .

ففي مقام الرد علي من تمسكوا بقوله تعالى : (وَاَسْتَغْفِرِ اللهِ إنَ اَللهَ كَاَنَ غَفُوُراً رَحِيمَاً)[8]علي جواز صدور الذنب من الأنبياء وقالوا لو لم يقع من الرسول ذنب لما أمر بالإستغفار ، أجاب علي ذلك باختصار فقال : والجواب عما تمسكوا به من وجوه ، أحدها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل المنهي عنه في قوله (وَلاَ تَكُنْ لَلَخَاَئنِينَ خَصِيمَاً)[9] ولم يخاصم عن طعمه لما سأله قومه أن يذب عنه أن يلحق السرقة بإلي هودي فتوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وأنتظر ما يأتيه من الوحي السماوي والأمر والنهي فنزلت هذه الآية وأعلم رسول الله

---

[1] سورة الأعراف الآية (143)
[2] تفسير الخزن 245/2
[3] سورة الأنعام الآية (103)
[4] سورة القيامة الآيات (22 – 23)
[5] سورة المطففين الآية (15)
[6] سورة يونس الآية (26)
[7] تفسير الخازن 142/2
[8] سورة النساء الآية (106)
[9] سورة النساء الآية (105)

صلى الله عليه وسلم بأن طعمه كذاب وأن اليهودي برئ من السرقة ، وإنما مال صلى الله عليه وسلم إلي نصرة طعمه وهم بذلك بسبب أنه في الظاهر من المسلمين فأمره الله بالاستغفار لهذا القدر ، الوجه الثالث أن قوم طعمه لما شهدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة طعمه من السرقة ولم يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوجب القدح في شهاداتهم هم بأن يقضي علي اليهودي بالسرقة فلم أطلعه الله علي كذب قوم طعمه عرف أنه لو وقع في ذلك الأمر لكان خطأ في نفس الأمر فأمره الله بالاستغفار منه وإن كان معذوراً ، الوجه الثالث يحتمل أن الله تعالى أمره بالاستغفار لقوم طعمة لذنبهم عن طعمه فإن استغفاره صلى الله عليه وسلم يحتمل أن يكون لذنب قد سبق قبل النبوة وأن يكون لذنوب أمته ، الوجه الرابع أن درجة النبي صلى الله عليه وسلم أعلي الدرجات ومنصبه أشرف المناصب فلعلو درجته وشرف منصبه وكمال معرفته بالله عز وجل فما يقع منه علي وجه التأويل أو السهو أو أمر من أمور الدنيا فإنه ذنب بالنسبة إلي منصبه صلي الله عليه وسلم[1] .

ثانياً : الأحكام الفقهيه :

إهتم الإمام الخازن بالأحكام الفقهيه خلال تفسيره إهتمام فاق إهتمامه بمسائل وقضايا العقيدة السابقة ، ولعل ذلك يرجع إلي شغفة وعنايتة بالفقه – إجمالاً – فهو من أبرزفقها الشافعية في عصره ومظهر إهتمامه بالأحكام الفقهيه في تفسيره نجده وأضحاً في عقده فصولاً لتلك الأحكام ، فمن ذلك عقد فصلاً في أحكام التيمم بين فيه أركان التيمم ، ثم ذكر عدم جواز الجمع بين الصلاتي فرض بتيمم وأحد ذاكراً آرآء الصحابة والتابعين ، علي بن أبي طالب وإبن عباس وإبن عمر والشعبي المنخفي وقتادة واسحاق والفقها الثلاثة مالك والشافعي وأحمد .

ثم ذكر مذهب من يري أن التيمم كالوضوء يجوز أن يصلي به ما شاء من الفرائض مالم يحدث وهو قول سعيد بن المسيب والحسين والزهري والنووي وأصحاب الرأي . ثم يوضح إتفاقهم علي أنه يجوز أن يصلي بتيمم وأحد ما شاء من النوافل قبل الفرض وبعده إلي أن يدخل وقت الصلاة الأخرى [2]

[1] تفسير الخازن ، 424/2
[2] تفسير الخازن 835/1

ويعقد فصلاً أخر في أن الطلاق في حال الحيض والنفاس بدعة وكذلك في الطهر الذي جامعها فيه لقول النبي صلى الله عليه وسلم (وإن شاء طلق قبل أن يمس)[1] والخلع في حالة الحيض أو في حالة طهر جامعها فيه قصداً عصى الله تعالى و وقع الطلاق لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر إبن عمر بالمراجعة فلولا وقوع الطلاق لم يأمره بالمراجعه ، ويمضي ذكر الإمور الأخرى التي تتصل بالطلاق مورداً رأي الإمام الشافعي وأحمد ومالك وآخرين[2]

وفي مسألة الظهار يورد صورة الظهار وصيغته ثم يبين حكم الظهار والعود ، وحكم الكفارة من عتق رقبة أو إطعام ستين مسكيناً أو صيام شهرين متتابعين ويذكر خلال ذلك آراء الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة وغيرهم[3] .

وهو كما نلاحظ يذكر آراء الفقهاء دون ترجيح أو ذكر لرأيه ، وفي أحيان أخرى يرجح ويختار وينتصر لأحد المذاهب كما فعل ذلك في قوله تعالى : (وَابْتَلُوا اليتَامَىَ حَتَىَ إذا بَلَغَوا ٱلنِكَاَحَ فإن آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدَاً فَادْفَعُوا إليهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَاَ تَأْكُلُوهَاَ إسْرَافَاً وَبَدَاَراً أن يَكْبُرُوا وَمَنْ كَاَنَ غَنِيْاً فَلْيَسْتَعْفِفِ وِمَنْ كَاَنَ فَقِيرَاً فَلْيَأْكُلُ بِاَلَمَعْرُوفِ فَإذا دَفَعْتُمْ إليهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفي بِاللهِ حَسِيباً)[4] ، لتقرأ ما كتبه حول الآية الكريمة من الأحكام الفقهيه من حيث إيناس الرشد وحكم تكرار الحجر إلي غير ذلك من الأحكام لوجدناه يقول : المسألة الرابعة في بيان الرشد وهو أن يكون مصلحاً في دينه وماله فالصلاح في الدين هو إجتناب الفواحش والمعاصي التي تسقط بها العدالة ، والصلاح في المال هو أن لا يكون مبذراً والتبذير أن ينفق ماله فيما لا يكون فيه محمدة دنيوية ولا مثوبة أخروية أو لا يحسن التصرف فيغبن في البيع والشراء . فإذا بلغ الصبي وهو مفسد لماله ودينه لم ينفك عن الحجر ولا ينفذ تصرفه في ماله . وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة إذا كان مصلحاً لماله زال عنه الحجر وإن كان مفسداً لدينه ، وإذا كان لماله مفسداً لا يرفع إلي ه المال حتي يبلغ خمسة وعشرين سنة غير أنه ينفذ تصرفه قبله والقرآن حجة للشافعي في إستدامة الحجر عليه لأن الله تعالى قال : (فَإنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدَاً فَادْفَعُوا

[1] الامام مسلم بن حجاج القشري ، صحيح مسلم ، باب تحريم طلاق الحائض غير رضاها ، رقم الحديث 2675، 408/7
[2] تفسير الخازن ،306/4
[3] تفسير الخازن ، 306/4
[4] سورة النساء الآية (6)

إليهِمْ) أمر بدفع المال بعد البلوغ خمساً وعشرين سنة وهو مفسد لماله بالإتفاق غير رشيد فوجب أن لا يجوز دفع المال إلي هـ كما قبل بلوغ هذا السن[1]

وفي إنتصاره لأحد الأراء أورد ثلاثة أقوال في المال المعتبر كنزاً مع الأدلة في شرحه لقوله تعالى : (وَالَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)[2] وهو رأي إبن عمر رضي الله عنهما في أن كل مال تؤدي زكاته فليس بكنز وإن كان مدفوناً وكل مال لا تؤدي زكاته فهو الكنز الذي ذكره الله في القرآن . والرأي الثاني لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في إعتبار ما زاد علي أربعة الاف درهم أديت الزكاة أو لم تؤدي ، والرأي الثالث في إعتبار كل ما فضل عن الحاجة كنزاً ، ثم يعقب قائلاً والصحيح في هذه الأقوال القول الأول وهو ما ذكرنا عن ابن عمر أن كل مال أديت زكاته فليس بكنز ولا يحرم علي صاحبه اكتنازه وإن كثر ، ويستدل علي إختياره بحديثين عن الرسول صلى الله عليه وسلم[3] .

والراجح ما اختاره الإمام الخازن لوجود الأدلة عليه في الأحاديث الصحيحة وهذا ما إختاره القرطبي[4]

ولكن الإمام الخازن يكتفي في أحيان أخرى بسرد وعرض الآراء ثم يحمل تلك الآراء ويلخصها كما فعل في بيان الفرق بين الفقير والمسكين اللذين تجب لهما الصدقة فيقول بعد إيراده عشرة أراء في ذلك : وبالجملة أن الفقر والمسكنة عبارتان عن شدة الحاجة وضعف المال ، فالفقير المحتاج الذي كسرت الحاجة فقار ظهره ، والمسكين الذي ضعفت نفسه وسكنت عن الحركة في طلب القوت[5] .

وإكتفي كذلك بذكر حكم الجهاد عند العلماء في شرحه قوله تعالى : (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ)[6] فذكر فذكر ثلاثة أراء الأول أنه تطوع ، والثاني أنه فرض علي كافة المسلمين ، والثالث وهو ما عليه الجمهور أن الجهاد فرض علي الكفاية إذا قام به البعض سقط الفرض عن الباقين[7] .

وهكذا ننتهي من خلال الأمثلة السابقة أن منهج الخازن في تفسيره لأيات الأحكام كان قائماً – في الغالب – علي عرض آراء المذاهب الفقهيه المختلفة دون أن يتعصب لمذهبه الشافعي وأنه كان يهتم بذكر الأدلة من السنة النبوية لبيان الراجح الصحيح .

---

[1] تفسير الخازن ، 342/1
[2] سورة التوبة الآية (34)
[3] تفسير الخازن 355/2
[4] تفسير القرطبي ، 296/4
[5] تفسير الخازن 374/2
[6] سورة البقرة الآية (216)
[7] تفسير الخازن 145/1

المطلب الأول

التعريف بأسباب النزول

هو مانزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه.

والمعنى أن حادثة وقعت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أو سؤال وجه إليه أو غير ذلك مما يقتضي نزول الآيات ، فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان مايتصل بتلك الحادثة أو بجواب هذا السؤال[1] .

مثال الحادثة ماروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : صنع لنا إبن عوف طعاماً ، فدعانا فأكلنا ، وسقانا خمراً قبل أن تحرم ، فأخذنا منها ، وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت : (قُلْ يَاَ أَيُهَاَ اَلْكَافِرُوْنَ * لَاَ أَعْبُدُ مَاَتَعْبُدُوْنَ)[2] ونحن نعبد ماتعبدون ، قال: فخلطُ فنزلت (يَاَ أَيُهَاَ اَلْذِيْنَ أَمَنُوْا لَاَتَقْرَبُوا اَلْصَلَاَةَ وَاَنْتُمْ سُكَاَرَىَ حَتَىَ تَعْلَمُواُ مَاَتَقُوْلُوْنَ)[3]

ومثال السؤال ماروي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : بينما أنا أمشي مع النبي صل الله عليه وسلم في خرب المدينةُ ـــ وهو يتوكا علي عسيب معه ، فمر نفر من اليهود ، فقال بعضهم لبعض : لنسألنه ، فقام رجل منهم فقال : يا أبا القاسم ما الروح ؟ فسكت فقلت : إنه يوحي إلي ه ، فقمت فلما إنجى عنه قال : (وَيَسْأَلُوْنَكَ عَنْ اَلْرُوحْ قُلْ اَلْرُوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِي وَمَاَ أُوتِيْتُمْ مِنْ اَلْعِلْمِ إلا قَلَيْلاَ)[4] فقال بعضهم لبعض : قد قلنا لكم لا تسألوه[5] .

إعتني الباحثون في علوم القرآن بمعرفة سبب النزول لشدة الحاجة اليه في تفسير القرآن وأفرده جماعة منهم بالتإلي ف كجلال الدين السيوطي حيث وضع كتابه المشهور (الإتقان في علوم القرآن) ، وبدرالدين الزركشي (البرهان في علوم القرآن) ، والإمام الرازقاني (مناهل العرفإن في علوم القرآن) .

ويعتمد العلماء في معرفة أسباب النزول علي صحة الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة ، فإن إخبار الصحابي عن مثل هذا إذا كان صريحاً

1. مناهل العرفان في علوم القرآن 99/1.
2. سورة الكافرون الآية (1-2) .
3. سورة النساء الآية (43) ، والحديث أخرجة الترمزي برقم (329) في التفسير باب : ومن سورة النساء ، وأخرجه أبو داؤود برقم (3671)
4. سورة الإسراء الآية (85)
5. أخرجه البخاري في كتاب العلم ، باب قوله تعالى : (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) رقم (125) وفي تفسير القرآن باب : مايكره صفة القيامة والجنة والنار ، وباب سؤال اليهود النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح رقم (2794) : 401/8 .

لايكون بالرأي ، بل يكون له حكم المرفوع[1] ، قال الواحدي ، لايحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية أو السماع ممن شاهدوا الترتيل ، ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها وجدوا في الطلب[2] .

وهذا محمد بن سيرين[3] يقول : سألت عبيدة عن أية من القرآن فقال : (إتق الله وقل سداداً ذهب الذين يعلمون فيم نزل)[4] ويقصد بذلك الصحابة رضي الله عنهم[5] .

وذهب السيوطي إلى أن قول التابعي إذا كان صريحاً في سبب النزول فإنه يقبل ويكون مرسلاً بشرط أن يتعضد بمرسل أخر أولاً ، وأن يكون التابعي من أئمة التفسير الذين أخذوا عن الصحابة كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير[6] .

والصيغة التي ترد في سبب النزول إما أن تكون نصاً صريحاً في السببية ، وإما أن تكون محتملة لأن تكون سبب نزول أو تفسيراً من الصحابي للاية وبياناً لما تضمنتة من أحكام.

أ. النص الصريح في السببية إذا قال الراوي: (سبب نزول هذه الآية كذا) أو إذا أتي بفاء تعقيبية داخلية على مادة النزول بعد ذكر الحادثة ، أو السؤال كما إذا قال: (حدث كذا) أو سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كذا فنزلت الآية ، فهاتان صيغتان صريحتان في السببية[7] .

مثال ذلك ما أخرجه البخاري وغيره عن إبن عباس أن هلال بن أمية قذف أمرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سمحاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم (البينة أو حد في ظهرك) فقال: يارسول الله إذا رأء أحدنا على إمرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة ؟ فجعل النبي صلي الله عليه وسلم يقول:(البينة وإلا حد في ظهرك) فقال هلال : والذي بعثك بالحق إني لصادق فلينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فنزل جبريل

---

[1]) أنظر : دراسات في علوم القرآن الكريم للدكتور أمير عبد العزيز ، ص 26 ، ومحاضرات في علوم القرآن الكريم للدكتور نور الدين العتر ، ص 73 .
[2]) أسباب النزول للواحدي : ص 2-3 بهامشه الناسخ والمنسوخ لأبي القاسم هبة الله سلامة ، وأنظر الإتقان ، 41/1 .
[3]) هو محمد بن سيرين ويكنى أبا بكر ، أشتهر بالحديث وتفسير الرؤيا وكان إمام عصره في علوم الدين بالبصرة ، توفي سنة (110) هـ أنظر تهذيب التهذيب لأبن حجر العسقلاني 214/9
[4]) الإتقان : 41/1 ، والموافقات للشاطبي ، 422/3-423 .
[5]) مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القحطاني ، ص 85 .
[6]) الإتقان : 42/1 .
[7]) أنظر : مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القحطاني ، ص 85 .

وأنـــزل عليـــه : (وَالـــذينَ يَرمُـــونَ أزواجَهُـــم ..... حتـــى بلـــغ ..... إن كانَ مِنَ الصادِقينَ)[1]

ب. وتكـــون الصـــفة محتملـــة للســـببية ولمـــا تضـــمنتة الآيـــة مـــن الأحكـــام إذا قـــال الـــراوي : (نزلـــت هـــذه الآيـــة فـــي كـــذا) فـــذلك يـــراد بـــه تـــارة ســـبب النـــزول ، ويـــراد بـــه تـــارة أنـــه داخـــل فـــي معنـــى الآيـــة ، وكـــذلك إذا قـــال : (أحسَـــب هـــذه الآيـــة نزلـــت فـــي كـــذا) أو(مـــا أحـــب هـــذه الآيـــة نزلـــت فـــي كذا) فإن الراوي لا يقطع في السبب .

فهاتان الصيغتان تحملان السببية وغيرها .

ومثـــال الصـــيغة الأولـــى: مـــا روي عـــن إبـــن عمـــر رضـــي الله عنـــه قـــال : (نساؤكم حرث لكم .....)[2] في إتيان النساء في أدبارهن[3]

(1) سورة النور الآيات (6-9) الحديث أخرجة البخاري في كتاب تفسير الآيات ، باب (ويدرؤا عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين) برقم (4747: 449/8)

(2) سورة البقرة الآية (223) .

(3) أخرجة البخاري مختصراً في كتاب تفسير القرآن : باب (نساؤكم حرث لكم) رقم (4527) والرواية بكاملها في مسند اسحق بن راهويه كما ذكر ابن حجر في الفتح عند شرحة للحديث 189/8 .

المطلب الثاني

فوائد معرفة أسباب النزول

لمعرفة أسباب النزول فوائد كثيرة ، ومزايا جمة ، ذكرها العلماء ومنهم الإمام بدرالدين الزركشي في (البرهان) والإمام جلال الدين السيوطي في (الإتقان) ونذكر أهم الفوائد فيما يلي :

الفائدة الأولى :

معرفة الحكمة التي من أجلها شرع الحكم علي التعيين فيما شرعة بالتنزيل ، ولا شك أن معرفة الحكمة تحفز المؤمن علي تنفيذ أحكام الله تعالى ، والعمل بما أمر لما يتجلى له من المصالح والمزايا المرتبة علي تنفيذ هذه الأحكام والعمل بهذه الأوامر وحينئذ يقوى إيمانه بالله ، ويعظم فيه يقينه ، كما أنها ترغب غير المؤمن في الإيمان بأحكام الله تعالى لأنه يتجلى له أن هذه الأحكام لم تشرع عبثاً ، وإنما شرعت لتحقيق مصالح البشرية ، والعمل علي رفع مكانتها[1] .

الفائدة الثانية :

الإستعأنه بسبب النزول علي الوقوف علي مرامي الآيات ، ودفع الإشكال عنها ، فإن في القرآن أيات لايتبين المقصود منها إلا إذا علمت الأسباب التي نزلت الآيات في شأنها ، فلو جهلت هذه الأسباب لوقع الخطأ في فهم الآيات .

قال الإمام الواحدي : لايمكن معرفة تفسير الآيات دون الوقوف علي قصتها وبيان سبب نزولها[2] .

وقال إبن تيمية ، معرفة سبب النزول يعين علي فهم الآية ، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب[3] .

وقال إبن دقيق العيد : بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن الكريم[4] .

ومن أمثلة هذه الفائدة ، قوله تعالى : (وَلِلهِ اَلْمَشْرِقِ وَاَلْمَغْرِبِ فَأَيْنَمَا تُوَلُوا فَثَمَ وَجْهُ اللهِ إنَّ اَللهَ وَأسِعُ عَلِيمُ)[5] ، فظاهر هذه الآية يفيد أن للإنسان أن يتوجه إلي أي جهة يريد التوجه إليها ، ولا يجب عليه أن يتوجه نحو الكعبة سواء كان مقيماً أو مسافراً ، ولكن إذا علمت أن الآية نزلت في نافلة السفر ، أو فيمن لم يعرف القبلة

---

[1] أسباب النزول عن الصحابة والمفسرين ، عبدالفتاح القاضي ، ط ، بيروت ، لبنان ، ص . ب 4174 — 14 ، 1408هـ – 1987م ص 6 .
[2] أسباب النزول للواحدي ، ط ، الثانية ، 1402هـ — 1984م ، ص 30 .
[3] الفتاوي لأبن تيمية ، 181/13 ، ط 1418هـ — 1997م .
[4] الإتقان للسيوطي : 31/1 .
[5] سورة البقرة الآية (115)

وصلى بإجتهاده ، تبين أن ظاهر الآية غير مراد وإنما المراد التخفيف في الصلاة علي المسافر أو التخفيف علي من لم يعرف القبلة وصلى بإجتهاده .

قال الزركشي في البرهان : إننا لو تركنا مدلول لفظ الآية لأقتضي أن المصلي لا يجب عليه إستقبال القبلة في الصلاة سفراً ولا حضراً ، وهو خلاف الإجماع ، فلايفهم مراد الآية حتى يعلم سببها ، وذلك أنها نزلت لما صلى النبي صلى الله عليه وسلم ـ وهو مسافر من مكة إلي المدينة ــ علي راحلتة حيث توجهت به ، فعلم أن هذا هو المراد[1] .

ومن الأمثلة أيضاً ما أشكل علي عروة بن الزبير رضي الله عنه أن يفهم فرضية السعي بين الصفا والمروة مع قوله سبحانه وتعالى : (إِنَ الصفا والمَروَةَ مِن شَعائرِ اللهِ فَمَنٌ حَجٌ البَيتَ أوِ إعتَمَرَ فَلاَجُنَاحَ عَلَيهِ أن يَطوفَ بِهِمَاَ)[2] وإشكاله نشأ من أن الآية الكريمة نفت الجناح ، ونفي الجناح لايتفق والفرضية ، في رأيه وبقي في إشكاله هذا حتى سأل خالته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، فأفهمته أن نفي الجناح هنا ليس نفياً للفرضية ، وإنما هو نفي لما وقر في أذهان المسلمين يومئذ من أن السعي بين الصفا والمروة من عمل الجاهلية نظراً إلي أن الصفا كان عليه صنم يقال له (إساف) وكان علي المروة صنم يقال له (نائلة) ، وكان المشركون إذا سعوا بينهما تمسحوا بها . فلما ظهر الإسلام وكسرت الأصنام ، تحرج المسلمون أن يطوفوا بينهما لذلك ، فنزلت الأية[3] .

وجاء في رواية البخاري أن عروة قال لها (أي لعائشة) أرأيت قول الله تعالى : (إِنَ الصفا والمَروَةَ مِن شَعائرِ اللهِ فَمَنٌ حَجٌ البَيتَ أوِ إعتَمَرَ فَلاَجُنَاحَ عَلَيهِ أن يَطوفَ بِهِمَاَ)[4] فوالله ماعلي أحد جناح إلا يطوف بالصفا والمروة . قالت : بئسما قلت يا ابن أختي ، إن هذه لو كانت كما أولتها عليه ، كانت (لاَجُنَاحَ عَلَيهِ أن يَطوفَ بِهِمَاَ) ولكنها أنزلت في الأنصار كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشكل ، فكان من أهل يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة ، فلما أسلموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، قالوا : يارسوا الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفاء والمروة ، فأنزل الله (إِنَ الْصَفَاَ والمَروَةَ مِن شَعائرِ اللهِ) قالت

---

[1]) البرهان للزركشي ، 29/1 .
[2]) سورة البقرة الآية (158) .
[3]) مناهل العرفان للزرقاني ، 111/1 ، بيروت ، لبنان .
[4]) سورة البقرة الآية (158)

عائشة : وقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بينهما فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما[1] .

وهذه الرواية تدل علي أن عروة فهم من جملة (فلاَجُنَاحَ عَلَيهِ أن يَطوفَ بِهِمَاَ) أن الجناح منفي أيضاً عن عدم الطواف بهما وعلي ذلكم تنتفي الفرضية ، وكأنه إعتمد في فهمه هذا علي أن نفي الجناح أكثر مايستعمل في الأمر المباح ، أما عائشة رضي الله عنها فقد فهمت أن فرضية السعي بين الصفاء والمروة مستفادة من السنة ، وأن جملة (فلاَجُنَاحَ عَلَيهِ أن يَطوفَ بِهِمَاَ) لا تنافي تلك الفرضية كما فهم عروة ، إنما الذي ينفيها أن يقال : (فلاَجُنَاحَ عَلَيهِ إلا يَطوفَ بِهِمَاَ) وإنما توجه نفي الحرج في الآية عن الطواف بين الصفا والمروة لأن هذا الحرج هو الذي كان واقراً في أذهان الأنصار ، كما يدل عليه سبب نزول الآية الذي ذكرته السيدة عائشة رضي الله عنها .

الفائدة الثالثة :

دفع توهم الحصر عما يفيد بظاهره الحصر : نحو قوله تعالى : (قُل لاَ أَجِدُ في مَاَ أُوحيَ إلي مُحرماً عَليَ طعاَمٍ يَطعَمُهُ إلا أن تَكُنَ ميتَةً أو دَماً مسفوحاً أو لَحمَ خِنزيرٍ فإنَهُ رِجسُ أو فِسقاً أُهل لغيرِ اللهِ بِهِ)[2] . ذهب الشافعي إلي أن الحصر في هذه الآية غير مقصود ، وإستعانه علي دفع توهمه ، بأنها نزلت بسبب أولئك الكفار الذين أبوا إلا أن يحرموا ما أحل الله ويحلوا ما حرم الله عناداً منهم ومحادة لله ورسوله ، فنزلت الآية بهذا الحصر الصوري مشادة لهم ومحادة من الله ورسوله لا قصداً إلي حقيقة الحصر[3] .

الفائدة الرابعة :

معرفة من نزلت فيه الآية وتعيين المبهم فيها حتى لايشتبه بغيره ، فإذا أُشتبه بغيره أُتهم البريء وأُعفي المذنب ، وقد قال مروان بن الحكم في عبدالرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما أنه هو الذي أُنزل فيه قوله تعالى : (وَاَلَّذِي قَاَل لِوَاِلِدَيْهِ أُفٍ لَكُمَاَ أَتَعِدَانَنَي أَنْ أُخْرَجَ وَقدْ خَلَتْ اَلْقُرُنُ مِنْ قَبْلُي ...)[4] حتى ردت عليه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وبينت له سبب نزولها ، وقالت : والله ما هو به ، والله لم ينزل في آل أبي بكر قرآن إلا ما فيه إظهار براءتي[5] .

---

[1]) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الحج ، باب وجوب الصفا والمروة ، رقم 1643 ، 83/6 .
[2]) سورة الأنعام الآية (145) .
[3]) مناهل العرفان للزرقاني ، 113/1 .
[4]) سورة الأحقاف الآية (17) .
[5]) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب والذي قال لوالديه أف لكما ، رقم الحديث 4827 ، 576/8 .

الفائدة الخامسة :

تخصيص الحكم بالسبب عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ ، فآيات الظهار[1] في مفتتح سورة المجادلة ، سببها أن أوس إبن الصامت ظاهر من زوجته خولة بنت حكيم بن ثعلبة ، والحكم الذي تضمنتة هذه الآيات خاص بهما وحدهما ــ علي هذا الرأي . أما غيرهما فيعلم بدليل أخر قياساً أو سواه وبديهي أنه لا يمكن معرفة المقصود بهذا الحكم ولا القياس عليه إلا إذا علم السبب .

وبدون معرفة السبب تصير الآية معطلة[2] .

الفائدة السادسة :

معرفة أن سبب النزول غير خارج عن حكم الآية إذا ورد مخصص لها ، وذلك لقيام الإجماع علي أن حكم السبب باقي قطعاً . فيكون التخصيص خاصاً علي سواه ، فلو لم يعرف سبب النزول لجاز أن يفهم أنه ماخرج بالتخصيص ، مع أنه لايجوز إخراجه قطعاً للإجماع المذكور . ولهذا يقول الغزالي في المستصفي: ولذلك يشير إلي إمتناع إخراج السبب بحكم التخصيص بالإجتهاد وغلط أبو حنيفة رحمه الله في إخراج الأمة المستفرشة من قوله صلى الله عليه وسلم : الولد للفراش ، والخبر إنما ورد في وليده زمعة إذ قال عبد زمعة: هو أخي وإبن وليدة أبي ، ولد علي فراشه ، فقال صلي الله عليه وسلم : الولد للفراش وللعاهر الحجر[3] ، فأثبت للأمة فراشاً ، وأبو حنيفة لم يبلغه السبب فأخرج الأمة من العموم .

الفائدة السابعة :

تيسير الحفظ ، وتسهيل الفهم ، وتثبيت الوحي ، في ذهن كل من يسمع الآية إذا عرف سببها ، وذلك لأن ربط الأسباب بالمسببات ، والأحكام بالحوادث والحوادث بالأشخاص والأزمنة والأمكنة كل أُولئك من دواعي تقرر الأشياء وإنتقاشها في الذهن ، وسهولة إستذكارها عند إستذكار مقارنتها في الفكر وذلك هو قانون تداعي المعاني ، المقرر في علم النفس[4] .

---

[1]) الآيات (2 ، 3) من سورة المجادلة .

[2]) مناهل العرفان للزرقاني : 113/1 .

[3]) أخرجة البخاري في صحيحه ، كتاب تفسير المشتبهات ، رقم 1912 ، 205/7 .

[4]) مناهل العرفان للزرقاني ، 115/1 .

المطلب الثالث

موقف الخازن من أسباب النزول

يعد الخازن ــ رحمه الله ــ من المكثرين من ذكر أسباب النزول في الآيات حتى أنه لايمكن أن تخلو صفحة من صفحات كتابه من ذكره بصورة مختلفة ومتباينة فتارةً كان يذكر في الآية قولاً واحداً وتارةً يذكر أقوالا عدة ، وتارةً مختصراً وأخرى مطولاً ، وأحياناً يرجح أحد الأقوال ، وأوقاتاً لا يعتمد علي الترجيح .

وسأحاول أن أسوق الأمثلة لبعض ماذكرته دون الإحصاء والإحاطة حتى لا يطول البحث ، وحتى تظهر الفائدة المنشودة . فأحياناً كان يذكر الخازن في سبب النزول قولاً واحدًا مثاله قوله تعالى : (مَثَلَهُم كَمَثَلِ الذيِ إستَوقَدَ نَاراً فَلماَ أضاَءَت ماَ حَوُلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِم وَتَرَكَهُم فيِ ظُلُمَاتٍ لاَ يُبصِرُونَ)[1] .

ذكر الخازن سبب نزول هذه الآية فقال : قال إبن عباس نزلت في المنافقين يقول : ممثلهم في نفاقهم كمثل رجل أوقد ناراً في ليلة مظلمة في مغارة فاستدفأ ورأى ماحوله فاتقي مما يخاف ، فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره فبقي في ظلمة حائراً متخوفاً ، فكذلك حال المنافقين أظهروا كلمة الإيمان فأمنوا بها علي أنفسهم وأموالهم وأولادهم وناكحوا المسلمين وقاسموهم في الغنائم فذلك نورهم ، فلما ماتوا عادوا للظلمة والخوف[2] .

وكذلك في قوله تعالى : (ولاَ تَهِنوا ولاَ تَحزَنوا وأنتُم الأعلون إن كُنتُم مؤمِنينَ)[3]
قال الخازن نزلت يوم أحد ، حين أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بطلب القوم مع ما أصابهم من الجرح فاشتد ذلك علي المسلمين فأنزل الله تعالى هذه الآية وحث فيها أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم علي الجهاد .
علي ما أصابهم من الجراح والقتل ، وكان قد قتل يوم أحد من الأنصار سبعون رجلاً ، ومن المهاجرين خمسة رجال منهم حمزة بن عبدالمطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومصعب بن عمير[4] .

إلا أن الخازن ــ يرحمه الله ــ لم يقتصر علي هذا من ذكره سبب النزول ، بل كان أحياناً يذكر عدة أقوال في سبب نزول الآية الواحدة مثاله قوله تعالى :

---

[1]) سورة البقرة الآية (17) .
[2]) تفسير الخازن ، 29/1 .
[3]) سورة آل عمران الآية (139) .
[4]) تفسير الخازن 301/1 .

(وَلِلَّهِ اَلْمَشْـرِقِ وَاَلْمَغْـرِبْ فَأَيْنِمَـاَ تُوَلُّـوا فَـثَمَ وَجْـهُ اَللَّهَ إِنَّ اَللَّهَ وَأَسِـعُ عَلِـيْمُ)[1] ، ذكـر الخـازن سبب نـزول هـذه الآيـة يقـول قـال إبـن عبـاس : خـرج نفـر مـن أصـحاب رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم فـي سـفر قبـل تحويـل القبلـة إلـي الكعبـة فأصـابهم الضـباب وحضـرت الصـلاة ، فتحـروا القبلـة وصـلوا فلمـا ذهـب الضـباب إسـتبان لهـم أنهـم لـم يصـيبوا ، فلمـا قـدموا سـألوا رسـول الله صـلي الله عليـه وسـلم عـن ذلـك ، وقـال ابـن عمـر نزلـت فـي المسـافر يصـلي التطـوع حيثمـا توجهـت بـه راحلتـه حيـث كـان وجهـه يـومي[2] . وفـي روايـة لمسـلم كـان النبـي صـلى الله عليـه وسـلم يصـلي علـي دابتـه وهـو مقبـل مـن مكـة إلـي المدينـة حينمـا توجهـت وفيـه نزلـت ، وقيـل نزلـت فـي تحويـل القبلـة إلـي الكعبـة وذلـك أن إلـي هـود عيـرت المـؤمنين وقـالوا : لـيس لهـم قبلـة معلومـة فتـارة يسـتقبلون هـذا وتـارة يسـتقبلون هكـذا فـأنزل الله هـذه الآيـة ، وقيـل أنهـا نزلـت فـي تخييـر النبـي صـلى الله عليـه وسـلم وأصـحابه ليصـلوا حيـث شـاءوا مـن النـواحي ثـم إنهـا نُسِـخت بقولـه تعـالى : (فَـوَل وَجهَكَ شَطرَ المَسجِدِ الحَرامَ)[3]

وكـذلك فـي قولـه تعـالى : (الـذينَ يُنفِقـونَ أمـوالَهُم باللـيلِ والنَهـارِ سَـراً وعَلانيـةً فَلَهُـم أجرُهُم عِندَ رَبِهِم وَلاَ خُفُ عَليهِم ولاَ هُم يَحزَنُونَ)[4]

قـال الخـازن : قـال ابـن عبـاس فـي روايـة عنـه : نزلـت هـذه الآيـة فـي علـي بـن أبـي طالب كان عنده أربعة دراهم لايملك غيرها فتصدق بدرهم ليلاً

وبدرهم نهاراً وبدرهم سراً وبدرهم علانيةً ، وفي رواية قال : لما نزل قوله تعالى :

(لِلفُقَـرَاءِ اَلْـذِيْنَ أُحْصِـرُوا فِـي سَـبِيلِ اَللهِ)[5] بعـث عبـد الـرحمن بـن عـوف بـدنانير كثيـرة إلـي أهـل الصـفة وبعـث علـي بـن أبـي طالـب فـي الليـل بوسـق مـن تمـر فـأنزل الله فيهمـا (اَلْـذِينَ يُنْفِقُـونَ أَمْـوَاَلَهُمْ بَاَللْيْـلِ وَاَلْنَهَـاَرِ)[6] يعنـي ينفقـه بالليـل نفقـة علـي وبالنهـار نفقـة عبـدالرحمن بـن عـوف ، وقيـل نزلـت فـي الـذين يربطـون الخيـل للجهـاد فـي سـبيل الله لأنهـم يعلفونهـا بالليـل والنهـار وفـي السـر والعلانيـة ، وعـن أبـي هريـرة رضـي الله عنـه قـال : قـال رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم : (مـن احتـبس فرسـاً فـي سـبيل الله إيمانـاً وإحتسـاباً وتصـديقاً بوعـده كـان شـبعه وريـه وروثـه وبولـه فـي ميزانـه يـوم القيامـة) [7] . يعنـي حسـنات وقيـل :

---

[1]) سورة البقرة الآية (115) .
[2]) مسند الإمام أحمد : 132/2 .
[3]) تفسير الخازن 73/1 .
[4]) سورة البقرة الآية (274) .
[5]) سورة البقرة الآية (273) .
[6]) سورة البقرة الآية (274)
[7]) أخرجة البخاري في صحيحه ، باب من إحتبس فرساً في سبيل الله ، برقم 2641، 455/9 .

إن الآيــة عامــة فــي الــذين يُنفِقــونَ أمــوالهم فــي جميــع الأوقــات ويعمــون بهــا أصــحاب الحاجات والفاقات[1] .

بعــد ذكــر الــروايتين يتضــح أن الخــازن عــدد الروايــات فــي أســباب النــزول عــن الصــحابة الاجــلاء كــأبن عبــاس وأبــن عمــر ، وغيــرهم رضــوان الله علــيهم أجمعــين ، ومــع هــذا فهــو لــم يعمــد إلــي الترجيح ، والحقيقــة أن هــذه هــي الصــفة الغالبــة فيمــا يتعلــق بــذكره لأســباب النــزول فهــو يــذكر الروايــات المتعــددة ســواء كانــت متفقــة أو متباينــة إلا أنــه لايعمد إلي الترجيح .

وهــذا لا يعنــي أنــه إلا يتعــرض إلــي الترجيح فــي الروايــات التــي ذكرهــا ـ بــل أنــه يــذكره ـ فهو قد تعرض له في روايات عديدة إلا أنه أقل من النوع السابق .

والأن لنذكر بعض الامثلة :

قــال تعــالى : (يَــا أَيُهَــا الــذِينَ أمَنــوا ادخُلُــوا فِــي السِــلمِ كَآفــة ولاَ تَتَبِعــوا خُطُــوَاتِ الشَــيطَانِ إنَــهُ لَكُــم عَــدُوُ مُبِــينَ)[2] ، ذكــر الخــازن فــي تفســيره لســبب نزولهــا فقــال : نزلــت فــي مــؤمني أهل الكتاب عبدالله بن سلام وأصحابه وذلك لما أسلموا

قاموا علي تعظيم شرائع موسى فعظموا السبت وكرهوا لحوم الابل وألبانها، وقالوا : إن ترك هذه الأشياء مباح في الإسلام وواجب في التوراة ، وقالوا أيضاً : يارسول الله إن التوراة كتاب الله دعانا فلنقم به في صلاتنا بالليل ، فأنزل الله هذه الآية فأمرهم أن يدخلوا في السلم أي في شرائع الإسلام وأن لايتمسكوا بالتورة فإنها منسوخة .

وقيل وهو خطاب لمن لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب . والمعنى : يا أيها الذين أمنوا بموسى وعيسى إدخلوا في السلم كآفة أي في الإسلام ، وقيل يحتمل أن يكون خطاباً للمنافقين من المؤمنين والمعنى : يا أيها الذين أمنوا بألسنتهم إدخلوا في السلم أي في الإنقياد والطاعة لأن أصل السلم الإستسلام .

وقيل يحتمل أن يرجع إلي الإسلام والمعني أدخلوا في أحكام الإسلام وشرائعة كآفة . ثم قال الخازن : وهذا المعنى يليق بظاهرة التفسير لأنهم أُمروا بالقيام بها كلها[3] .

---

[1]) تفسير الخازن ، 208/1 .
[2]) سورة البقرة الآية (208) .
[3]) تفسير الخازن 139/1 .

فالخازن رحمه الله في هذه الآية عدد روآيات في أسباب النزول وإن كانت الرواية الأولى ذكرها بلفظ القبول والروايات الاخرى ذكرها بلفظ التضعيف حيث يقول : (وقيل ـ يحتمل) .

مع هذا كله فهو قد رجح رواية ثانية إستناداً علي أن فيها الامر بقيام شرائع الإسلام ولأنه يبدو في ظاهرها أنها إلي ق بالتفسير .

وكذلك في قوله تعالى : (أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتَاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَاَ لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي اَلْنَاسَ كَمَنْ مِثْلِهِ فِي اَلْظُلُمَاَتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَاَ كَذَلِكَ زُيِنَ لَلْكَافِرِينَ مَاَكَاَنُواْ يَعْمَلُونَ)[1] .

قال الخازن في تفسيره : وهذا مثل ضرب الله تعالى لحال المؤمن والكافر فبين أن المؤمن المهتدي بمنزلة من كان ميتاً فأحياه الله وأعطاه نوراً يهتدي به في مصالحه وأن الكافر بمنزلة من هو في ظلمات منغمس فيها ليس بخارج منها فيكون متحيراً علي الدوام . ثم قال : وإختلف المفسرون في هذين المثلين هل هما مخصصان بإنسانين معينين أم هما عامين في كل مؤمن وكافر ؟

ذكر في ذلك القولين **فقال** : أن الآية نزلت في رجلين معينين ثم إختلف فيهما فقال إبن العباس في قوله تعالى : (وَجَعَلَنَاَ لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي اَلْنَاَسَ) يريد حمزة بن عبدالمطلب ، و كمثله في الظلمات يريد بذلك أبا جهل بن هشام وذلك أن أبا جهل رمي النبي صلى الله عليه وسلم بفرث ‘ فأخبر حمزة بما فعل أبا جهل ، وكان حمزة قد رجع من الصيد بيدة قوس وحمزة لم يؤمن بعد فأقبل حمزة غضبان حتى عليا أبا جهل وجعل يضربه بالقوس وجعل أبا جهل يتضرع إلي حمزة ويقول : يا أبا يعلى أما ترى ماجاء به سفه عقولنا وسب ألهتنا وخالف أباءنا ؟ فقال حمزة : ومن أسفه منكم عقولاً تعبدون الحجارة من دون الله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فأسلم حمزة يومئذ فأنزل الله هذه الآية .

القول الثاني : وهو قول الحسن : أن هذه الآية عامة في حق كل مؤمن وكافر وهذا هو الصحيح لأن المعنى إذا كان حاصلاً في كل دخل فيه كل أحد[2] .

فالملاحظ أن الخازن بعد إستوفي جميع الأقوال في سبب نزول هذه الآية رجح القول الثاني لأجل التعميم ، فالخازن كأنه ها هنا يأخذ برائ القائل : (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) .

---

[1]) سورة الأنعام الآية (122) .
[2]) تفسير الخازن : 153/2 .

المطلب الاول

جواز النسخ في الشريعة الإسلامية

النسخ لغةً : يأتي بمعنى الإزالة ، تقول العرب : ونسخت الشمس الظل ـ أي أزالته ـ ومنه قوله تعالى : (فَيَنْسَخُ اَللهُ مَـاَيُلْقِي اَلْشَـيْطَاَنٌ)[1] أي: يزيله ويبطله . ويأتي بمعنى النقل من موضع إلي موضع ومنه قولهم نسخت الكتاب ، أي : نقلت مافيه إلي كتاب أخر، ومنه قوله تعالى : (إنَاَ كُنَاَ نَسْتَنْسَخُ مَاَكُنْتُمْ تَعْمَلُوُنَ)[2] ويأتي بمعنى التبديل ومنه قوله تعالى : (وَإذا بَدَلناَ أيَةً مَكَاَنَ أيةٍ)[3] وبمعنى التحويل ومنه (تناسخ المواريث من وأحد إلي وأحد)[4].

وأما في الشرع : فهو إنتها الحكم وتبديله بحكم أخر... وقد عرفه الفقهاء والإصوليين بتعريفات كثيرة نختار منها أحصرها وأجمعها وهو ماقاله إبن الحاجب[5] حيث قال في تعريفه رحمه الله :

النسخ : هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر[6] . قال تعالى في كتابه العزيز : (مَاَ نَنسَخُ مِن أَيةٍ أَو نُنسِهَا نَأتِ بِخيرٍ مِنهَا أَو مِثلِهاَ ألم تَعلَمَ أن الله عَلىَ كُلِ شئٍ قَدِيرً)[7] .

وروي أن إلي هود قال بعضهم لبعض : إلا تعجبون من أمر محمد ؟ يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ! ويقول إلي وم قولاً ويرجع عنه غداً فما هذا القرآن إلا من كلام محمد ، يقوله من تلقاء نفسه ، ويناقض بعضه بعضاً . فنزلت الآية الكريمة رداً علي سفههم وجهلهم ، بقوله تقدست أسماؤه (ماَ نَنسخُ مِن أيةٍ أو نُنسِها نأت بِخيرٍ مِنهاَ أو مِثلِها) [8] .

والنسخ في الشريعة الإسلامية جائز عقلاً ، حادث سمعاً ، وهو واقع بإجماع المسلمين ، خلافاً لليهود فإنهم أنكروا وقوعه ، وقالوا : لم يحدث نسخ في الشرائع ، لأنه يدل علي الجهل ، والله منزه عن ذلك ، و وافقهم علي القول : (أبو مسلم الأصفهاني)[9] فقال : (إن النسخ في كتاب الله تعالى لم لم يحصل ، لأن الله تعالى قال عن القرآن العظيم : (لاَ يَأتِيهِ اَلبَاطِلَ مِن بَينَ يَدَيهِ وَلاَ مِن خَلفِهِ تَنزِيلٌ مِن حَكِيمٍ حَميدٍ)[10] فلو جاز النسخ لكان قد أتاه الباطل .

---

[1]) سورة الحج الآية (52)
[2]) سورة الجاثية الآية (29) .
[3]) سورة النحل الآية (101) .
[4]) مختار الصحاح للرازي ، ص ، 273 ــ 274 ، ط ، دار القبس ، بدون تاريخ.
[5]) هو إبن عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الدويني الاسنائي ، الشهير بإبن الحاجب ، الفقيه المالكي ، والاصولي النحوي ، والمقرئ
[6]) التبيان في علوم القرآن للشيخ محمد علي الصابوني ، ص 87 ، طبعة 3 ، دار القلم ، 1408هـ
[7]) سورة البقرة الآية (106) .
[8]) تفسير الكشاف 131/1 .
[9]) هو محمد بن بحر المشهور بأبي مسلم الأصفهاني ' معتزلي من كبار المفسرين من أهم كتبه (جامع التأويل في التفسير) توفي سنة 322هـ ، الإعلام للزركشي ، 334/1 .
[10]) سورة فصلت الآية (42) .

وإحتج جمهور العلماء علي جواز النسخ ووقوعه ، بأن الدلائل القطعية دلت علي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .... ونبوتة عليه الصلاة والسلام لا تصح إلا مع القول بنسخ شرع من قبله ، وهذا دليل عقلي ، وأما الوقوع فقد قالوا : إن النسخ قد حصل في الشرائع السابقة ، وفي نفس شريعة إلي هود ، فإنه جاء في التوراة أن أدم عليه السلام أمر بتزويج بناته من بنيه ، تم ذلك بإتفاق[1] .

وإستدل الجمهور علي وقوع النسخ بحجج كثيرة ، نوجزها فيما يلي :

الحجة الأولى :

أن الله تعالى قد صرح به في الآية الكريمة ، وهي قوله سبحانه وتعالى : (مَاَ نَنسَخُ مِن أَيةٍ أو نُنسِها نَأتٍ بِخيرٍ مِنهَا أو مِثلَهاَ)[2]

الحجة الثانية :

قوله تعالى : (وإذا بَدلناَ أيةٍ مَكَانَ أيةٍ واللهُ أعلمُ بِمايُنَزِلَ قَالواَ إنماَ أنتَ مُفتَرٍ بَل أكثَرُهُمُ لاَ يَعلَمُونَ * قُل نَزَلُهُ رُوحُ القُدُسِ مِن رَبِكً بِالحَقٌ .....)[3]

قالوا إن هذه الآية وأضحة كل الوضوح في تبديل الآيات وألأحكام ، والتبديل : يشتمل علي وضع حكم وإثبات أخر ، والمرفوع إما التلاوة وإما الحكم ، وكيفما كان الامر فإنه رفع ونسخ وهو مادلت عليه الآية الكريمة .

الحجة الثالثة :

نسخ القبلة من بيت المقدس ، إلي البت الحرام ، وهو ظاهر لايجادل فيه عاقل ، فقد كان المسلمون يتوجهون في صلاتهم في بد الدعوة الإسلامية ، إلي بت المقدس ، ثم نُسخ ذلك الحكم وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتوجه إلي البيت العتيق في (مكة المكرمة) بقوله تبارك وتعالى : (قَد نَرىَ تَقَلُبَ وَجهِكَ فِي السَمَاءِ فَلَنُولِينَكَ قِبلَةً تَرضَاهَا فَولِ وَجهَكَ شَطرَ المَسجِدِ الحَرَامَ وَحيثُ مَا كُنتُم فَوَلوا وُجُوهَكُم شَطرَهُ)[4] وأخبر سبحانه وتعالى بما سيقوله المنافقون وأهل الكتاب من الطعن في القرآن الكريم ، وفي النبي صلى الله عليه وسلم ، بسبب تركهم التوجه إلي البيت المقدس وصلاتهم نحو البيت الحرام فقال جل عظمته : (سَيَقُّولُ السُفَهَاءُ مِنَ النَاسِ ماَ

---

[1]) التفسير الكبير للأمام الفخر ، الرازي ، 227/30 .
[2]) سورة البقرة الآية رقم (106) .
[3]) سورة النحل الأيتان (101– 102) .
[4]) سورة البقرة الآية (144) .

وَلاَهُمُ عَنِ قِبلَتِهِمُ التي كَانُواَ عَليهَا قُل للهِ المَشرِقُ وَالمَغرِبُ يَهدِي مَن يَشَاءُ إلي صِرَاطِ مُستَقِيمَ)[1]

الحجة الرابعة :

إن الله تعالى أمر المتوفى عنها زوجها بالإعتداد أربعة أشهر وعشر أيام بقوله سبحانه وتعالى : (وَالذينَ يَتَوفُونَ مِنكُمُ وَيَذَرُونَ أزوَاجاً يَتَرَبَصنَ بَأنفُسِهِنَ أربَعَة أَشهُرِ وَعَشراً)[2]

وقد نسخت هذه الآية الحكم السابق وهو أن عدة المتوفي عنها زوجها حول كامل بقوله سبحانه وتعالى : (وَالذينَ يَتَوَفُونَ مِنمكُم وَيَذَرُنَ أزوَاَجَاً وَصِيةَ لأزوَاجِهِم مَتَاعَاً إلي الحَوُلِ)[3] وهذا أمر معلوم عند كل مسلم بأن حكم الإعتداد للوفاة بعام كامل قد نسخ علي أربعة أشهر وعشرة أيام .

وهذا يظهر دليل الجمهور ، وأضحاً ساطعاً بحصول النسخ في الشريعة الإسلامية الغراء ، ولا عبرة بقول من أنكر النسخ لمعارضته للنصوص الصحيحة الصريحة .

يقول الإمام القرطبي رحمه الله : معرفة هذا الباب أكيدة وفائدته عظيمة ، لأ يستغنى عن معرفته العلماء ، ولا ينكره إلا الجهلة الأغبياء ، لما يترتب عليه من النوازل من الأحكام ، ومعرفة الحلال والحرام .[4]

يقول الإمام الخازن رحمه الله : والنسخ جائز عقلاً و واقع سمعاً خلافاً لليهود فإن منهم من ينكره عقلاً ولكنه منعه سمعاً ، وشذت طائفة قليلة من المسلمين فأنكرت النسخ وإحتج الجمهور من المسلمين علي جواز النسخ ، و وقوعه بأن الدلائل قد دلت علي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته لا تصح إلا مع القول بالنسخ وهو نسخ شرع من قبله فوجب القطع بالنسخ

ثم شرع رحمه الله في الرد علي اليهود المنكرين للنسخ وأستدل بأدلة فقال : ولنا علي اليهود إلزامات : منها أن الله تعالى حرم عليهم العمل في يوم السبت ولم يحرمه علي من كان قبلهم ومنه أنه قد جاء في التوراة أن الله تعالى قال لنوح عليه السلام عند خروجه من الفلك : أني جعلت كل دأبة مأكولاً لك ولذريتك ، وأطلقت ذلك لكم . ثم أنه تعالى حرم علي موسى عليه

---

[1]) سوره البقرة الآية (142) .
[2]) سورة البقرة الآية (234) .
[3]) سورة البقرة الآية (240) .
[4]) جامع الأحكام للامام القرطبي ، 57/2 .

الصلاة والسلام وعلي بني إسرائيل كثير من الحيوانات . ومنها أن أدم عليه السلام كان يزوج الاخ للاخت ، وقد حرمه علي من بعده وعلى موسى عليه السلام فثبت بهذا جواز النسخ .[1] .

نخرج من هذا بفائدة تخص الخازن وهي أنه كان يجيز النسخ ويقره وإلا لما شرع في ذكر الأدله الواضحة في الرد علي إلي هود أولاً ، وثانياً بقوله : ولنا علي إلي هود إلزامات . وثالثاً بقوله : فثبت بهذا النسخ .

ثم بعد ذلك أراد الخازن أن يقرر حقيقة هامة تستوجب البحث والتأمل وهي بعد ثبوت النسخ بالأدلة العقلية والسمعية أراد أن يبين هذا النسخ المختلف فيه فقال : وحيث ثبت جواز النسخ فقد إختلفوا فية علي وجوه : أحدهما أن القرآن نسخ جميع الشرائع والكتب القديمة كالتوراة والإنجيل وغيرهما . الوجه الثاني المراد من النسخ وهو نسخ القرآن ونقلة من اللوح المحفوظ إلي سماء الدنيا . والوجه الثالث وهو الصحيح الذي عليه جمهور العلماء أن المراد من النسخ هو رفع حكم بعض الآيات بدليل أخر يأتي بعده وهو المراد بقوله تعالى : (مَاَ نَنسَخُ مِن أَيةٍ أو نُنسِها نَأتٍ بِخيرِ مِنهَا أو مِثلَهاَ) لأن الآية إذا أطلقت ، فالمراد به آيات القرآن لأنه هو المعهود عندنا .[2]

فالشيخ الخازن : إستعرض الأراء في المارد من النسخ ، ورجح الرأي الثالث بالإستدلال بلفظ الآية الظاهر ، والحقيقة أن هذا الرأي الذي لجأ له الشيخ هو الحق والصواب . ثم إنه بعد ذلك إتجه إلي نقطة أخرى فيما يتعلق بالنسخ فقال : والنسخ في القرآن علي وجوه وهي :

أحدها مارُفِعَ حكمه وتلاوتة كما روي عن أبي أمامة بن سهل : أن قوماً من الصحابة قاموا ليلة ليقرأؤ سورة فلم يذكروا منها إلا بسم الله الرحمن الرحيم ، فغدوا إلي النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال صلى الله عليه وسلم : تلك السورة رفعت بتلاوتها وحكمها ،

[1]) تفسير الخازن : 68/1 .
[2]) تفسير الخازن : 68/1 سورة البقرة الآية : 106 .

أخرجه البغوي بغير سند ، وقيل أن سورة الاحزاب كانت مثل سورة البقرة فرفع بعضها تلاوةً وحكماً .

الوجه الثاني : مارفعت تلاوته وبقى حكمه مثل آية الرجم روى عن أبن عباس قال : قال عمر بن الخطاب وهو جالس علي منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله بعث محمداً بالحق ، وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم ، فقرأناها و وعيناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم و رجمنا بعده فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل : ما نجد في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، وإن الرجم في كتاب الله حق علي من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء ، إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الإعتراف [1].

الوجه الثالث : ما رفع حكمه وثبت خطه وتلاوته وهو كثير في القرآن الكريم ، مثل أية الوصية للأقربين نسخت بآية الميراث عند الشافعي ، ونسخت بالسنة عند غيره ' وأية عدة الوفاة بالحول ، نسخت بأية أربعة أشهر وعشرا وأمثاله في القرآن كثيراً جداً .[2]

[1])صحيح مسلم ، 1317/3 ، كتاب الحدود ، باب رجم الغيب الزاني ، رقم الحديث 1691 .
[2]) تفسير الخازن ، 69/1 .

المطلب الثاني

أهمية معرفة الناسخ والمنسوخ

الواقع أن قضية الناسخ والمنسوخ بالنسبة للقرآن قضية جوهرية ، فلا يمكن فهم أحكام القرآن مالم يكن الانسان ملماً إلماماً جيداً بالناسخ والمنسوخ لأنه ربما يفهم الأنسان آية معينة ويتخذ منها قاعدة للحكم ، ويفاجأ بأنها قد نسخت بأية أخرى .

روي عن علي بن أبي طالب أحد الخلفاء الراشدين : أنه دخل يوماً مسجد الجامع بالكوفة فرأى فيه رجلاً يعرف بعبدالرحمن بن دأب ، وكان صاحباً لأبي موسى الاشعري ، وقد تحلق عليه الناس يسألونه وهو يخلط الأمر بالنهي والإباحة بالحظر ، فقال له علي كرم الله وجهه أتعرف الناسخ والمنسوخ ؟ قال : لا . قال له : هلكت وأهلكت ... وأخذ أذنه وفتلها وقال له: لا تقضي في مسجدنا بعد .[1]

ومن هنا كانت أهمية معرفة الناسخ والمنسوخ في القرآن وهو من أهم الموضوعات وأجلها قدراً في شريعتنا الغراء ، لأن مدار هذا الدين كتاب الله سبحانه وتعالى ، فما ثبت فيه محكماً غير منسوخٍ نفذناه ، وعملنا به ، وما كان منسوخاً منه لم نعمل به ومعرفة ذلك مهمة كبيرة ومسؤلية عظيمة ، وهي في نفس الوقت شاقة جداً لا يستطيع الإنسان الحكم فيها بعقله وتفكيره مهما كان ولا يمكن ذلك إلا بنقل صحيح ثابت أو الاجتهاد فيها ، كما لا يجوز للانسان أن يتصرف في مثل هذا الموضوع الحساس ، بآرائه البحتة غير مستند إلي كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو أقوال الصحابة المحكية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بسندٍ صحيح خال من الجروح والعلة .

لذا كان السلف يرى معرفة الناسخ والمنسوخ شرطاً في أهلية المفسر للتفسير والمحدث للحديث ، وقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وعبدالله بن عمر ، وعبدالله بن عباس رضي الله عنهم ، لا يرضون لأحد أن يتحدث في الدين إلا إذا كان عارفاً وعالماً بالناسخِ والمنسوخ من القرآن . وقد جاء في الأثر عن إبن عباس رضي الله عنهما ، بأنه كان يفسر قوله تعالى :

---

[1]) كتاب الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن عبدالرحيم بن إبراهيم المعروف بشرف الدين بن البارزي ، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن ، ص 13 ، بدون تاريخ ، وروي نحوه البيهقي في السنن ، كتاب أدب القاضي ، باب أثم من أفتى أو قضي بالجهل . 117/10 .

(وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيراً)[1] ، بأن معرفة الحكمة معرفة ناسخ القرآن ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله .[2]

يقول يحي بن أكثر التميمي ـــ رحمه الله ـــ : (ليس من العلوم كلها علم هو أوجب علي العلماء وعلي المتعلمين من ، وعلي كآفة المسلمين من علم ناسخ القرآن ومنسوخه ، لأن الأخذ بناسخه وأجب فرضاً والعمل به وأجب لازم ديانه ، والمنسوخ لا يعمل به ولا ينتهي إليه ، فالواجب علي كل عالم ، عرف ذلك لئلا يوجب علي نفسه وعلي عباد الله أمراً لم يوجبه الله ، أو يضيع عنهم فرضاً أوجبه الله)[3] .

ويقول بن حزم الظاهري : لا يحل لمسلم يؤمن بالله وإلي وم الأخر أن يقول في شيء من القرآن والسنة : هذا منسوخ إلا بيقين ، لأن الله عز وجل يقول : (وَمَاَ أرسَلْناَ مِنْ رَسُولٍ إلا لِيُطَاعَ بَإذنِ اللهِ)[4] وقال تعالى : (إتَبِعواَ ماَ أُنزِلَ إليكُمْ مِنْ رَبِكُم)[5] ، فكل ما أنزل الله في القرآن ، وعلي لسان نبيه فرض إتباعه ، فمن قال في شيء أنه منسوخ ، فقد أوجب أن لأ يُطاع ذلك الأمر وأسقط لزوم إتباعه ، وهذه معصية لله تعالى مجردة ، وخلاف مكشوف إلي أن يقوم برهان علي صحة قوله وإلا فهو مفتر مبطل .[6]

ويقول إبن الحصار علي بن محمد الأنصاري : إنما يرجع في النسخ إلي نقل صريح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو عن صحابي يقول أية كذا نسخت كذا.

قال : وقد يحكم به عند وجود التعارض المقطوع به مع علم التاريخ ليعرف المتقدم والمتأخر قال : ولا يعتمد في النسخ قول عوام المفسرين بل لا إجتهاد للمجتهدين من غير نقل صحيح ولا معارضة بينه ، لأن النسخ في عهده صلى الله عليه وسلم ، والمعتمد فيه النقل والتاريخ ، دون الرأي والاجتهاد ، قال : والناس في هذا بين طرفي

---

[1]) سورة البقرة الآية (269) .
[2]) جامع البيان للطبري ، 6/5 .
[3]) هو أحد عظما السلف ، توفي سنة 242هـ ، الإعلام لخير الدين الزركشي ، 113/1 .
[4]) سورة النساء الآية (64) .
[5]) سورة الاعراف الآية (3) .
[6]) الناسخ والمنسوخ لأبن حزم 214/1 ، ط ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .

نقيض فمن قائل : لا يقبل في النسخ أخبار الأحاد العدول ، ومن متسهل : يكتفي فيه بقول مفسر أو مجتهد والصواب خلاف قولهما .[1]

ولعلنا بهذا نكون قد إطلعنا علي صورة صادقة عن خطورة هذا الموضوع وعلي مدى إهتمام العلماء به سلفاً وخلفاً . ويأتي من بعدهم عالم معاصر وهو الشيخ عبدالعظيم الزرقاني ويلخص ماذكره العلماء في أهمية هذا الموضوع في كتابه مناهل العرفإن .

فيقول :

أولاً : هذا الموضوع كثير التعاريج متشعب المسالك طويل الذيل .

ثانياً: هو مثار خلاف شديد بين العلماء الإصوليين القدامي والمحدثين .

ثالثاً : إن اعداء الإسلام كالملاحدة والمستشرقيين والمبشرين قد إتخذوا من النسخ أسلحة مسمومة طعنوا بها في صدر الدين الحنيف ، ونالوا من قدسية القرآن وإجتهدوا في إقامة الحجج البراقة ونشروا شبهاتهم ونالوا من مطاعنهم حتى سحروا عقول بعض المنتسبين إلي العلم من المسلمين فجحدوا وقوع النسخ .

رابعاً : إن إثبات النسخ يكشف النقاب عن سير التشريع الأسلامي ، ويطلع الإنسان علي حكمة الله تعالى في تربية الخلف وسياستة للبشر وإبتلائه للناس بتحديد الأحكام مما يدل بوضوح علي أن محمداً صلى الله عليه وسلم ، النبي الامي لأيمكن أن يكون مصدراً لمثل هذا القرآن ، إنما هو تنزيل من حكيم حميد .

خامساً : بمعرفة ذلك يهتدي الإنسان إلي صحيح الأحكام وينجو عن نسخ ماليس بمنسوخ حين لايجد التعارض بين الأيتين ، لذا إعتنى السلف بهذه الناحية يحذقونها ويلفتون أنظار الناس إليها ويحملونهم عليها[2] .

---

[1]) الناسخ والمنسوخ لأبن حزم 214/1 ، ط دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .
[2]) مناهل العلم للزرقاني : 189/2 .

المطلب الثالث

مسلك الخازن في الناسخ والمنسوخ

بعد أن إستعرضنا موقف العلماء عموماً من النسخ يود الباحث أن ينوه عن موقف الخازن في بعض الآيات التي أشتهرت بالنسخ ورأيه فيها من النسخ والإحكام وغير ذلك .

مثال (1) :

قال تعالى : (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ)[1] فالخازن في تفسيره هذه الآية بدأ بإستعراض الأقوال الواردة في سبب نزولها فقال : سبب نزول هذه الآية قال إبن عباس : خرج نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر قبل تحويل القبلة إلي الكعبة فأصابهم الضباب وحضرت الصلاة ، فتحروا القبلة وصلوا فلما ذهب الضباب إستبان لهم أنهم لم يصيبوا ، فلما قدموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزلت هذه الآية .

ثم قال : وقيل أنها نزلت في تخيير النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليصلوا حيثُ شاؤوا من النواحي ثم إنها نُسِخَتْ بقوله تعالى : (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)[2]

مثال (2) :

وكذلك في قوله تعالى : (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ)[3] ، قال الخازن : إختلف العلماء في حكم هذه الآية فذهب أكثرهم إلي أنها منسوخة وهو قول عمر بن الخطاب ومسلمة بن الأكوع وغيرهما ، وذلك أنهم كانوا في إبتداء الإسلام مخيرين بين أن يصوموا وبين أن يفطروا ويفدوا وإنما خيرهم الله تعالى لئلا يشق عليهم ، لأنهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله تعالى : (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) فصارت هذه الآية ناسِخة للتخيير .[4]

---

[1]) سورة البقرة الآية (115) .
[2]) سورة البقرة ن الآية : 115 ، تفسير الخازن 73/1 .
[3]) سورة البقرة الآية (184) .
[4]) تفسير الخازن : 111/1 .

وعن سَلمة بن الأكوع قال : لما نزلت هذه الآية : (وَعَلَي الْذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةُ طَعَامُ مِسْكِينَ) كان من أراد أن يفطر ويفدي فعل حتى نزلت هذه الآية التي بعدها فنسختها وفي رواية حتى نزلت هذه الآية : (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَهْرَ فَلْيَصُمْهُ)

وقال قتادة : هي خاصة في حق الشيخ الكبير الذي لايطيق الصوم ولكن يشق عليه رخص له أن يفطر ويفتدي ثم نسخ ذلك .[1]

وقال الحسن : هذا في المريض الذي يقع عليه إسم المرض وهو يستطيع الصوم خُيرَ بين الصيام وبين أن يفطر ويفدي ثم نسخ ، وذهب جماعه منهم إبن عباس إلي أن الآية محكمة غير منسوخة ، ومعناها وعلي الذين كانوا يطيقونه في حال الشباب ، ثم عجزوا عنه عند الكبر فعليهم الفدية بدل الصوم .[2]

فالملاحظ علي الخازن ــ رحمه الله ــ في الأيتين السابقتين : أنه ذكر أقوال العلماء في حكمهما هل هما محكمتان أم منسوختان ؟ ثم إستعرض في ذلك أيضاً أقوال الصحابة والتابعين ، ومع كل ذلك فهو لايعمد إلي ترجيح أحد القولين ، وإكتفي بسرد الأقوال وبيان معانيها ، ولعله قد إرتضى ذلك .

وهذا لايعني أن الخازن ــ رحمه الله ــ إقتصر علي ماسبق من إستعراض أقوال العلماء في الناسخ والمنسوخ بدون ترجيح أو تأييد لبعض الأراء ، لا بل هو أحياناً يهتم بذكر الأقوال ومن ثم يعمد إلي تصحيح أو تأييد بعضها علي بعض مع الإستدلال الشرعي لكل ذلك .

مثال (3)

قال تعالى : (إنَ الْذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ إليتَامَىَ ظُلْماً إنْمَا يَأكَلُونَ فِي بُطُونَهَمَّ نَاراً وَسَيُصْلَونَ سَعِيراً)[3] فقال الخازن في هذه الآية بعد أن ذكر سبب نزولها وشرح معنيها : وقد توهم بعضم أن قوله : (وإن تُخَالِطُوهُم)[4] ناسخ لهذه الآية ، وهذا غلط ممن توهمه لان هذه الآية واردة في المنع من أكل مال إليتامى ظلماً وهذا لايصير منسوخاً لأن أكل مال إليتيم بغير حق من أعظم

[1]) صحيح مسلم 802/2 ، فدية بقوله : فمن شهد منكم الشهر ، حديث رقم 1145 ، الطبعة السابقة ، تحقيق فؤاد عبدالباقي .
[2]) تفسير الخازن ، 111/1 .
[3]) النساء الآية (10) .
[4]) سورة البقرة ، الآية (220) .

الأثام وقوله : وإن تُخالِطُوهم فإخوانكم وارد علي سبيل الإصلاح في أموال إليتامى والإحسان إليهم وهو من أعظم القرب .[1]

مثال (4)

وكذلك في قوله تعالى : (فإن جَاؤوكَ فَأحْكُمْ بَيْنَهُمْ أوِ أعْرَضْ عَنْهُمْ وَإنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُوكَ شَيْئاَ)[2]

ذكر الخازن بعد تفسيره هذه الآية فصلاً في حكم هذه الآية قال فيه : إختلف علماء التفسير في حكم هذه الآية علي قولين :

أحدهما : أنها منسوخة وذلك لأن أهل الكتاب كانوا إذا ترافعوا إلي النبي صلى الله عليه وسلم كان مخيراً فإن شاء حكم بينهم ، وإن شاء أعرض عنهم ثم نسخ ذلك بقوله تعالى : (وَأَنْ أَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَآ أَنْزَلَ اَللهُ)[3] فلزمه الحكم بينهم وزال التخيير وهذا القول مروي عن إبن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والسدي .

القول الثاني : أنها محكمة وحكام المسلمين بالخيار إذا ترافعوا إليهم فإن شاؤوا حكموا بينهم وإن شاؤوا أعرضوا عنهم وهذا القول مروي عن الحسن والشعبي والنخعي والزهري وبه قال أحمد ثم قال : لأنه لا منافاة بين الآيتين .

أما قوله (فَأحْكُمْ بَيْنَهُمْ أوِ أعْرَضْ)[4] ففيه التخيير بين الحكم والإعراض . وأما قوله : (وَأَنْ أَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَآ أَنْزَلَ اَللهُ) [5] ففيه كيفية الحكم إذا حكم بينهم .[6]

فالشيخ ــ رحمه الله ــ في هذه الآية ذكر أقوال العلماء وخلافهم حولها بين قائل بالنسخ ، وبين قائل بإحكامها ثم إنه رحمه الله عمد إلي الجمع بين الآيتين فكأنه يرى القول بإحكامها .

والباحث يرى ما إرتضاه الشيخ حول الخلاف في هذه الآية ، فهو قد عمد إلي الجمع ، وحيث أنه يمكن الجمع فلا نسخ ، لآن أبرز شروط النسخ أنه لايكمن الجمع بين الأيتين ، فإذا أمكن الجمع بين الأيتين فلا نسخ .

---

[1]) تفسير الخازن 346/1 .
[2]) سورة المائدة (42) .
[3]) سورة المائدة الآية (49)
[4]) سورة المائدة الآية (42)
[5]) سورة المائدة الآية (49)
[6]) تفسير الخازن 46/2 .

و وجدت الشيخ الخازن ـ رحمه الله ـ في بعض الأمثلة يذكر أقوال العلماء ، وإختلافهم في الآية من كونها محكمة أو منسوخة ثم يعمد إلي ترجيح رأي له ويستدل لذلك بإجماع العلماء .

مثاله : قوله تعالى :

(يَاَ أَيُهَاَ الَذِينَ أَمَنُوا لاَ تَحِلُوا شَعَائِرِ اللهِ وَلاَ الشَهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الهَدْيَ وَلاَ القَلاَئِدِ وَلَا آمِينَ اَلْبَيْتِ اَلحَرَامَ)[1]

ذكر الخازن بعد تفسيره هذه الآية فصلاً قال فيه :

إختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية فقال قوم : هذه الآية منسوخة إلي هاهنا لأن قوله تعالى : (لاَ تَحِلُوا شَعَائِرِ اللهِ وَلاَ الشَهْرَ الْحَرَامَ)[2] يقتضي حرمة القتل في الشهر الحرام وفي الحرم وذلك منسوخ بقوله تعالى : (فَأَقْتُلُوا اَلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ)[3] فلا يجوز أن يحج مشرك ولا يأمن بالهدي والقلائد كافر وهذا قول إبن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وأكثر المفسرين .

قال الشعبي : لم ينسخ من سورة المائدة إلا هذه الآية ، وقيل : المنسوخ منها قوله (وَلَاَ آمِينَ اَلْبَيْتِ اَلْحَرَامَ)[4])[4] نسختها أية (فَأَقْتُلُوا اَلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ)[5] وقوله (فَلَاَ يَقْرَبُوا اَلْمَسْجِدِ اَلْحَرَامَ بَعْدِ عَامِهِمْ هَذَاَ)[6] هذا هذا وقال بن عباس : كان المؤمنين والمشركون يحبون البيت جميعاً فنهى الله المؤمنين أن يمنعوا أحداً أن يحج البيت أو يتعرضوا له من مؤمن أو كافر ثم أنزل الله بعد هذا (يَاَ أَيُهَاَ الْذِينَ أَمَنُوا إنْماَ المُشْرِكُونَ نَجْسُ فَلَاَ يَقْرَبُواَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدِ عَامِهِمْ هَذَاَ)[7] ، وقال أخرون : لم ينسخ من ذلك شيء سوى القلائد التي كانت كانت في الجاهلية يتقلدونها من لحاء شجر الحرم ، وقال الواحدي : وذهب جماعة إلي أنه لا منسوخ في هذه السورة وأن هذه الآية محكمة قالوا : ماندبنا إلي أن نخيف من يقصد بيته من أهل شريعتنا في الشهر الحرام ولا في غيره وفصل الشهر الحرام من غيره بالذكر تعظيماً وتفضيلاً وحرم علينا أخذ الهدي من المهدين وصرفه عن بلوغ محله وحرم علينا القلائد التي كانوا يفعلونها في الجاهليية وهذا غير مقبول .[8]

ثم إنه بعد ذلك رجح رأي من يقول بالنسخ مستدلاً بإجماع العلماء فقال : والظاهر ماعليه جمهور العلماء من نسخ هذه الآية لإجماع العلماء ، علي أن الله عز وجل قد أحل قتال أهل الشرك في الأشهر الحرم وغيرها .

وكذلك أجمعوا علي أن المشرك لو قلد عنقه وذراعه جميع لحاء الشجر لم يكن ذلك له أماناً من القتل إذا لم يكن قد تقدم له عهد ذمه أو أمان ، وكذلك أجمعوا علي منع من قصد البيت بحج أو عمرة من المشركين لقوله تعالى : (إنْماَ المُشْرِكُونَ نَجْسُ فَلَاَ يَقْرَبُواَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدِ عَامِهِمْ هَذَاَ)[9] .

---

[1]) سورة المائدة الآية (2) .
[2]) سورة المائدة الآية (2) .
[3]) سورة التوبة الآية (5) .
[4]) سورة المائدة الآية (2) .
[5]) سورة التوبة الآية (5) .
[6]) سورة التوبة الآية (28)
[7]) سورة التوبة الآية (28) .
[8]) تفسير الخازن 6/2 .
[9]) سورة التوبة الآية (28) ، تفسير الخازن 6/2 .

المطلب الأول

تعريف المحكم والمتشابه

المحكم في اللغة : الصرف والمنع والإصلاح ، ومنه : حكمة الفرس وهي الحديدة التي تمنع عن الجموح ، ومنه الحكيم لأنه يمنع نفسه ويصرفها عن هواها .

والإحكام : الإتقان أيضاً ، ومنه قوله تعالى : (أُحْكِمَتْ أيَاتِهِ)[1] أي : منعت وحفظت عن الغلط الغلط والكذب والباطل والخطأ والتناغض ، ومنه إسم (الحكيم) أي العالم صاحب الحكمة والمتقن للإمور ، ومعنى (الحكيم) في الله بخلاف معناه إذا وصف به غيره ، ومن هذا الوجه قال تعالى : (أليسَ اَللهُ بَأحْكَمَ اَلْحَاكِمِيْنَ)[2] . والحكم أيضاً البت والقطع عن الإطلاق [3] ويبدو لنا من هذا النص اللغوي لمعني الكلمة وهو الصرف والمنع للإصلاح ، ثم كيف تصرفت إلي معنى (الإتقان) ومعني (البت والقطع) وهي معاني يترتب بعضها علي بعض ويستلزم بعضها بعضاً .

وقال صاحب لسان العرب : (العرب تقول : حكمت ، وأحكمت ، وحكمت ، بمعنى : منعت ورددت . ومن هذا قيل للحاكم بين الناس : حاكم ، لأنه يمنع الظالم من الظلم . قال : ومنها سميت (حكمت اللجام) لأنها ترد الدابة . [4] وهذا يعني أن مادة (حكم) في الفعل الثلاثي المجرد ، والرباعي المزيد بالهمزة أو التضعيف ، كلها تفيد معنى وأحد . ومن هنا جاء في اللسان : (وقال بعضهم في قول الله تعالى : (آلر تِلْكَ آيَاتُ الْكتَابِ الْحَكِيمِ)[5] إنه فعيل بمعنى مفعل وإستدل بقوله تعالى : (آلر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ أيَاتُهُ)[6] ، قال الأزهري : وهذا ــ إن شاءالله كما كما قيل ــ والقرآن يوضح بعضه بعضاً .

قال : وإنما جوزنا ذلك وصوبناه ، لأن (حكمت) يكون بمعنى (أحكمت) فرد إلي الأصل ، وحكم الشيء وأحكمه ــ كلاهما منعهم من الفساد .[7] وجاء في اللسان أيضاً : (وفي الحديث ــ

---

[1]) سورة هود الآية (1) .
[2]) سورة التين الايه (8) .
[3]) الكليات لأبو البلقاء ، 219/2 ــ 220 .
[4]) لسان العرب ، 141/12 ، ط ، صادرة .
[5]) سورة يونس الآية (1)
[6]) سورة هود الآية (1) .
[7]) لسان العرب : 143/12 .

ــ في صفة القرآ ن ــ وهو الذكر الحكيم أي: الحاكم ، لكم وعليكم ، أو هو المحكم الذي لأ إختلاف فيه ولا إضطراب .[1]

ونستنتج مما سبق أن القرآنسُمِيَ محكماً ، لأن الله أحكمه ، أي جعله متضمناً للحكمة ، وما كان كذلك كان بعيداً عن الإختلاف وعن الإضطراب (وَلوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرَ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إخْتِلافاً كَثِيراً)[2] وماكان كذلك كان ممنوعاً من وصول الفساد إليه (لاَّ يْأتِيهِ الْبَاطِلْ مِنْ بَينَ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلِ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)[3] .

المتشابه في اللغة :

قال صاحب (لسان العرب) الشبه ، والشبه ، والشبيه : المِثْلُ . والجمع : أشباه .

وأشبه الشيء الشيء : ماثله . وأشبهت فلاناً وشابهته . وإشتبه علي ، وتشابه الشبان . وأشتبها : أشبه كل وأحد منهما صاحبه .. والمشتبهات من الأمور : المشكلات . والمتشابهات : المتماثلات والشبهة : الإلتباس . وإمور مشتبها : مشكلة يشبه بعضها بعضاً [4] وقال إبن قتيبة : وأصل التشابه : أن يشبه اللفظ اللفظ في الظاهر ، والمعنيان مختلفان قال تعالى : (وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً)[5] ، أي : متفق المناظر مختلف الطعوم . وقال تعالى : (تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمُ)[6] ، أي : يشبه بعضها بعضاً في الكفر والقسوة ومنه يقال : إشتبه علي الأمر ، إذا أشبه غيره فلم تكد تفرق بينهما ، وشبهت علي : إذا لبست الحق بالباطل . ثم قد يقال لكل ماغمض ودق : متشابه ، وإن لم تقع الحيرة فيه من جه الشبه بغيره ، إلا ترى أنه قد قيل للحروف المقطعة في أوائل السور : متشابه ، وليس الشك فيها والوقوف عندها لمشاكلتها غيرها وإلتباسها بها [7]

ويرى إبن كيسان أنه سمي متشابهاً لأحتمال أن يشبه اللفظ اللفظ ويختلط المعني ، أو يشتبه المعنيان ويختلف اللفظ ، أو يشتبه الفعل من الأمر والنهي ، فيكون هذا نحو الناسخ والنمسوخ [8] .

---

[1]) المصدر السابق 141/12 .
[2]) سورة النساء الآية (82) .
[3]) سورة فصلت الآية (42) .
[4]) لسان العرب : 503/13 ــ 504 .
[5]) سورة البقرة الآية (25) .
[6]) سورة البقرة الآية (118) .
[7]) تأويل مشكل القرآن 101 ــ 102 .
[8]) نقلاً عن معاني القرآن للنحاس ، ص ، 35 .

ولقد وصفت أيات القرآن الكريم كلها بالأحكام في قوله تعالى : (آلر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ أيَاتُهُ ثُمَ فُصِلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) [1] كما وصف الكتاب الكريم بالتشابه في قوله تعالى : (اللهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابَاً مُتَشَابِهَاً مَثَانِي)[2] وفي الآية السابقة من سورة آل عمرآن ذكر إنقسام آيات القرآن الكريم إلي محكم ومتشابه فقال : (هُوَ الْذِي أنْزَلَ عَلَيكَ الكِتَابَ مِنْهُ أيَاتٍ مُحْكَمَاتٍ هُنَ أُمُ الْكِتَابِ وَأُخَرَ مُتَشَابِهَاتٌ)[3] وبناءً علي هذا فلابد لنا أن نبين معنى الإحكام العام الذي جاء في قوله : (كِتَابُ أُحْكِمَتْ أيَاتُهُ) وما يقابله من التشابه العام الوارد في قوله : (كِتَابَاً مُتَشَابِهَاً) .

معنى الإحكام العام :

لقد وصفت أية سورة هود كل أيات الإحكام بالإحكام (كِتَابُ أُحْكِمَتْ أيَاتُهُ ثُمَ فُصِلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) [4] ومعني (أُحْكِمَتْ أيَاتُهُ) ، أي : جعلت موافقة لمقتضى الحكمة وكما يشير إلي ذلك في قوله تعالى : (آلر تِلْكَ آيَاتُ الْكتَابِ الْحَكِيمِ)[5] حيث وصف الكتاب كله بالحكمة . وأما تفصيل أياته : تميز بعضها من بعض بالبيان [6] ومما يؤيد هذه المعاني قوله في أخر الآية : : (مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) [7] حيث يرجع وصف آيات الكتاب بالإحكام إلي ماوصف الله به نفسه من كونه (حكيماً) و وصفها بالتفصيل إلي ما وصف الله به نفسه من كونه (خبيراً) .

وبناءً علي هذا فإن لفظ (أحكمت) في الآية يدل علي أن أيات القرآن كلها محكمة لأنها متضمنه للحكمة كما يوصف القرآن بأنه (حكيم) لأنه ذو حكمة فالكلمتان (محكم) و(حكيم) ، علي هذا بمعنى إسم مفعول .

ويرى إبن تيمية أن (المحكم) و(الحكيم) يمكن أن يكونا إسم الفاعل ، حيث يقول : والحكم : هو الفصل بين الشيئين ، فالحاكم يفصل بين الخصمين ، والحكم فصل بين المتشابهات علماً وعملاً إذا ميز بين الحق والباطل والصدق والكذب والنافع والضار ، وذلك يتضمن فعلً نافع وترك الضار ، فيقال : حكمت السفيه وأحكمته ، إذا أخذت علي يديه ، وأحكمت الدابة وأحكمتها إذا جعلت لها حكمة ـ وهو ما أحاط بالحنك من اللجام ـ وإحكام الشيء : إتقانه ، فإحكام الكلام إتقانه ـ بتمييز الصدق من الكذب من أخباره وتمييز الرشد من الغي في أوامره والقرآن كله محكم بمعنى (الإتقان) فقد سماه الله حكيماً بقوله : (آلر تِلْكَ آيَاتُ الْكتَابِ الْحَكِيمِ)[8]

---

[1]) سورة هود الآية (1) .
[2]) سورة الزمر الآية (23) .
[3]) سورة آل عمرآن الآية (7) .
[4]) سورة هود الآية (1) .
[5]) سورة يونس الآية (1)
[6]) لقد بين الإمام الفراهي الفرق بين الإحكام والتفصيل ، والحكمة من كونه تفصيل بعد الإحكام حيث قال : فالإحكام يدل علي حكمة القائل وعرفته بالإصول وحقائق الامور ، جمرة البلاغة للمام الفراهي ، ص 8 .
[7]) سورة هود الآية (1) .
[8]) سورة يونس الآية (1)

فالحكيم بمعنى الحاكم كما جعله يقص بقوله : (إِنْ هَذَا القرآن يَقُصُ عَلَي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الْذي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)[1] وجعله مفتياً في قوله تعالى : (قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَ وَمايُتْلَىَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ)[2] أي : مايتلى عليكم يفتيكم فيهن ، وجعله هدياً ومبشراً في قوله تعالى : (إِنَ هَذَا القرآن يَهْدِي للتَي هِي أَقْوم وَيُبَشِر الْمُؤمِنِينِ الْذِنَ يعْمَلُونَ الْصَالِحَاتْ)[3] وعلي هذا فالمحكم بمعنى الحاكم ووصف القرآن بذلك لأنه الحاكم بين الخصوم فيما إختلفوا فيه ، ولأنه الفاصل بين المتشابهات علماً وعملاً المميز بين الحق والباطل والصدق والكذب والنافع الضار.

معنى التشابه العام :

ويقابل الإحكام العام الذي سبق بيانه التشابه العام وهو الوارد في قوله تعالى : (اللهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابَاً مُتَشَابِهَاً مَثَانِي تَقْشَعر مِنْهُ جُلُدُ الْذينَ يَخْشُونَ رَبَهُمْ)[4] وقد قال القرطبي في معني (مُتَشَابِهاً) : يشبه بعضه بعضاً في الحسن والحكمة ويصدق بعضه بعضاً ، ليس فيه تناقض ولا إختلاف .[5] وعلي هذا يكون التشابه هنا بمعنى التماثل النافي للإختلاف والتضاد وهذا مايؤكده إبن تيمية حيث يقول : وأما التشابة الذي يعمه ــ أي القرآن ــ فهو ضد الإختلاف المنفي عنه في قوله (وَلوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرَ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إِخْتِلافاً كَثِيراً)[6] . وهو الإختلاف المذكور في قوله : (إِنَكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِف * يُؤفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ)[7] ويزيد إبن تيمية معنى هذا التشابه وضوحاً فيقول : فالتشابه هنا هو تماثل الكلام وتناسبه ، بحيث يصدق بعضه بعضاً فإذا أمر بأمر لم يأمر بنقيضه في موضع أخر بل ينهي عنه أو عن نظيره أو عن ملزوماته ، وإذا لم يكن هنالك نسخ .

كذلك إذا أخبر بثبوت شيء لم يخبر بنغيض ذلك ، بل يخبر بثبوته أو بثبوت ملزوماته ، وإذا أخبر بنفي شيء لم يثبته ، بل ينفيه أو ينفي لوازمه ، بخلاف القول المختلف الذي ينقض بعضه بعضاً فيثبت الشيء تارة وينفيه أخرى أو يأمر به وينهي عنه في وقت وأحد ويفرق بين المتماثلين فيمدح إحداهما ويذم الأخر ، فالأقوال المختلفة هنا : هي المتضادة ، والمتشابهة هي

---

[1]) سورة النمل الآية (76) .
[2]) سورة النساء الآية (127) .
[3]) سورة الاسراء الآية (9)
[4]) سورة الزمر الآية (23) .
[5]) تفسير القرطبي ، 249/15 .
[6]) سورة النساء الآية (82) .
[7]) سورة الذاريات الآيات (8–9) .

المتوافقة ، وهذا التشابة يكون في المعاني وإن إختلفت الألفاظ ، فإذا كانت المعاني يوافق بعضها بعضاً كان الكلام متشابهاً بخلاف الكلام الذي يضاد بعضه بعضاً[1] .

فهذا التشابه العام لا ينافي الإحكام العام بل هو مصدق له ، فإن الكلام المحكم المتقن يصدق بعضه بعضاً ، ولا يناقض بعضه بعضاً .

[1]) مجموع الفتاوي لأبن تيمية 21/3 ــ 62 .

المطلب الثاني

مذاهب العلماء في تفسير المحكم والمتشابه

ذكر الطبري في تفسيره خمسة أقوال في معنى المحكم والمتشابه ، كما ذكر غيره أقوالاً أُخر زيادة علي ما جاء عند الطبري ، وسنبداء أولاً بدراسة الأقوال التي جاء بها الطبري ثم ننتقل إلي الزيادات التي وردت في المصادر الأخر .

القول الأول : المحكم هو الناسخ ، والمتشابه هو المنسوخ . وقد عبر عنه الطبري بقوله : قاله بعضهم : المحكمات من أي القرآن ، المعمول بهن وهن الناسخات والمثبتات الاحكام ... والنتشابهات من آية : المتروك العمل بهن المنسوخات . ثم يذكر الروايات التي تدور حول هذا المعنى ويبدأؤها برواية عن إبن العباس يقول فيها قوله : (قُلْ تَعَالوَاَ أَتْلُ مَاحَرَمَ رَبُكُمُ عَلَيْكُمْ)[1] إلي ثلاث آيات ، والتي في بني إسرائيل (وَقَضَى رَبُكَ إلا تَعْبُدُواَ إلا إِيَاهُ) [2] إلي أخر الآيات [3]

أما الرواية الثانية : فهي أيضاً عن إبن عباس حيث يقول فيها : المحكمات : ناسخة وحلالها وحرامها وحدودها وفرائضها ومايؤمن به ويعمل به ، والمتشابهات منسوخة ومقدمة ومؤخرة أمثالها وأقسامها وما يؤمن به ولا يعمل به .[4]

والرواية الثالثة : عن إبن عباس أيضاً المحكمات التي هي أم الكتاب : الناسخ الذي يدان به ويعمل به ، والمتشابهات هن المنسوخات التي لا يدان بهن .[5]

ثم يذكر روايات أخرى لا تخرج عن معناها عن الروايات السابقة ، عن كل من قتادة والربيع والضحاك بن مزاحم إلا أن ماورد عن الضحاك في المحكم مرة جاء بلفظ (مالم ينسخ) ومرة جاء بلفظ (الناسخ) .[6]

وإستكمالاً لماروي عن إبن عباس فقد أورد الطبري في معرض تفسيره قوله تعالى : (وَمَنْ يُوتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَاَ خَيْراً كَثْيراً)[7] ، قول إبن عباس في معنى الحكمة حيث قال : المعرفة بالقرآن : ناسخة ومنسوخة ومحكمة ومتشابها ومقدمة ومؤخرة وحلالة وحرامة وأمثالة .[1]

---

[1]) سورة الانعام الآية (15) .
[2]) سورة الإسراء الآية (23) .
[3]) تفسير الطبري : 147/6 ، أنظر الدر المنثور : 4/2، المسند له 317/2 . إبن كثير 353/3 .
[4]) أنظر : إبن كثير في تفسيره 4/2 .
[5]) تفسير الطبري ، الاستاذ محمد شاكر : 263/1 ، 264 .
[6]) أنظر هذه الروايات في تفسير الطبري : 175/6 – 176 .
[7]) سورة البقرة الآية (269) .

هذه هي الروايات التي رويت في القول الأول من معاني المحكم والمتشابه الذي يفسر المحكم بالناسخ والمتشابه بالمنسوخ .

القول الثاني : المحكم هو الحلال والحرام ، والمتشابه ماتشابهت معانية وأختلفت ألفاظه .

وقد عبر عنه الطبري بقوله : وقال أخرون : المحكمات من أي الكتاب ، وما أحكم الله في بيان حلاله وحرامه والمتشابه منها ، ما أشبه بعضه بعضاً في المعاتني وإن إختلفت ألفاظه .

ثم ذكر الطبري في هذا القول الروايات التالية عن مجاهد :

حدثني محمد بن عمرو قال : حدثنا أبو عاصم عن عيسى بن أبي نجيح عن مجاهد في قوله : (مِنْهُ آيَاتٍ مُحْكَمَاتٍ) : مافيه من الحلال والحرام ، وماسوى ذلك فهو متشابه بصدق بعضها بعضاً ، وهو مثل قوله تعالى : (وَمَايُضِلُ بِهِ إلا الْفَاسِقِينَ)[2] ومثل قوله :

(كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الْرِجْسَ عَلَي اَلْذِينَ لاَ يُؤمِنُونَ)[3] ومثله قوله تعالى : (وَاَلْذينِ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدَىَ وَأَتاهُمْ تَقْواَهُمْ)[4]

ـ حدثني المثنى قال حدثنا أبو حزيفة قال: حدثنا شيل بن أبي نجيح عن مجاهد مثله .[5]

أما السسيوطي في الدر المنثور فقد ذكر إضافة لما روي عن مجاهد الروايتين التاليتين :

ـ وأخرج عبيد بن حميد عن إبن عباس قال : المحكمات : الحلال والحرام .

ـ وأخرج إبن أبي حاتم عن الربيع قال : المحكمات : هي الأمِرَة الزاجرة .[6]

القول الثالث :

المحكم : مالم يحتمل من التأويل غير وجه واحد .

والمتشابه : ما إحتمل أوجهاً .

---

[1]) تفسير الطبري : 576/5 .
[2]) سورة البقرة الآية (26) .
[3]) سورة الانعام الآية (125) .
[4]) سورة محمد الآية (17) .
[5]) الطبري :176/6 ، 177 .
[6]) الدر المنثور السيوطي 4/2 .

وقد عبر عنه الطبري بقوله : قال أخرون : المحكمات من أي الكتاب : مالم يحتمل من التأويل غير وجه وأحد ، والمتشابه منها : ما إحتمل من التأويل أوجهاً .

ثم ذكر الطبري في هذا المعنى الرواية التالية حدثنا إبن حميد قال : حدثنا سلمة بن إسحق قال : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير : (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه أيات محكمات) : فيهنَ حُجة الرب وعصمة العباد ، ودفع الخصوم والباطل ، ليس لها تصرف ولا تحريف عما وضعت عليه . (وَأخر مُتَشَابِهَاتُ) في الصدق لهن تصريف وتحريف وتأويل إبتلى الله فيهن العباد كما إبتلاهم في

الحلال والحرام لأ يصرفن إلي الباطل ولا يحرفن معنى الحق .[1]

وقال مكي بن أبي طالب القيسي في تفسيره : وأهل المعاني علي أن المحكم : ماقام بنفسه ، وفهم في ظاهره لفظه ولم يحتمل إلا ذلك ، والمتشابه : مايحتاج إلي تأويل وتفسير ويحتمل المعاني .[2]

وقال الجصاص في تسويغ إعتبار هذا القول أحد وجوه المحكم المتشابه : إن المحكم من هذا القسم سمي محكماً لإحكام دلالته ، وإضاح معناه وإبانته ، والمتشابه منه سمي بذلك لأنه أشبه المحكم من وجه وإحتمل معناه وأشبه غيره مما يخالف معناهُ معنى وجه المحكم فسمي متشابهاً من هذا الوجه .[3]

ونلاحظ علي هذا القول أنه ليس بعيداً من القول الذي سبقه ، لأن المحكم لا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً ، إنما كان كذلك لأنه مبين مفصل من الله سبحانه وتعالى ، ولا مجال فيه للإجتهادات وذلك بخلاف المتشابه الذي تختلف فيه الأقوال لأحتماله المعاني المتعدده .

ويقول الطبري في تعريفه للمتشابه : وأما قوله : متشابهات : فإن معناهو : متشابهات في التلاوة مختلفات في المعنى ، كما قال جل ثناؤه : (وَأَتُوُا بِهِ مُتَشَابِهَاً)[4] ، يعني في المنظر ، مختلفاً في الطعم ، وكما قال مخبراً عَمَنْ أخبر عنه من بني إسرائيل أنه قال : (إِنْ اَلْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا)[5] يعنون بذلك : تشابه علينا في الصفة ، وإن إختلفت أنواعه ، ثم يقول الطبري موجزاً

---

[1]) تفسير الطبري 177/6 ، الدر المنشور : 4/2 .
[2]) الهداية إلي بلوغ النهاية في معاني القرآن ، تفسيره وأحكامه ، وجمل من فنون علومه ، مخطوط الرباط .
[3]) أحكام القرآن للجصاص ، 3/2 .
[4]) سورة البقرة الآية (25) .
[5]) سورة البقرة الآية (70) .

بيان المحكم والمتشابه : فتأويل الكلام إذا : إن الذي لا يخفي عليه شيء في الارض ولا في السماء ، هو الذي أنزل عليك يا محمد القرآن ، منه أيات محكمات بالبيان ، هن أصل الكتاب الذي عليه عمادك وعماد أمتك في الدين وإلي ه مفزعك ومفزعهم فيما إفترضت عليك وعليهم من شرائع الإسلام ، وايات أخر هن متشابهات في التلاوة مختلفات في المعاني .[1]

القول الرابع :

المحكم : المفصل من قصص الامم ورسلهم ، والمتشابه : ما إشتبهت الالفاظ به من قصصهم عند التكرير في السورة ، وقد عبر عنه الطبري في تفسيره بقوله : وقال آخرون : المحكم ما أحكم الله فيه من أي القرآن ، وقصص الأمم ورسلهم الذين أرسلو إلي هم ، ففصله ببيانه ذلك لمحمد وأمته .

والمتشابه : هو مأ إشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير في السور ، بقصة بإتفاق الألفاظ وإختلاف المعاني ، وبقصة بأختلاف الألفاظ وإتفاق المعاني .[2]

وقال الجصاص معللاً جواز إعتبار هذا القول من المحكم والمتشابه : فإن إشتباه هذا من جهة وجه الحكمة فيه علي السامع وهذا السايغ عام في جميع مايشتبه فيه وجه الحكمة فيه علي السامع إلي أن يتبينه ويتضح له وجهه فهذا مما يجوز فيه إطلاق إسم المتشابه ، وما لا يشتبه فيه وجه الحكمة علي السامع فهو المحكم الذي لا تشابه فيه علي قول هذا القائل ، فهذا أيضاً أحد وجوه المحكم والمتشابه وإطلاق الإسم فيه سائغ جائز .[3]

ونلاحظ علي هذا القول أنه أقرب لأن يكون في عداد مايسمى بالمتشابه اللفظي الذي خصه بعض العلماء بمؤلفات خاصة كالخطيب الإسكافي[4] ، (في درة التنزيل وغرة التأويل) ، والكرماني [5] في كتابه (برهان القرآن لمافيه من الحجة والبيان) وأكثر مايكون هذا النوع من المتشابه في القصص كما ذكر ذلك الزركشي في (برهانه) والسيوطي في (إتقانه)

القول الخامس :

المحكم : ماعرف تأويله والمتشابه : ما لا يعلم تأويله .

---

[1]) تفسير الطبري : 174/6 .
[2]) تفسير الطبري : 178/6 – 179 .
[3]) أحكام القرآن للجصاص : 3/2 .
[4]) هو محمد بن عبدالله الاسكافي أبو عبدالله ، عالم بالاداب واللغة ، توفي سنة 420هـ ، الاعلام للزركشي 227/6 .
[5]) هو أحمد بن عبدالله الكرماني ، فقيه حنفي إنتهت إليهِ رأسة المذهب بخرسان ، توفي سنة 543هـ الاعلام للزركشي 327/3 .

وقد أفاض الطبري في شرح هذا القول ونصره وترجيحه بقوله : وقال أخرون : بل المحكم من أي القرآن: ماعرف العلماء تأويله وفهموا معناه وتفسيره ، والمتشابه : مالم يكن أحد إلي علمه سبيل ، مما إستأثر الله بعلمه دون خلقه ، وذلك نحو الخبر عن وقت مخرج عيسى بن مريم ، و وقت طلوع الشمس من مغربها ، وقيام الساعة ، وفناء الدنيا ، وما أشبه ذلك فإن ذلك لا يعلمه أحد ، وقالوا : إنما سمي الله من أي الكتاب (المتشابه) الحروف المقطعه التي في أوائل بعض سور القرآن ، من نحو (الَمَ)[1] و (الَمَصَ)[2] و (الَمَر)[3] و (آلر)[4] وماشابه ذلك ، لآنهما متشابهات في الألفاظ وموافقات حروف حساب الجمل ، وكان قوم من اليهود علي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم طمعوا أن يدركوا من قبلها معرفة مدى الإسلام وأهله ، ويعلموا نهاية أجل محمد وأمته ، فأكذب اللهُ أحدوثتهم بذلك ، وأعلمهم أن ما إبتغوا علمهم من ذلك من قبل هذه الحروف المتشابها لا يدركونه ولا من قبل غيرها وأن ذلك لا يعلمه إلا الله .[5]

ونلاحظ علي هذا القول :

أ . أن إطلاق إسم المحكم والمتشابه سائغ فيه لأن ماعلم وقته ومعناهُ فلا تشابه فيه وأحكمه بيانه ، ومالا يعلم تأويله ومعناه ووقته فهو مشتبه علي سامعه .[6]

ب . أن يفسر المتشابه بما إستأثر الله تعالى بعلمه وذلك إعتماداً منهم علي قوله تعالى : (وَمَايَعْلَمُ تَأْوِيْلَهُ إلا اللهُ) وقد مثلوا لذلك بأمثله ، كالخبر عن مخرج عيسى ، و وقت طلوع الشمس من مغربها ، وقيام الساعة .

ج . أن مما يدخل تحت المتشابه الذي إستأثر الله بعلمه الحرف المقطعة في أوائل السور ، لأنهن متشابهات في الألفاظ ، وموافقات حروف حساب الجمل الذي حاول اليهود معرفة أجل أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

القول الثالث :

المحكم : ما كان معقول المعني ، والمتشابه بخلافه ، يقول الماوردي : المحكم ما كان معقول المعني ، والمتشابه بخلافه كأعداد الصلوات ، إختصاص الصيام برمضان دون شعبان .[7]

---

[1]) سورة البقرة الأية (1)
[2]) سورة الآعراف الآية (1)
[3]) سورة الرعد الأية (1)
[4]) سورة يونس الأية (1)
[5]) تفسير الطبري 179/6 ــ 182 .
[6]) أحكام القرآن للجصاص : 3/2 .
[7]) النكت والعيون للماوردي ، ط 1 ، دار الكتب المصرية 216/1 ، بدون تاريخ .

والملاحظ أن ماذكره الجصاص في القول الرابع ينطبق علي هذا القول أيضاً حيث يقول الجصاص معللاً جواز إعتبار مثل هذا القول من المحكم والمتشابه : فإن إشتباه هذا من جهة إشتباه وجه الحكمة فيه علي السامع ، وهذا سائغ عام في جميع مايشتبه فيه وجه الحكمة فهذا مما يجوز فيه إطلاق إسم المتشابه ، ومالا يشتبه وجه الحكمة فيه علي السامع فهو المحكم الذي لا تشابه فيه علي قول هذا القائل ، فهذا أيضاً أحد وجوه المحكم والمتشابه وإطلاق الإسم فيه سائغ جائز ،[1] وقد أورد الجصاص هذا التعليل فيما يتصل بما أحكم الله من قصص الأمم ورسلهم وما أشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرار في السور ، ومع ذلك فقد جعلهم عاماً في كل مايتشبه فيه وجه الحكمة بقوله : وهذا سائغ عام في جميع مايشتبه فيه وجه الحكمة فيه علي السامع إلي أن يتنبه ويتضح له وجهه .

ولا شك أن إشتباه وجه الحكمة علي السامع فيما تكررت به الألفاظ من قصص الأنبياء أمر نسبي فقد تشتبه علي بعض الناس ، ولا تشتبه علي البعض الأخر ، بل قد تشتبه علي السامع في وقت أخر نتيجه التدبر وإمعان النظر ، وهذا يختلف من إنسان لأخر ومن وقت إلي وقت .

ولا شك أن لهذا القول وجاهة ظاهرة ، ويمكن أن نجد له مستنداً قوياً فيما سبق أن بيناه أن القرآن الكريم وصفت أياته بالإحكام لأنها جعلت موافقة لمقتضى الحكمة (كِتَابُ أُحْكِمَتْ أيَاتُهُ ثُمَ فُصِلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) [2] وأكد المعنى بقوله تعالى : (مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) [3] حيث يرجع يرجع وصف الآيات كلها بالإحكام إلي أنها صدرت من الله الحكيم و وصفها بالتفصيل إلي أنها صدرت من الله الخبير ، ولا شك أن أيات القرآن كلها قائمة علي الحكمة ومتضمنة لها .

إلا أن هذه الآيات منها ماهو ظاهر وجه الحكمة بالنص أو بالإستنباط ومنها ماهو خبيء مكنون لم ينص عليه ولا يمكن إستنباطه فيشتبه وجه الحكمة فيه علي الناس وإليه الإشارة بقوله تعالى : (هُوَ الْذِي أنْزَلَ عَلَيكَ الكِتَابَ مِنْهُ أيَاتٍ مُحْكَمَاتٍ هُنَ أُمُ الْكِتَابِ وَأخر مُتَشَابِهَاتٌ)[4] وعلي هذا فالآيات المحكمات ، هي الظاهر فيها وجه الحكمة بالنص أو الإستنباط وهي أم الكتاب أي : أصله ومعظمه ، والآيات المتشابهات ، هي التي يشتبه فيها وجه الحكمه لعدم ظهوره بالنص أو الإستنباط .

---

[1]) أحكام القرآن للجصاص ، 3/2 .
[2]) سورة هود الآية (1) .
[3]) سورة هود الآية (1) .
[4]) سورة آل عمرآن الآية (7) .

المطلب الثالث

منهج الخازن في المحكم والمتشابه

وقف الخازن ـ رحمه الله ـ وقفة طويلة عند قوله تعالى : (هُوَ الْذِي أَنْزَلَ عَلَيكَ الكِتَابَ مِنْهُ أيَاتٍ مُحْكَمَاتٍ هُنَ أُمُ الْكِتَابِ وَأُخَرَ مُتَشَابِهَاتٌ فَأماَ اَلْذِينَ فِي قُلُوبِهُمُ زَيْغُ فَيَتَبِعُونَ مَاتَشَابَهَ مِنْهُ إبْتَغَاءِ اَلْفِتْنَةُ وَإبْتِغَاءِ تَأوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأوِيلِهِ إلا اللهُ وَاَلْرَاسِخُونَ فِي اَلْعِلْمِ ...)[1] ونجده يذكر كل مايعني المحكم والمتشابه من التعريف وخلاف العلماء فيه ، والخوض فيه ونحو ذلك ، علي هيئة عرض موسع مع عدم الترتيب ، فأحببت أن أبرز الموضوع بشيء من التنسيق والإيجاز لتظهر الصورة واضحة يمكن الإستفادة منها لكل قارئ ومطلع علي هذا البحث .

شرعت في كل ماتعرض له في هذه الآية الكريمة علي شكل نقاط أستخلصتها من تفسيره ، ورتبتها علي غرار ماتعرض له ، في هذا الموضوع .

والنقاط التي إستخلصتها هي مايلي :

1ـ أنه عمد إلي الجمع بين الآيات التي وردت بأن القرآن محكم في مواضع ، ومتشابه في مواضع ، والجمع بين هذه المواضع أحياناً وذلك في قوله تعالى : (مِنْهُ أيَاتٍ مُحْكَمَاتٍ هُنَ أُمُ الْكِتَابِ وَأخر مُتَشَابِهَاَتٌ) [2] .

فقال الخازن : يعني أن لفظ يشبه لفظ غيره ، ومعناه يخالف معناهُ ، ثم قال : فإن قلت : قد جعله هنا محكماً ومتشابهاً وجعله في موضع أخر كله محكماً فقال في أول سورة هود (آلر كِتَابُ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ)[3] جعله في موضع أخر كله متشابهاً فقال تعالى في سورة الزمر : (اللهُ نَزَلَ أَحْسَنَ اَلْحَدِيثَ كِتَابَاً مُتَشَابِهاً)[4] فكيف الجمع بين هذه الآيات؟ قلت حيث جعله كله محكماً أراد أنه كله حق وصدق ليس فيه عبث ولا هزل ، وحيث جعله كله متشابهاً أراد أن بعضه يشبه بعضاً في الحسن والحق والصدق وحيث جعله هنا بعضه محكماً وبعضه متشابهاً فقد إختلفت عبارات العلماء فيه وهو المقصود من النقطه الثانية .

---

[1]) سورة آل عمرآن الآية (7) .
[2]) سورة آل عمرآن الآية (7) .
[3]) سورة هود الأية (1)
[4]) سورة الزمر الأية (23)

2ـ ثم شرع ـ رحمه الله ـ في ذكر أقوال المفسرين والعلماء في المحكم والمتشابه فقال : قال إبن عباس : المحكمات الثلاث أيات التي في أخر سورة الانعام وهي قوله تعالى : (قُلْ تَعَالَوْا أُتْلُ ماَ حَرَمَ رَبُكُمْ عَلَيْكُمْ)[1] ونظيرها في بني إسرائيل (وَقَضَى رَبُكَ إلا تَعْبُدٌ إلا إيْاَهٌ)[2] ، وعنه أن الآيات المحكمة هي الناسخ ، والمتشابهات هي الآيات المنسوخة ، وبه قال إبن مسعود وقتادة والسدي .

وقيل أن المحكمات مافيه أحكام الحلال والحرام ، والمتشابهات ماسوى ذلك ، يشبه بعضه بعضاً ويصدق بعضه بعضاً .

وقيل أن المحكمات ما أطلع الله عباده علي معناه ، والمتشابه ما إستأثر الله بعلمه فلا سبيل لأحد إلي معرفته مثل الخبر عن أشراط الساعة مثل الدجال ، ويأجوج ومأجوج ، ونزول عيسى عليه السلام ، وطلوع الشمس من مغربها .

وقيل إن المحكم مالا يحتمل من التأويل إلا وجهاً وأحداً والمتشابه ما يحتمل أوجهاً وروي ذلك عن الشافعي .

وقيل إن المحكم سائر القرآن والمتشابه هي الحروف المتقطعة ، وقيل إن المحكم مالم تتكرر الفاظه والمتشابه ماتكررت الفاظه ، وقيل إن المحكم ما أستقبل بنفسه ولم يحتاج إلي بيان

وقيل المحكم هو الأمر والنهي والوعد والوعيد ، والمتشابه هو القصص والأمثال .[3]

ونلاحظ أن الخازن ـ رحمه الله ـ يورد هذه الأقوال دون ترجيح لبعضها والخروج من هذه الأقوال برأي يخصه أو يشير إليه ، ودون مناقشه لها أو توجيه أورد لبعضها وكان أحياناً ينسب بعض الأقوال إلي قائلها .

3ـ أشار إلي الحكمة من وجود المتشابه في القرآن علي صورة إعتراض ثم عمد إلي الإجابة فقال ـ رحمه الله ـ : فإن قلت : إنما نزل القرآن لبيان الدين وإرشاد العباد وهدايتهم ، فما فائدة

---

[1]) سورة الأنعام الآية رقم (151) .
[2]) سورة الاسراء الآية رقم |(23) .
[3]) تفسير الخازن ، 226/1 .

المتشابه ، وهلا كان كله محكماً ؟ قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال أجوبة أحدها : أن القرآن أنزل بألفاظ العرب ولغاتهم وكلام العرب علي ضربين :

أحدهما : الإيجاز للاختصار والموجز الذي لا يخفيعلي سامعه لا يحتمل غير ظاهره و الإطاله لبيان المراد والتوكيد .

الضرب الثاني : المجاز والكنايات والإشارات والتلويحات ، وإغماض بعض المعاني ، وهذا الضرب هو المستحسن عند العرب والبديع في كلامهم ، فنزل الله تعالى القرآن الكريم علي هاذين الضربين ليتحقق عجزهم عن الإتيان بمثله فكأنه قال : عارضوه بأي الضربين شئتم ، ولو نزل كله محكماً وأضحاً لقالوا : هلا نزل بالضرب المستحسن عندنا .

الجواب الثاني : أن الله تعالى أنزل المتشابه لفائدة عظيمة وهي أن يشتغل أهل العلم والنظر بردهم المتشابه ، فيطول بذلك فكرهم ويصل بالبحث عن معانيه وإهتمامهم فيثابون علي تعبهم كما أثيبوا علي عباداتهم ، ولو أنزل القرآن كله محكماً لأيستوي في معرفته العالم والجاهل ، ولم يفضل العالم علي غيره ، لماتت الخواطر وخمدت الفكرة ، ومع الغموض تتسع الحاجة إلي الفكرة والحيلة إلي إستخراج المعاني ، وقد قيل في عيب الغنى أنه يورث البلادة ، وفي فضيله الفقر أنه يورث الفطنه .

الجواب الثالث : أن أهل كل علم يجعلون في علومهم معاني غامضة ، ومسائل دقيقة ليختبروا بذلك أذهان المتعلمين منهم علي إنتزاع الجواب ، لآنهم إذا قدروا علي إنتزاع المعاني الغامضة كانوا علي الواضح أقدر وكان ذلك حسناً ، عند العلماء جاز أن يكون ما أنزل الله تعالى من متشابه علي هذا النحو .

الجواب الرابع : أن الله تعالى أنزل المتشابه في كتابه مختبراً به عباده ليقف المؤمن عنده ويرد علمه إلي عالمه فيعظم بذلك ثوابه ويرتاب به المنافق فيداخله الزيغ فيستحق بذلك العقوبه ، كما إبتلى بنو إسرائيل بالنهر ، والله أعلم بمراده .

4ـ كذلك إتجه ـ رحمه الله ـ إلي ذكر أقوال العلماء في تأويل المتشابه هل هو مما يمكن تأويله أم أنه مما إستأثر الله بعلمه مع الإشارة بعد هذا إلي منشأ الخلاف فقال في قوله تعالى :

(وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلِهِ إلا اللهُ وَالْرَاسِخُونَ فِي اَلْعِلْمِ ...)[1] وقيل يجوز أن يكون للقرآن تأويل إستأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحد من خلقه كعلم قيام الساعة و وقت طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدجال ، ونزول عيسى بن مريم ، وعلم الحروف المقطعة ، وأشباه ذلك مما إستأثر الله بعلمه ، فالإيمان به وأجب وحقائق علومه مفوضة إلي الله تعالى ، وهو مذهب إبن مسعود ، وأُبي بن كعب ، وعائشة رضي الله عنهما وأكثر التابعين ، فعلى هذا القول تم الكلام عند قوله تعالى : (إلا اِللهَ) فيوقف عليه ثم إبتداء فقال عز وجل : (وَالْرَاسِخُوُنَ فِي اَلْعِلْمَ يَقُوُلُوُنَ أَمَنَاَ بِهِ) [2] قال إبن عباس : سماهم راسخين في العلم بقولهم أمنا به فرسوخهم في العلم هو الإيمان به ، وقال عمر بن عبدالعزيز : (إنتهى علم الراسخين في العلم بتأويل القرآن إلي أن قالوا أمنا به)

ثم بعد ذلك بين الخازن موقفه من هذا القول فبين أنه الحق ، وأنه الذي يعتمد عليه ، وأن المتشابه ما إستأثر الله بعلمه فقال : ونحن متعبدون في المتشابه بالإيمان به ، وَنَكِلُ معرفته إلي الله تعالى ، وفي المحكم يجب علينا الإيمان به والعمل بمقتضاه ثم أخذ يؤيد رأيه بقوله : وروي عن إبن عباس أنه قال : تفسير القرآن علي أربع أوجه فمنه تفسير لا يسع أحد جهله ، وتفسير تعرفه العرب بألسنتها ، وتفسير تعلمه العلماء ، و تفسير لا يعلمه إلا الله ، ثم قال : إن الواو في قوله : (وَالْرَاسِخُوُنَ فِي اَلْعِلْمُ) واو عطف يعني أن تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون في العلم ، وهم مع علمهم يقولون أمنا به ، روي عن إبن عباس أنه كان يقول : أنا من الراسخين في العلم وعن مجاهد عنه أنا ممن يعلم تأويله ، و وجه هذا القول أن الله تعالى أنزل كتابه لينتفع به عباده ، ولا يجوز أن يكون في القرآن شيء لا يعرفه أحد من الأمة ، وفي المراد الراسخين في العلم قولان :

أحدهما : أنهم مؤمنوا أهل الكتاب مثل عبدالله بن سلام وأصحابه بدليل قوله تعالى : (لَكِنُ وَالْرَاسِخُوُنَ فِي اَلْعِلْمُ مِنْهُمْ)[3] .

والقول الثاني : أن الراسخين هم العلماء العاملون بعلمهم ، سُئل أنس بن مالك عن الراسخين في العلم فقال : العالم العامل بما علم المتبع له .

---

[1]) سورة آل عمرآن الآية (7) .
[2]) سورة آل عمرآن الآية (7) .
[3]) سورة النساء الآية (162)

وقيل الراسخ في العلم من وجد في علمه أربعة أشياء : التقوى فيمابينه وبين الله تعالى والتواضع فيما بينه وبين الناس والزهد فيما بينه وبين الدنيا والمجاهدة فيما بينه وبين النفس[1] .

موقف الخازن من الأحرف المقطعة في أوائل السور :

الأحرف المقطعة في أوائل السور مثل (الَمَ)[2] (آلر)[3] (كَهيعَص)[4] ونحو ذلك ، والأحرف المقطعة كما هو معروف لدى بعض المفسرين أنها من المتشابه الذي إستأثر الله بعلمه ، وعند البعض الأخر يمكن تفسيرها وفهم معانيها ، ولو رجعنا إلي الخازن وماقاله حول الأحرف المقطعة لو وجدناها يقول : في قوله تعالى : (آلم)[5] قيل إن حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي إستأثر الله بعلمه ، وهي سر الله في القرآن، ثم إن الشيخ الخازن رحمه الله رجح هذا القول وأخذ به فقال : فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها إلي الله تعالى ، وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها .

ثم قال : قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : في كل كتاب سر وسر الله في القرآن أوائل السور ، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إن لكل كتاب صفوة ، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي . وأورد علي هذا القول بأنه لا يجوز أن يخاطب الله عباده بما لا يعلمون ، وأجيب عنه بأنه يجوز أن يكلف الله عباده بما لا يعقل معناه والحكمة فيهي هو كمال الإنقياد والطاعة فكذلك هذه الحروف يجب الإيمان بها ولا يلزم البحث عنها .

وقال آخرون من أهل العلم هي معرفة المعاني ، ثم إختلفوا فيها فقيل كل حرف منها مفتاح إسم من أسماء الله تعالى ، فالألف مفتاح إسم الله ، واللام مفتاح إسمه اللطيف ، والميم مفتاح إسمه مجيد ، وقيل الألف ألاء الله واللام لطفه والميم ملكه ، ويؤيد هذا أن العرب تذكر حرفاً من كلمة تريدها كلها قال الراجز :

قلت لها قفي فقالت قاف * * * لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف

---

[1]) تفسير الخازن ، 226/1 .
[2]) سورة البقرة الأية (1)
[3]) سورة يونس الأية (1)
[4]) سورة مريم الأية (1)
[5]) سورة البقرة الآية (1)

قولها : قاف أي وقفت ، فأكتفت بجزء الكلمة عن كلها ، والإيجاف الإسراع في السير ، وقيل هي : أسماء الله مقطعة لو علم الناس تأويلها لعلموا إسم الله الأعظم ، إلا ترى أنك تقول ألر و حم و ن فتكون مجموعها الرحمن ، وكذلك سائرها ولكن لم يتهيا تاليفها جميعاً .[1]

وقيل أسماء السور وبه قال جماعة من المحققين : قال إبن عباس : هي أقسام فقيل أقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها لأنها مباني كتبه المنزلة وأسمائه الحسنى وصفاته العليا ، وإنما إقتصر علي بعضها وإن كان المراد كلها فهو كما تقول قرأت الحمد لله ، وتريد أنك قرأت السورة بكاملها فكأنه تعالى أقسم بهذه الحروف أن هذا الكتاب هو الكتاب المثبت في اللوح المحفوظ ؟

وقيل إن الله لما تحداهم بقوله : (فَأْتُوا بِسُوَرَةٍ مِنْ مِثْلِهِ)[2] وفي أية (بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ)[3] فعجزوا عنه أنزل هذه الأحرف ، ومعناها أن القرآن ليس هو إلا من هذه الأحرف ، وأنتم قادرون عليها فكان يجب أن تأتوا بمثله فلما عجزتم عنه دل ذلك علي أنه من عند الله لا من عند البشر .

وقيل إن الله تعالى غير عقول الخلق في إبتداء خطابه ليعلموا أن لا سبيل لأحد إلي معرفه خطابه إلا بإعترافهم بالعجز عن معرفه كنه حقيقة خطابه .[4]

من هذا كله يلاحظ أن الشيخ الخازن ــ رحمه الله ــ سرد أقوال العلماء في الأحرف المقطعة ثم رجح أحدها وهي الرأي القائل : أنها مما أستأثر الله بعلمه ، ولم يرجحه فحسب بل ناقشه ، و وضح بعض الإعتراضات علي هذا الرأي ورد عليها ، ثم ذكر بعض الأقوال الأخرى ولكنه لم يناقشها ولم ينسبها إلي قائلها ، وكأنه ذكرها علي سبيل العرض والبيان لإفادة قارئ هذا التفسير وإعطائه صورة وأضحة لأقوال العلماء وأرائهم حول المحكم والمتشابه .

---

[1]) تفسير الخازن 23/1 .
[2]) سورة البقرة الآية (23)
[3]) سورة هود الآية (13)
[4]) المصدر السابق 23/1 .

الخاتمة والنتائج

أولاً : الخاتمة

(منهج الإمام الخازن في التفسير من خلال كتابه لباب التأويل في معاني التنزيل)

هذا البحث دراسة علمية منهجية لحياة عَلَم من أعلام التفسير في القرن الثامن الهجري تناولت فيها تفاصيل حياته ، ثم وقفت علي كتاب جليل من كتب التفسير القديمة لأبين منهجه وطريقته في التفسير ، والبحث يضم أربع فصول :

جاء الفصل الأول بمباحث ثلاثة تناولت في **المبحث الأول** حياته ونشأته ، وذكرت فيه نسبه وكنيته ، كما درست في هذا الفصل زمن ومكان ولادته ووفاته ، ثم تحدثت عن رحلته في طلب العلم التي إختصرت علي دمشق وحلب ، ثم تناولت شيوخه وبينت في ذلك هاؤلائي الشيوخ الكثيرين وتأثير هاؤلائي الأعلام فيه ، ومن ثم تأثيره في الأجيال التي تلته من الذين درسوا علي يده وتلقوا العلم عنه وأخذوا ينشرون العلم بين الناس ، وشخصية المفسر وحياته بدراسة المستفيضة إستعنت بالمصادر التي ذكرتها من كتب التراجم والطبقات .

أما المبحث الثاني : فكان عن الحالة السياسية والخصائص العلمية في عصره وأثر الأوضاع الإجتماعية في نفوس العلماء والصالحين .

أما المبحث الثالث : فكان عن أخلاقه وأثاره ومؤلفاته التي تمثل حصيلة جهده وثمرت طلبه للعلم ، فكان أن برز في علوم الشريعة عامة كما نبغ في التفسير وعلوم القرآن وألف في الفقه وخاصه علي المذهب الشافعي .

وجاء الفصل الثاني : فكان دراسة لمصادر الخازن في تفسيره التي إعتمد عليها وإستعان بها ثم جعلت الفصل في أربعة مباحث

أما المبحث الأول : فقد عقدت موازنة بين منهجه الذي سلكه وبين مناهج بعض المفسرين الذين سبقوه وكانت كتبهم كمصادر رجعه إليها في تفسيره لبيان مدى تأثره

بهم في صفة عرضها وتحليلها وإستشهاده وقبوله ورفضه ، وهل تابعهم في آرائهم أم أن له شخصيته وطريقته المنهجيه في تفسيره وأثر ذلك علي أخلاقياته وثقافته وإعتقاده وفقهه ، أي أثر ذلك من الناحيه الروحيه والمفسرين هم :

1. الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود الفداء البغوي ، المتوفي سنة 516هـ
2. الإمام القاضي العلامه أبوالقاسم محمود بن عمر الزمخشري ، المتوفي سنة 538هـ ، صاحب كتاب (الكشاف)
3. الإمام القاضي العلامه أبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بإبن العربي المعافري الأشبيلي المالكي المتوفي سنة 543هـ .

أما المبحث الثاني فكان عن مصادر الخازن في كتب الحديث بينت أهميه السنة كمصدر من مصادر التشريع وأوجه السنة للقرآن الكريم ثم مصادر الخازن في الحديث والسنة وهي كتب الأئمة الصحيحة

أما المبحث الثالث عن مصادره في السيرة النبوية الشريفة حيث بينت أهمية السيرة كمصدر من مصادر التفسير

أما المبحث الرابع : ذكرت فيه مصادر الخازن في اللغة حيث ذكرت أهميه اللغة كمصدر من مصادر التفسير والمنهج الصحيح لتحديد معاني مفردات القرآن الكريم ومن ثم مصادره من أمهات كتب اللغة

أما الفصل الثالث : عن تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل ومنهجه وهو صلب البحث وجوهره و جعلت الفصل من ثلاث مباحث :

ففي **المبحث الأول** : ذكرت منهجه في تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة وموقفه من تفسير الصحابه والتابعين .

وفي **المبحث الثاني** : تناولت فيه موقفه من الإسرائيليات ومزاياه والمأخذ عليه في روايتها بعد أن بينت معناها والمراد منها .

أما المبحث الثالث : فكان عن عنايته باللغة و النحو والقرآءات والعقيدة والأحكام الفقهيه حيث بينت الجوانب النحوية والصرفية في تفسيره وعنايته بوجوه

القرأءأت العشر و وقوفه عليها وخاصة فيما يترتب عليه من إختلاف في المعنى والتفسير ، وذكره لقضايا العقيدة والأحكام الفقهيه .

والفصل الرابع : فكان عن مباحث علوم القرآن في تفسيره وقد تضمن هذا **الفصل ثلاثة مباحث :**

المبحث الأول : وقفت فيه خلال تفسيره علي مبحث أسباب النزول للآيات والسور التي يوردها فهو مكثر لها جداً ، وعلي صور مختلفة من الإكثار من ذكره علي رواية أوروايات مختلفة وبينت أهمية ومعرفة أسباب النزول وموقفه من أسباب النزول .

أما المبحث الثاني : فقد عرضت ماكان يذكره من الناسخ والمنسوخ من الآيات وتعريفه لمعنى الناسخ وأهميه ذلك ، وقد كان يذكر إختلاف العلماء في نسخ أية أو إحكامها ويختار ويرجح وقد يذكر الآراء دون ترجيح .

أما المبحث الثالث : عن تفسيره المحكم والمتشابه ، تعرضت فيه لتعريف المحكم والمتشابه ، ومذاهب العلماء في تفسير المحكم و المتشابه وتفسيره للآيات المتشابها وأنه كان يغرها ويراء أنه من قبيل الذي إستأثر الله بعلمه ، ومنهجه في المحكم والمتشابه .

ثانياً : نتائج البحث

بعد هذه الدراسة المفصلة للإمام الخازن ومنهجه في التفسير توصل البحث إلي مايأتي :

أولاً : كشف هذا البحث عن جوانب مهمة من حياة الخازن فعرف به تعريفاً علمياً دقيقاً ، وإعتنى بصورة خاصة بإبراز صفاته وأخلاقه وبيان مذهبه وعقيدته حيث إنتهى البحث إلي أنه فقيه ومفسر .

كما أحصى بتتبع وإستقراء كتبه ومؤلفاته من فروع الشريعة المختلفة تفسيراً وفقهاً ، وعرف تعريفاً موجزاً بمضمون تلك المؤلفات .

وقدم البحث عرضاً دقيقاً وإحصاءاً علمياً لأسماء شيوخه الذين تلقى منهم العلوم وتتلمذ عليهم .

ثانياً : وبين هذا البحث منهج معالم التنزيل الذي يقوم ويعتمد علي المأثور من الكتاب والسنة وأقوال الصحابه والتابعين وهو يستفيد من أقوال اللغويين والنحويين في تفسيره لكتاب الله ويعني ببيان الأحكام الفقهيه ومسائل العقيدة ، وبهذا نلخص أن تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل من التفاسير المأثورة إلا أنه يضم إلي جانب المأثور اللغة والنحو والقرأءآت وأحكام الفقة والعقيدة .

ثالثاً : توصل البحث إلي أن الخازن في تفسيره المأثور يعتمد بصوره رئيسيه علي السنة المطهرة وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بحيث يستفيد من ذلك كثيراً في بيان معاني الآيات الكريمة ، ولا تكاد تجد موقعاً في التفسير إلا ويورد ماتصل به من الأحاديث بما يبين ويوضح تلك الآيات ، والملاحظ علي هذه الأحاديث التي يكثر الخازن إيرادها أنها أحاديث علي درجة كبيرة من الصحة والحسن وأكثرها وإن لم يكن كلها من صحيحي البخاري ومسلم بالدرجة الأولي في من كتب السنن بالدرجة الثانية.

رابعاً : أظهر البحث رواية الخازن للإسرائيليات وكان ذلك نتيجة لسيره علي نهج المفسرين السابقين وأخذه من البغوي غير أننا نجده قد رد إسرائيليات باطله لها مساس بالعقيدة قد سكن عنها جمع من المفسرين .

خامساً : كشف البحث عن إستفادته من معالم التنزيل إعتماده عليه بحيث أن الخازن إتخذه أساساً لتفسيره فهو يطابقه في كثيراً من المواضع ويزيد عليه بترتيبه وتخريج الأحاديث وحزف أسانيدها مع بيان المسألة بصورة مفصلة كما إستفاد من كتب التفسير الآخرى وزادها علي تفسير البغوي وخاصة في مجال العقيدة .

فهرس الأيات القرآنية

م	الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
175	(الذينَ يُنفِقونَ أموالَهُم بالليلِ والنَهارِ... الآية)	البقرة	274	157
177	(اَلَذِينَ يُنْفِقُوُنَ أَمْوَالَهُمْ... الآية)	البقرة	274	157
216	(اللهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابَاً مُتَشَابِهَاً... الآية)	الزمر	23	175
210	(اللهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابَاً... الآية)	الزمر	23	174
195	(إنَ اْلذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ إليتَامَىَ ظُلْماً إنْمَا يَأكَلُونَ... الآية)	النساء	10	169
169	(إنَ الصفا والمَروَةَ مِن شَعائرِ اللهِ... الآية)	البقرة	158	153
30	(إِنَّ اَلْصَفَاَء وَاَلْمَرَوَةَ مِنْ شَعَاَئِرِ اَللهِ.... الآية)	البقرة	158	75
85	(إنَاَ أعْطَيْنَاَكَ اَلْكَوُثَرَ * فَصَلِ لِرَبِكَ وَأنْحَرَ * إنَّ شَأنِئَكَ.... الآية)	الكوثر	3-1	112
139	(إنَكَ مَنْ تُدْخِلَ اَلْنَاَرَ فَقَدْ أَخْزَيْتُهُ... الآية)	آل عمران	192	143
179	(أَوَ مَنْ كَاَنَ مَيْتَاً فَأَحْيَيَنَاَهُ وَجَعَلَنَاَ لَهُ نُورَاً يَمْشِي بِهِ... الآية)	الانعام	122	159
144	(خَاَلِدِيْنَ فِيهَاَ أبداً... الآية)	النساء	169	144
151	(خَاَلِدِيْنَ فِيهَاَ أبداً... الآية)	النساء	169	144
137	(سَأَلَ سَاَئِلْ... الآية)	المعارج	1	142
35	(سُنَة مَنْ قَدْ أَرْسَلَنَاَ قَبْلَكَ مِنْ رُسُلَنَاَ.... الآية)	الاسراء	77	79
138	(عَسَىَ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُكَ مُقَاَمَاً مَحْمُوداً... الآية)	الاسراء	79	143
28	(فَاَعْتَزِلُوُا اَلْنِسَاءَ فِي اَلْمَحِيْضِ وَلَاَ تَقْرَبُوُهِنَّ.... الآية)	البقرة	222	74
31	(فَسَبِّحْ بِإِسْمِ رَبِكَ اَلْعَظِيْمِ.... الآية)	الواقعة	74	76
135	(فِي لَوْحِ مَحْفُوظْ ... الآية)	البروج	22	142
27	(قَاَتِلُوُا اَلْذِينَ لَاَ يُؤْمِنُوُنَ بِاللهِ وَلَاَ بَاَلْيَوُمِ اَلْآخِرِ.... الآية)	التوبة	29	73
170	(قُل لاَ أَجِدُ في ماَ أُوحيَ إلي مُحرماً... الآية)	الانعام	145	154
34	(قُلْ لَلَذِينَ كَفَرُوا إن يَنْتَهُوا يَغْفِر لَهُمْ مَاَقَدْ سَلَفَ.... الآية)	الأنفال	38	79
140	(كُلَمَاَ أَرَاَدُوا أنْ يَخْرُجُوا مِنْهَاَ... الآية)	السجدة	20	143
184	(لاَ يَأتِيهِ البَاطِلَ مِن بَينَ يَدَيهِ وَلاَ مِن خَلفِهِ... الآية)	فصلت	42	160

136	(لَتَرْكَبَنٌ... الآية)	الانشقاق	19	142
239	(لَكِنٌ وَالْرَاسِخُونَ فِي اَلْعِلْمُ مِنْهُمْ... الآية)	النساء	162	186
157	(لَلَذِينَ أحْسَنَوا اَلْحُسْنَي... الآية)	يونس	26	145
176	(لِلفُقَرَاءِ اَلْذِيْنَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اَللهِ... الآية)	البقرة	273	157
172	(مَثَلَهُم كَمَثَلِ الذي إستَوقَدَ نَاراً... الآية)	البقرة	17	156
42	(مِنْ بَعْدِ وَصِيَةٍ يُوصِينَ.... الآية)	النساء	12	81
167	(نساؤكم حرث لكم... الآية)	البقرة	223	151
45	(هَذَانِ خَصْمَانِ إخْتَصَمُوا.... الآية)	الحج	20	91
233	(هُوَ الْذِي أنْزَلَ عَلَيكَ الكِتَابَ مِنْهُ أيَاتٍ مُحْكَمَاتٍ... الآية)	ال عمران	7	183
232	(هُوَ الْذِي أنْزَلَ عَلَيكَ الكِتَابَ مِنْهُ أيَاتٍ... الآية)	ال عمران	7	182
211	(هُوَ الْذِي أنْزَلَ عَلَيكَ الكِتَابَ مِنْهُ... الآية)	ال عمران	7	174
32	(وَاتْبَعُوا مَاتَتْلُوا الشَيَاطِينُ عَلَيَ مُلْكِ سُلَيْمَانَ.... الآية)	البقرة	102	77
41	(وَاَذْكُرْنَ مَا يُتْلَيَ فِي بُيُوتُكُنَ مِنْ اَيَاتِ.... الآية)	الأحزاب	34	80
39	(وَاَذْكُرُوا نِعْمَتَ اَللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ اَلْكِتَابِ.... الآية)	البقرة	231	80
171	(وَاَلْذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍ لَكُمَا أتَعِدَانَنِي... الآية)	الاحقاف	17	154
87	(وَاَلْذِينَ يَصِلُوُنَ مَا أَمَرَ اَللهُ بِهِ أَن يُوُصَلَ.... الآية)	الرعد	21	114
88	(وَاَلْشُعَرَاءَ يَتَّبِعَهُمْ اَلْغَاوُونَ . اَلَمْ تَرَ أَنَهُم فِي كُلَ وَادٍ يَهِيْمُوُنَ * وَأنَهُمْ.... الآية)	الشعراء	224- 226	115
29	(وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبَاً فَاَطَّهَرُوا.... الآية)	المائدة	6	74
40	(وَاَنْزَلَ اَللهُ عَلَيْكَ اَلْكِتَابَ وَاَلْحِكْمَةَ وَعَلَمَكَ مَالَمْ تَكُنْ تَعْلَمَ.... الآية)	النساء	113	80
37	(وَاَنْزَلْنَاَ إِلَيْكَ اَلْذِكْرَ لَتُبَينَ لِلنَاَسِ مَانُزِلَ.... الآية)	النحل	44	80
133	(وَلَاَ تَكُ فِي ضَيْقِ مِمَاَ يَمْكُرُونَ... الآية)	النحل	127	141
173	(ولاَ تَهِنوا ولاَ تَحزَنوا وأنتُم الأعلون... الآية)	آل عمران	139	156
38	(وَمَاَ أَنزَلْنَاَ عَلَيْكَ اَلْكِتَابَ إلاَ لِتُبَيِّنَ لَهُمْ اَلْذِي.... الآية)	النحل	64	80
33	(وَمَاَ مَنَعَ اَلْنَاَسَ أنْ يُؤْمِنُوًا إِذْجَآءَهُمُ اَلْهُدَىَ وَيَسْتَغْفِرُوا.... الآية)	الكهف	55	79
165	(وَيَسْأَلُوُنَكَ عَنْ اَلْرُوحْ قُلْ اَلْرُوحُ... الآية)	الاسراء	85	149
178	(يَا أيُهَا الذِينَ أمَنوا ادخُلُوا فِي السِلمِ كَآفة... الآية)	البقرة	208	158

1	(يَاَ أَيُهَاَ اَلْذِينَ اَمَنُوُا لَاَتَحَرِمُوُا طَيْبَاَتٍ....الآية)	المائدة	87	43
98	(يَاَ دَاَوُدَ إِنَاَ جَعَلَنَاَكَ خَلِيفَةً فِي اَلأَرَضَ فَاْحْكُمْ.... الآية)	ص	26	126
44	(يَسْأَلُونَكَ عَنِ أَلْأَنْفَاَل .... الآية)	الانفال	1	91
134	(يُضِلُ بِهِ اَلْذِينَ كَفَرُوا... الآية)	التوبة	37	142
192	(إِتَبِعواَ ماَ أُنزِلَ إِليكُمْ مِنْ رَبِكُم... الآية)	الاعراف	3	166
202	(أُحْكِمَتْ أياَتِهِ... الآية)	هود	1	172
3	(إِذْ قَاَلَتِ اَلْمَلَاَئِكَةُ يَاَ مَرْيَمَ إِنَّ اَللهَ يُبَشِرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ .... الآية)	آل عمران	45	50
93	(أَفَرَأَيْتُمُ اَلْلَاَتَ وَاَلْعُزَىَ * وَمَنَاَةَ اَلْثَاَلِثَةَ.... الآية)	النجم	19 ، 20	121
61	(أَفَلَا يَتَدَبَرُون القُرآنَ وَلَو كَاَنَ مِنْ غَيرِ اَللهِ.... الآية)	النساء	82	107
145	(أُكُلُهَاَ دَاَئِمْ وَظِلُهَاَ... الآية)	الرعد	35	144
152	(أُكُلُهَاَ دَاَئِمْ وَظِلُهَاَ... الآية)	الرعد	35	144
73	(ألا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُ.... الآية)	الرعد	28	108
75	(إلا مَاَ يُتْلَيَ.... الآية)	الحج	30	109
81	(اَلْذِينَ اَمَنُوُا وَلَمْ يُلْبِسُوا إِيمِاَنُهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهَمْ.... الآية)	الانعام	82	111
89	(اَلْذِينَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ.... الآية)	الفاتحة	7	117
92	(اَلْذِينَ يَجْتَنِبُوُنَ كَبَاَئِرَ اَلإِثْمَ.... الآية)	النجم	32	118
204	(آلر تِلْكَ آيَاتُ الْكتَابِ الْحَكِيمِ... الآية)	يونس	1	172
212	(آلر تِلْكَ آيَاتُ الْكتَابِ الْحَكِيمِ... الآية)	يونس	1	174
50	(الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنَاً.... الآية)	يوسف	1،2	94
209	(آلر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ أَيَاتُهُ ثُمَ فُصِلَتْ... الآية)	هود	1	174
234	(آلر كِتَابُ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ... الآية)	هود	1	183
230	(آلر)	يونس	1	181
241	(آلر)	يونس	1	187
115	(اللهُ اَلْذِي رَفَعَ اَلْسَمَوَاَتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاَ ثُمَ اَسْتَوَىَ عَلَيَ اَلْعَرْشِ وَسَخَرَ اَلْشَمْسَ وَاَلْقَمَرَ كُلُ يَجْرِي لَأَجَلٍ مُسَمَىَ يُدَبِرُ اَلْأَمْرَ يُفَصِلُ الآيات لَعَلَكُمْ بِلِقَاَءِ رَبِكُمْ تُوقِنُوُنَ * وَهُوَ اَلْذَيِ مَدَ اَلَأَرْضَ.... الآية)	الرعد	2 ، 3	136
235	(اللهُ نَزَلَ أَحْسَنَ اَلْحَدِيثَ كِتَاَباً... الآية)	الزمر	23	183

240	(الَمَ)	البقرة	1	187
227	(الَمَ... الآية)	البقرة	1	181
229	(الَمَر)	الرعد	1	181
228	(الَمَصَ)	الاعراف	1	181
203	(أليسَ اَللهُ بَأحْكَمَ اَلْحَاكِمِيْنَ... الآية)	التين	8	172
226	(إنْ اَلْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَاَ... الآية)	البقرة	70	179
213	(إنْ هَذَا القرآن يَقُصُ عَلَي بَنِي إسْرَائِيلَ ... الآية)	النمل	76	175
215	(إنَ هَذَا القرآن يَهْدِي للتَي هِي أقْوم... الآية)	الاسراء	9	175
91	(إنَّاَ عَرَضْنَاَ اَلأمَأنه عَلَيَ اَلْسَمَوَاَتِ.... الآية)	الاحزاب	72	118
181	(إنَاَ كُنَاَ نَسْتَنْسَخُ... الآية)	الجاثية	29	160
62	(إنَّاَ نُبَشَرُكَ بِغُلاَمِ إسْمُهُ.... الآية)	مريم	7	107
109	(إنَاَ وَجَدْنَاَهُ صَاَبِرًاً.... الآية)	ص	44	130
63	(أنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ.... الآية)	الفاتحة	7	107
218	(إنَكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِف * يُؤفَكُ... الآية)	الذاريات	8 ، 9	175
74	(إنَمَاَ اَلْمُؤمِنُونَ اَلْذِينِ إذا ذُكِرَ اللهُ.... الآية)	الانفال	2	108
104	(إنَهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إنَهُ عَمَلُ غَيْرُ.... الآية)	هود	46	128
2	(إهْدِنَا اَلْصِرَاَطْ اَلْمُسْتَقْيمَ * صِرَاَطَ اَلْذِينِ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ .... الآية)	الفاتحة	6،7	49
52	(أَو يَأخُذَهُمْ عَلَيَ تَخَوُفِ.... الآية)	النحل	47	97
132	(أوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتُ مِنْ زُخْرُفُ... الآية)	الاسراء	93	141
20	(أُوَلَئِكَ اَلْذِينِ إشْتَرَوَا اَلْضَلاَلَةَ بِاَلْهُدَىَ.... الآية)	البقرة	16	67
17	(أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَاَنَ مِنْكُمْ مَرِيضًا.... الآية)	البقرة	184	64
124	(بَرَآءةُ مِنْ اَللهِ وَرَسُوُلِه .... الآية)	التوبة	1	139
244	(بِعَشْرِ سُوَرِ مِثْلِهِ... الآية)	هود	13	188
114	(بَلْ هُوَ قُرْآنُ مَجِيدُ * فِي لَوْحِ.... الآية)	البروج	21 ، 22	133
208	(تَشَاَبَهَتْ قُلُوُبُهُمُ... الآية)	البقرة	118	173
128	(حَاَفِظُوُا عَلَيَ اَلْصَلَوَاَتِ وَاَلْصَلاَةِ اَلْوُسْطَىَ.... الآية)	البقرة	238	140
76	(حُرِمَتْ عَلَيْكُمْ اَلْمَيْتَةَ.... الآية)	المائدة	3	109

68	(رَبَنَاَ ظَلَمْنَاَ أَنْفُسَنَاَ.... الآية)	الاعراف	23	108
187	(سَيَقُولُ السُفَهَاءُ مِنَ النَاسِ ماَ وَلاَهُمُ عَنِ قِبلَتِهِمُ... الآية)	البقرة	142	161
15	(شَهِدَ اَللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إلاَ هُوَ وَاَلْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا اَلْعِلْمِ قَائِمَاً بَاَلْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَ هُوَ اَلْعَزِيزِ اَلْحَكِيمِ *إِنَّ اَلْدِينَ.... الآية)	آل عمران	18،19	62
16	(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القرآن هُدًى لِلنَّاسِ.... الآية)	البقرة	185	64
102	(عَفَاَ اَللهُ عَنْكَ لِمَ.... الآية)	التوبة	43	128
120	(عَلَيَ مُلْكِ سُلَيْمَاَنُ.... الآية)	البقرة	102	138
55	(عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الْشَمَاَلِ.... الآية)	المعارج	37	98
243	(فَأْتُوا بِسُوَرَةٍ مِنْ مِثْلِهِ... الآية)	البقرة	23	188
53	(فَأَجَاءَهَا المِخَاضُ.... الآية)	مريم	23	98
200	(فَأَقْتُلُوا اَلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ.. الآية)	التوبة	5	171
60	(فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا إِسْتَيسَرَ.... الآية)	البقرة	196	104
58	(فَإِنْ خِفْتُم أَلا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَة أَو مَاَمَلَكَتْ.... الآية)	النساء	3	103
64	(فَأُوَلَئِكَ مَعَ اَلْذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِنْ النَبِيِّينَ.... الآية)	النساء	69	107
77	(فَبِظُلْمٍ مِنْ اَلْذِينَ هَاَدُوا.... الآية)	النساء	160	109
67	(فَتَلَقْيَ آدَمَ مِنْ رَبِهِ كَلِمَاَتٍ فَتَاَبَ عَلَيِهِ.... الآية)	البقرة	37	108
123	(فَظَلَتْ اَعْنَاَقُهُمْ لَهَاَ خَاضِعِينَ.... الآية)	الشعراء	4	138
201	(فَلاَ يَقْرَبوا اَلْمَسْجِدِ اَلْحَرَاَم.. الآية)	التوبة	28	171
103	(فَلَعَلْكَ تَاَرِكُ بَعْضُ مَاَ يُوُحَىَ.... الآية)	هود	12	128
4	(فَمَنْ تَبِعَ هُدَأَيَ فَلاَ خُوُفٌ .... الآية)	البقرة	38	51
180	(فَيَنْسَخُ اَللهُ مَايُلْقِي اَلْشَيْطَاَنٌ... الآية)	الحج	52	160
97	(قَاَلَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَاَل.... الآية)	ص	24	126
186	(قَد نَرىَ تَقَلُبَ وَجهِكَ فِي السَمَاءِ فَلَنُولِينَكَ قِبلَةً... الآية)	البقرة	144	161
214	(قُلِ اللهُ يُفْتِيُكُمْ فِيهِنَ وَمايُتْلىَ عَلَيْكُمْ... الآية)	النساء	127	175
57	(قُلْ إِنَمَا حَرَمَ رَبِيَ الْفَوَاَحِشَ مَاَ ظَهَرَ مِنْهَاَ وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ.... الآية)	الاعراف	33	102
236	(قُلْ تَعَالَوْا أُتْلُ ماَ حَرَمَ... الآية)	الانعام	151	184
219	(قُلْ تَعَالوَاَ أَتْلُ مَاحَرَمَ رَبُكُمُ عَلَيْكُمْ... الآية)	الانعام	15	177

163	(قُلْ يَا أَيُهَاَ اَلْكَافِرُوُنَ * لاَ أَعْبُدُ مَاتَعْبُدُوُنَ... الآية)	الكافرون	2 ، 1	149
142	(قُلْ يَاعِبَادِيَ اَلْذِينِ أَسْرَفُوا عَلَيَ أَنْفُسَهُمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رحمه الله... الآية)	الزمر	53	144
149	(قُلْ يَاعِبَادِيَ اَلْذِينِ أَسْرَفُوا عَلَيَ أَنْفُسَهُمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رحمه الله... الآية)	الزمر	53	144
231	(كِتَابُ أُحْكِمَتْ أيَاتُهُ... الآية)	هود	1	182
162	(كُتِبَ عَلَيْكُمُ اَلْقِتَالُ... الآية)	البقرة	216	148
48	(كَذَلِكَ لِنَصْرُفَ عَنْهُ اَلْسُوء.... الآية)	يوسف	24	93
223	(كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الْرِجْسَ عَلَي اَلْذِينَ... الآية)	الانعام	125	178
7	(كَلاَ إِنَهُمْ عَنْ رَبِهِمْ يَوُمَئِذٍ .... الآية)	المطففين	15	52
156	(كَلاَ إِنَهُمْ عَنْ رَبِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ... الآية)	المطففين	15	145
242	(كَهيعَص)	مريم	1	187
36	(لاَ تُحَرِكَ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَاَ جَمْعَهُ وَقُرْآنَهٌ * فَإِذَاَ قَرَأنَاَهُ فَأتَّبِعْ.... الآية)	القيامة	16،19	80
5	(لَاَ تُدْرِكُهُ اَلْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ اَلْأَبْصَارُ.... الآية)	الأنعام	103	52
147	(لاَ تُدْرِكَهُ اَلأَبْصَارُ... الآية)	الانعام	103	145
154	(لاَ تُدْرِكَهُ اَلأَبْصَارُ... الآية)	الانعام	103	145
131	(لاَ جُنَاَحَ عَلَيْكُمْ أن تَبْتَغُوُا فَضْلاً مِنْ رَبِكُمْ... الآية)	البقرة	198	140
206	(لاَ يْأتِيهِ اْلبَاطِلْ مِنْ بَينَ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ... الآية)	فصلت	42	173
111	(لاَ يَأتِيهِ اَلْبَاَطِلُ مِنْ بَيْنٍ يَدَيْهِ وَلاَ.... الآية)	فصلت	42	132
107	(لِكَيِ لاَ يَكُوُنَ عَلَيَ اَلْمُؤمِنِينَ.... الآية)	الاحزاب	37	130
8	(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوُا اَلْحُسْنَىَ .... الآية)	يونس	26	52
146	(لَنْ تَرَاَنِي... الآية)	الاعراف	143	145
153	(لَنْ تَرَاَنِي... الآية)	الاعراف	143	145
127	(لَيَجْمَعَنُكُمْ.... الآية)	الانعام	12	139
101	(مَاَ كَاَنَ لَنَبِي أنٌ يَكُوُنَ لَهُ أسْرَىَ حَتَىَ.... الآية)	الانفال	67	128
106	(مَاَ كَاَنَ مُحَمَدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَاَلِكُمْ وَلَكِن رَسُولَ اَللهِ .... الآية)	الاحزاب	40	130
65	(مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ.... الآية)	المائدة	60	107

43	(مَنْ يُطِعِ الرسُول فقَد أطَاعَ الله .... الآية)	النساء	80	89
59	(هُوَ الذِي أَنْزَلَ مِنْ السَمَاء مَاءً لَكُمْ مِنْهُ.... الآية)	النحل	10	103
105	(هَؤُلَأءِ بَنَاتِي هُنَ أَطْهَر.... الآية)	هود	78	128
9	(وَابْتَلُوا اَلْيَتَامَىَ حَتَىَ إِذَاَ بَلَغُوُا اَلْنِكَاَحَ فَإِنْ.... الآية)	النساء	6	53
160	(وَابْتَلُوا إليتَامَىَ حَتَيَ إذا بَلَغوا ٱلنِكَاَحَ فإن... الآية)	النساء	6	147
14	(وَاَتَقُوا اَللهَ اَلْذِي تَسَاَءَلُوُنَ بِهِ.... الآية)	النساء	1	61
23	(وَاَتِمُوُا اَلْحَجَّ وَاَلْعُمْرَةَ.... الآية)	البقرة	196	70
25	(وَاَتَوُا اَلْنِسَاَءَ صَدَقَاَتِهِنَ.... الآية)	النساء	4	71
225	(وَأُتُوُا بِهِ مُتَشَاَبِهَاً... الآية)	البقرة	25	179
207	(وَأُتُوا بِهِ مُتَشَاَبِهاً... الآية)	البقرة	25	173
72	(وَإِذْ قَاَلَوُا اَللَهُمَ إِنْ كَاَنَ هَذَاَ هُوَ اَلْحَقُ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرِ.... الآية)	الانفال	32	108
185	(وإذا بَدلناَ أيةٍ مَكَانَ أيةٍ واللهُ أعلمُ بِمايُنَزِلَ... الآية)	النحل	101 ، 102	161
182	(وَإذا بَدَلناَ أيَةً مَكَانَ أيةِ... الآية)	النحل	101	160
12	(وَإِذَاَ لَقَوُا اَلْذِينَ أَمَنَوُا قَاَلَوُا أَمَنَاَ.... الآية)	البقرة	14	60
113	(وَإذا وَقَعَ اَلْقَوُلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَاَ لَهُمْ.... الآية)	النمل	82	133
158	(وَاَسْتَغْفِرِ اللهِ إِنَ اَللهَ كَاَنَ غَفُوُراً... الآية)	النساء	106	145
83	(وَاَعِدْوَا لَهُمْ مَا اَسْتَطَعْتُمْ.... الآية)	الانفال	60	112
224	(وَاَلْذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدَىَ وَأَتَاهُمْ تَقْوَاَهُمْ... الآية)	محمد	17	178
188	(وَالذينَ يَتَوفُونَ مِنكُمُ وَيَذَرُونَ أزوَاجاً يَتَرَبَصنَ... الآية)	البقرة	234	162
189	(وَالذينَ يَتَوَفُونَ مِنمكُم وَيَذَرُنَ أزوَاَجَاً... الآية)	البقرة	240	162
166	(وَالذينَ يَرمُونَ أزواجَهُم... الآية)	النور	6-9	151
122	(وَاَلْذِينَ يَكْنُزُونَ اَلْذَهَبَ وَاَلْفِضَةُ .... الآية)	التوبة	34	138
161	(وَاَلْذِينَ يَكْنُزُونَ اَلْذَهَبَ وَالْفِضَةُ وَلَا يُنْفِقُونَهَاَ فِي سَبِيلِ اَللهِ... الآية)	التوبة	34	148
129	(وَاَلْسَاَرِقُ وَاَلْسَاَرِقَةُ فَاَقْطَعُوُا أَيْدِيْهِمَاَ.... الآية)	المائدة	38	140
121	(وَالقرآن اَلْمَجِيدُ.... الآية)	ق	1	138

100	(وَإِمَاَ يَنْزَغَنَّكَ مِنْ اَلْشَيْطَانِ نَزْغُ.... الآية)	الاعراف	200	128
198	(وَأَنْ أَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَاَ أَنْزَلَ اَللهُ... الآية)	المائدة	49	170
196	(وإن تُخَالِطُوهُم... الآية)	البقرة	220	169
118	(وَإِنْ تَعْجَبَ فَعَجَبُ قَوْلَهُمْ.... الآية)	الرعد	5	137
26	(وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى.... الآية)	النساء	3	72
51	(وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُوحُ الْأَمِينُ * ... بلسان عربي.... الآية)	الشعراء	192،195	94
141	(وَإِنِّي لَغَفَارُ لِمَنْ تَاَبَ... الآية)	طه	82	143
148	(وَإِنِّي لَغَفَارُ لِمَنْ تَاَبَ... الآية)	طه	82	143
108	(وَأَيُوبَ إِذْ نَادَى رَبُهُ أَنِي مَسْنَيِ.... الآية)	الانبياء	83	130
22	(وَبَشِرِ اَلْذِيِنَ أَمَنُوا وَعَمِلُوا اَلْصَاَلَحِاَتِ.... الآية)	البقرة	25	70
116	(وَبَشْرِ اَلْذِيْنَ اَمَنُوا.... الآية)	البقرة	25	137
117	(وَبَشْرِهُمْ بِعَذَاَبٍ أليم.... الآية)	الانشقاق	24	137
69	(وَتَمْتَ كَلِمَتُ رَبِكَ اَلْحُسْنَيَ .... الآية)	الاعراف	137	108
6	(وِجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاَضِرَةَ * إِلَي رَبِهَاَ .... الآية)	القيامة	22،23	52
155	(وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاَضِرَةُ * إلي رَبِهَاَ... الآية)	القيامة	22 ، 23	145
54	(وَحَنَاَنَاً مِنْ لَدُنَا.... الآية)	مريم	13	98
80	(وَعَلَمْنَاهُ مِنْ لَدُنَاَ.... الآية)	الكهف	65	109
194	(وَعَلَي الْذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةُ طَعَامُ مِسْكِينَ... الآية)	البقرة	184	168
49	(وَغَلَقَتِ اَلْأَبْوَاَبَ وَقَاَلَتْ هَيْتَ لَكْ* قَاَلَ مَعَاَذَ اَلله.... الآية)	يوسف	24	93
220	(وَقَضَى رَبُكَ إلا تَعْبُدُواَ... الآية)	الاسراء	23	177
237	(وَقَضَى رَبُكَ إلا تَعْبُدٌ إلا إِيْاَهُ... الآية)	الاسراء	23	184
86	(وَقَضَيَ رَبُكَ إلا تَعْبُدُوا إلا اِيَاهُ وَبِاَلْوَاِلدَيْنِ اِحْسَاَنَاً اِمَاَ يَبْلُغَنَ عِنْدَكَ اَلْكِبَرَ أَحَدُهُمَاَ أَوْ كِلَاَهُمَاَ فَلَاَ تَقُلْ لَهُمَاَ أُفٍ وَلَاَ تَنْهَرْهُمَاَ وَقُلْ لَهُمَاَ قَوْلاً كَرِيماً * واَخْفِضْ لَهُمَاَ.... الآية)	الاسراء	23 ، 24	113
66	(وَلَا تَتَبِعُوا أَهْواءَ قَوْمِ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا.... الآية)	المائدة	77	108
159	(وَلَاَ تَكُنْ لَلْخَاَئِنِينَ خَصِيماً... الآية)	النساء	105	145
125	(وَلَاَ مَوُلُودُ بِوَلَدِهِ.... الآية)	البقرة	233	139

47	(وَلَقَدْ رَاوَدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ.... الآية)	يوسف	33	93
99	(وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَيَ كُرسِيهِ.... الآية)	ص	34	127
19	(وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَيَ.... الآية)	ص	34	65
46	(وَلَقَدْ هَمَتْ بِهِ.... الآية)	يوسف	32	92
168	(وَلِلهِ اَلْمَشْرِقِ وَاَلْمَغْرِبِ فَأَيْنَمَا تُوَلُوا فَثَمَ... الآية)	البقرة	115	152
174	(وَلِلهَ اَلْمَشْرِقِ وَاَلْمَغْرِبْ فَأَيْنِمَا تُوَلُّوا... الآية)	البقرة	115	157
21	(وَلِلهِ اَلْمَشْرِقِ وَاَلَمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تَوَلَوُا.... الآية)	البقرة	115	69
193	(وَلِلهِ الَمَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ فَأينَمَا... الآية)	البقرة	115	168
24	(وَلِلهِ عَلَيَ اَلْنَاَسِ حَجُ اَلْبَيْتِ.... الآية)	آل عمران	97	70
130	(وَلَهُ أخُ وَأُخْتُ مِنْ أُمْ... الآية)	النساء	12	140
119	(وَلَوْ تَرَىَ إذْ وَقَفَوَا عَلَيَ اَلْنَاَرَ.... الآية)	الانعام	27	13
95	(وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَاَ بَعْضَ اَلَأَقَاوِيلَ * لَأَخَذْنَاَ مِنْهُ بِإلي مِيْنِ * ثُمَ لَقَطَعْنَاَ.... الآية)	الحاقة	45 ، 46	122
205	(وَلوْ كَاَنَ مِنْ عِندِ غَيْرَ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ... الآية)	النساء	82	173
217	(وَلوْ كَاَنَ مِنْ عِندِ غَيْرَ اللهِ لَوَجَدُوا... الآية)	النساء	82	175
94	(وَمَاَ أَرْسَلْنَاَ مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُوُلِ وَلَا نَبِيِ إلا إذا.... الآية)	الحج	52	121
112	(وَمَاَ أَرْسَلْنَاَ مِنْ قَبْلَكَ مِنْ رَسُولِ وَلَاَ نَبِيِ.... الآية)	الحج	52	132
10	(وَمَاَ كَفَرَ سُلَيْمَاَنَ وَلَكِنَ اَلْشَيَاَطِينَ كَفَرُوا.... الآية)	البقرة	102	55
238	(وَمَا يَعْلَمُ تَأوِيلِهِ إلا اللهُ وَاَلْرَاسِخُونَ... الآية)	ال عمران	7	186
110	(وَمَاَ يَنْطِقُ عَنِ اَلْهَوَى.... الآية)	النجم	3	132
222	(وَمَايُضِلُ بِهِ إلا الْفَاسِقِينَ... الآية)	البقرة	26	178
79	(وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ اَلْكِتَابَ.... الآية)	الرعد	43	109
143	(وَمَنْ يَقْتُلَ مُؤمِناً مُتَعَمِداً فَجَزَاؤهُ جَهَنَمَ... الآية)	النساء	93	144
150	(وَمَنْ يَقْتُلَ مُؤمِناً مُتَعَمِداً فَجَزَاؤهُ جَهَنَمَ... الآية)	النساء	93	144
190	(وَمنْ يُوْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيراً... الآية)	البقرة	269	166
221	(وَمَنْ يُوتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَاَ... الآية)	البقرة	269	177
70	(وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَ عَلَيَ اَلْذِينَ.... الآية)	القصص	5	108
96	(وَهَلْ أَتَاَكَ نَبَأَ اَلْخَصْمَ إذْ تَسَوَرُوا اَلْمِحْرَاَبَ * إذْ دَخَلُوا....	ص	21-23	125

	الآية)			
71	(وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْسَيئَةُ قَبْلَ.... الآية)	الرعد	6	108
199	(يَاَ أَيْهُاَ الَذِينَ أمَنُوا لاَ تَحِلُوا شَعَائِرِ اللهِ وَلاَ الشَهْرَ الْحَرَامَ... الآية)	المائدة	2	171
164	(يَاَ أَيهُاَ اَلْذِينَ أَمَنَوُا لَاتَقْرَبُوا اَلْصَلَاَةَ وَاَنْتُمْ سُكَاَرَىَ... الآية)	النساء	43	149
82	(يَاَ بُنَيٌ لاَ تُشْرِكَ بِاللهِ إنَ اَلْشِرْكَ.... الآية)	لقمان	13	112
18	(يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ اَلْيُسْرَ.... الآية)	البقرة	185	65
126	(يَمْحَقُ اَللهُ اَلْرِبَاَ وَيُرْبِي اَلْصَدَقَاَتِ.... الآية)	البقرة	276	139
11	(يُؤْتَي اَلْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءَ وَمَنْ يُؤَتَ اَلْحِكْمَةَ.... الآية)	البقرة	269	58
90	(تَتَجَاَفَيَ جُنُوبُهُمْ عَنْ.... الآية)	السجدة	16	117
78	: (وَعَلَيَ اَلْذِينَ هَادُوا حَرَمْنَاَ.... الآية)	الانعام	146	109
56	:(قَاَلُوا لَاَ تَخَفْ إنَاَ أُرْسِلْنَا إليَ قَوْمِ لُوط * وأمْرَأتَهُ قَاَئِمَة.... الآية)	هود	70 ، 71	101
13	غَيْرِ اَلْمَغْضُوُبِ عَلَيْهِمْ.... الآية)	الفاتحة	7	61
84	فَأَمَاَ مَنْ أُوتِيَ كِتَاَبَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوُفَ يُحَاَسَبُ.... الآية)	الانشقاق	7 ، 8	112
197	فإن جَاؤوكَ فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ أوِ أعْرَضْ... الآية)	المائدة	42	170
183	مَاَ نَنسَخُ مِن أَيةِ أَو نُنسِهَا... الآية)	البقرة	106	160
191	وَمَاَ أرسَلْناَ مِنْ رَسُولٍ إلا لِيُطَاَعَ... الآية)	النساء	64	166

فهرس الأحاديث النبوية

م	طـرف الحـديث	رقم الصفحـة
1	(أيما أمراة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل...)	83
38	(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ....)	112
41	(وإن شاء طلق ....)	147
17	(.....أحي والداك ....)	114
19	(.....الصلاة لوقتها ....)	114
29	(...أهج المشركين فإن جبريل معك...)	116
8	(إذا دخل شهر رمضان صفدت...)	113
36	(إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها .....)	93
21	(الرحم معلقة بالعرش تقول...)	114
43	(الولد للفراش وللعاهر الحجر....)	155
4	(أما بعد ألا أيها الناس إني أنا بشر...)	111
13	(أمك ثم أمك ثم أمك ، ثم أباك...)	114
3	(أن إسم إسماعيل بعد أن تفجر لها...)	94
6	(إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر في الجنة...)	112
30	(إن الله يؤيد حسان بروح القدس...)	116
27	(إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه...)	115
11	(إن في الجنة ثمانية أبواب منها...)	113
20	(أنا الله عز وجل أنا الرحمن ...)	114
31	(بلغوا عني ولو أية...)	123
25	(تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم...)	115
35	(حدثوا عن بني إسرائيل ...)	77
2	(خذوا عني مناسككم ...)	89
28	(خل عنه يا عمر فلهي...)	115

18	(رضا الرب في رضا الوالدين...)	114
14	(رغم أنفه ، رغم أنفه...)	114
12	(عليك بالصوم فإنه لا عدل له)	113
10	(كل عمل إبن آدم يضاعف له الحسنة....)	113
16	(لا يجزي ولد والده إلا أن يجده ...)	114
23	(لا يدخل الجنة قاطع)	115
40	(لأطوفن بمائة إمرأة فقال له الملك ....)	127
26	(لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتي...)	115
32	(لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت...)	132
24	(ليس الواصل بالمكافئ...)	115
34	(من احتبس فرساً في سبيل الله ...)	157
15	(من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما...)	114
7	(مَنْ حُوسِبَ عُذِبَ)	112
22	(من سره أن يبسط له ...)	115
9	(من صام رمضان إيماناً وإحتساباً غفر له...)	113
5	(من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ....)	111
33	(من مات لا يشرك بالله شيئاً...)	144
39	(نزلت علي آنفاً سورة فقرأ ....)	112
37	(وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم...)	111
42	(وقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف ....)	154

فهرس الأعلام المترجم لهم

م	الأســـــم	رقم الصفحـة
13	ابراهيم بن خالد اليماني الكلبي	72
5	ابراهيم يزيد بن قيس بن الاسود ابو عمران النخعي	51
27	ابو اسحق ابراهيم بن السر الزجاج	104
22	ابو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحميمي	91
6	ابو القاسم محمد بن عمر الزمخشري	59
7	ابو ايوب ابن تيمية كيسان السخستاني	61
12	ابو بكر محمد بن عبد الله	69
24	ابو حاتم السحستاني	93
21	ابو داؤود السجستاني	90
1	ابو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي	38
30	ابو عمرو عثمان بن عمر بن ابي بكر بن يونس الدويني	160
23	ابو محمد بن عبد الملك بن هشام بن ايوب الحميدي	92
4	ابو محمد بن مسعود الفداء البغوي	50
16	احمد بن اسماعيل بن ابراهيم المغيرة	77
3	احمد بن داؤود جرير بن مالك الأيادي ابو عبد الله	49
33	احمد بن عبد الله الكرماني	180
17	اسماعيل بن حماد الجوهري	79
15	اسماعيل بن محمد بن علي ابو صالح	72
14	اسماعيل بن محمد بن علي بن اسماعيل	72
25	بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي	95
8	حاتم الاصم ابو عبد الرحمن	64
26	الحسين بن محمد	102
28	عبد الله بن سلام الحارث ابو يوسف	125

2	علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي	48
10	عمر بن بحر بن محبوب الكناني	66
11	عمر بن عثمان قنبر	66
19	محمد بن ادريس بن العباس الشافعي	81
31	محمد بن بحر المشهور بأبي مسلم الأصفهاني	160
9	محمد بن سيرين البصري	64
34	محمد بن عبد الله الاسكافي ابو عبد الله	180
18	محمد بن علي بن محمد الشوكاني	79
20	هارون بن احمد بن جعفر بن محمد الشاطبي	82
32	هبه الله بن عبد الرحيم بن ابراهيم	165
29	وهب بن منبه بن كامل اليماني	130

المصادر والمراجع

***أولاً : القرآن الكريم وعلومه :**

1. القرآن الكريم .
2. الاتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي ـ دار التراث ، شارع الجمهورية ـ القاهرة ـ تاريخ 1411هـ ـ 1991م .
3. أحكام القرآن : القاضي أبي بكر بن عبدالله بن محمد المعروف بإبن العربي ، القاهرة ـ الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، مطبعة عيسى الحلبي وشركائه .
4. أحكام القرآن : الجصاص ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان الطبعة الثانية 1403هـ .
5. أسباب نزول القرآن : جلال الدين السيوطي ـ دار التراث ، شارع الجمهورية ـ القاهرة ـ بدون تاريخ .
6. أسباب نزول القرآن عن الصحابة والمفسرين : عبدالفتاح القاضي ـ بيروت ـ لبنان ـ 1408هـ ـ 1987م .
7. الاسرائيليات في التفسير والحديث : د. محمد حسين الذهبي ـ دار الكتب الحديثة بمصر ـ 1396هـ ـ 1967م .
8. الأسرائيليات وأثرها في كتب الحديث : د. رمزي نعناعة ـ بدون تاريخ .
9. الأسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير : د. أبي شهية ـ بدون تاريخ .
10. أصول التفسير : د. محمد يونس ، دار الامة 1425هـ ـ 2005م .
11. أصول التفسير وقواعده : الشيخ خالد عبدالرحمن المكي ـ دار النفانس ـ الطبعة الثالثة ـ 1414هـ ـ1994م .

12. البرهان في علوم القرآن : الامام بدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي ، رئأسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والارشاد بالمملكة العربية ـ الطبعة الثالثة ـ بدون تاريخ .
13. التبيان في علوم القرآن : الشيخ محمد علي الصابوني ، دار القلم ـ الطبعة الثالثة 1408هـ .
14. التفسير البياني للقرآن الكريم : د. عائشة عبدالرحمن بنت الشاطى ـ دار المعارف بمصر ـ الطبعة الخامسة 1977م .
15. تفسير القرآن العظيم : الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، القاهرة 1989م .
16. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) : أبي عبدالله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ 1966م .
17. التفسير القيم : ألامام بن القيم الجوزية ـ طبعة دار الفكر ـ بدون تاريخ
18. التفسير الكبير : فخرالدين محمد بن عمر الرازي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بدون تاريخ .
19. تفسير جزء عَمَّ : د. عبدالله الطيب ـ الدار السودانية ـ الخرطوم ـ الطبعة الثالثة 1406هـ .
20. التفسير والمفسرون : د. محمد حسين الذهبي ـ دار الكتب الحديثة ـ القاهرة ـ 1961م .
21. الدر المنثور : للأأمام جلال الدين السيوطي ـ دار الفكر ـ بيوت ـ لبنان ـ الطبعة الثانية ـ 1403هـ .
22. دراسات في علوم القرآن الكريم : د. أمير عبدالعزيز ـ بدون تاريخ .

23. فتح القدير : الأمام محمد بن علي الشوكاني ـ دأر المعرفة ـ الطبعة الاولى 1415هـ ـ 1995م .
24. الفوز الكبير في أصول التفسير : الامام شاه ولي الدين الدهلوي ـ مطبعة مجلة الازهري شعبان 1404هـ .
25. القرطبي ومنهجه في التفسير : د. العصبي محمود زلط ـ بدون تاريخ .
26. الكشاف : أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ بدون تاريخ .
27. محاضرات في علوم القرآن : د. نور الدين العتر ـ بدون تاريخ .
28. مقدمة التفسير : شيخ الاسلام أحمد بن تيمية ـ دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ـ الرياض ـ 1412هـ ـ 1991م .
29. مناهج المفسرين : د. منيع عبدالحليم محمود ـ بدون تاريخ .
30. مناهل العرفان : الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الاولى 1409هـ ـ 1988م .
31. الناسخ والمنسوخ : إبن الحصار ـ دار القلم ـ دمشق ـ بدون تاريخ .
32. الناسخ والمنسوخ : إبن حزم الاندلسي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان ـ بدون تاريخ .
33. الناسخ والمنسوخ : هبة الله بن عبدالرحيم بن إبراهيم ـ تحقيق د. حاتم صالح الضامن ـ بدون تاريخ .
34. الثلث والعيون : الماوردي ـ دار الكتب المصرية ـ الطبعة الولى ـ بدون تاريخ .
35. الهداية إلي بلوغ النهاية في معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنونه : مكي بن أبي طالب القيسي ـ مخطوط الرباط .

*** ثانياً : الحديث وعلومه :**

36. تذكرة الحفاظ : أبو عبدالله شمس الدين محمد الذهبي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بدون تاريخ .

37. الجامع الصحيح : أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثالثة ـ 1417هـ ـ 1996م .

38. سنن الترمذي : أبو عيسى محمد بن إدريس بن سدره الترمذي ـ طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ 1988م .

39. صحيح مسلم بشرح النووي : الأمام الحافظ أبي زكريا يحي بن شرف الدين النووي ـ دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ـ 1411هـ ـ 1990م .

40. فتح الباري : الحافظ أحمد بن علي العسقلاني ـ مطبعة دار الكتب ـ 1411هـ ـ 1991م .

41. المسند : أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني ـ دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثانية ـ 1398هـ ـ 1978م .

***ثالثاً : السيرة والتاريخ :**

42. إبن القيم الجوزية ـ جهوده في الدرس اللغوي : د. طاهر سلمان حمودة ـ الناشر دار الجامعات المصرية ـ بدون تاريخ .

43. إبن القيم الجوزية منهجه وعصره : د. عبدالعظيم شرف الدين ـ مكتبات الكليات الازهرية ـ الطبعة الثالثة ـ 1378هـ ـ 1967م .

44. إبن تيمية حياته وعصره أرأءه وفقهه : محمد أبو دهرة ـ دار الفكر العربي ـ بدون تاريخ .

45. الاسلام والحضارة الغربية : محمد كرد ، طبعة دارالكتب المصرية ـ 1934م .

46. أعلام النساء في عالمي الدين والاسلام : عمر رضا ـ بدون تاريخ .
47. الإعلام : خيرالدين الزركشي ـ بيروت ـ لبنان ـ دار العلم للملايين ـ 1969م .
48. بدائع الزهور في وقائع الدهور : محمد بن أحمد بن إياس ـ بدون .
49. البداية والنهاية : أبي الفداء إسماعيل بن كثير ـ مكتبة المعارف بيروت الطبعة الاولى ـ 1969م .
50. تذكرة الحفاظ : أبو عبدالله شمس الدين محمد الذهبي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بدون تاريخ .
51. حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة : جلال الدين السيوطي ـ المطبعة الشرقية ـ 1327هـ .
52. خطط الشام : المغريزى ـ القاهرة ـ جلال الدين السيوطي ـ المطبعة الشرقية ـ 1327هـ .
53. الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة : إبن حجر العسقلاني ـ دار الكتتب الحديثة ـ بدون تاريخ .
54. السلوك المغريزي ـ القاهرة ـ مطبعة النيل ـ بدون تاريخ .
55. سير أعلام النبلاء : الأمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة السابعة ـ 1386هـ ـ 1997م .
56. السيرة النبوية : أبي محمد عبدالله بن هشام المعافري ـ مكتبة الصفاء ـ الطبعة الاولى ـ 1422هـ ـ 2001م .
57. شذرات الذهب : إبن الفلاح عبدالحي بن العماد ـ بيروت ـ لبنان ـ طبعة دار الكتب العلمية ـ بدون تاريخ .

58. الشفاء : للقاضي عياض بن موسى بن عياض الجصبي ـ المطبعة العثمانية ـ إستانبول 1312هـ .

59. صبح الاعشي : القلقشندي ــ طبعة وزارة الثقافة والارشاد القومي ــ المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر ـ بدون تاريخ .

60. طبقات الشافعية : تاج الدين أبي النضر عبدالوهاب بن تقي الدين السبكي ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ الطبعة ل ثانية ـ بدون تاريخ .

61. طبقات المفسرين : جلال الدين السيوطي ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ بدون تاريخ .

62. طبقات المفسرين : الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداؤودي ـ مكتبة المعارف ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الاولى 1966م .

63. فقة السيرة : محمد رمضان البوطي ـ بيروت ــ الطبعة الثانية 1419هـ ــ 1999م .

64. كشف الظنون : حاجي خليفة ـ منشورات مكتبة المثنى بن حارثة ـ بقداد 1951م .

65. معجم البلدان : ياقوت الحموي ـ مطبعة بيروت ـ 1376هـ ــ 195م

66. معجم المؤلفين : عمر رضا كحالة ــ القاهرة ـ مطبعة جاد الحق المدني ـ بدون تاريخ .

67. النجوم الزاهرة : بن ثقري يردي ــ دار الكتب المصرية ـ الطبعة الاولى ـ بدون تاريخ .

*** رأبعاً : الفقه وأصوله :**

68. الرسالة : للأمام محمد بن إدريس الشافعي ـ تحقيق أحمد محمد شاكر ـ بدون تاريخ .

69. الموافقات في أصول الاحكام : هارون بن أحمد بن صقر أبو محمد الشاطبي ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ـ بدون تاريخ .

* خامساً : اللغة والنحو :

70. الصحاح : إسماعيل بن حماد الجوهري ـ دار العلم للملايين ـ الطبعة الاولى ـ 1418هـ .

71. المفردات في غريب القرآن : الامام الحسين ، المعروف بالراغب الاصفهاني ـ دارالمعرفة ـ بيروت ـ بدون تاريخ .

72. معاني القرآن : أبو إسحق إبراهيم السري الزجاج ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ صيدا ـ توزيع الاهرام ـ بدون تاريخ .

73. مختار الصحاح : الامام الرازي ـ مطبعة دار القبس ـ بدون تاريخ .

74. لسان العرب : الامام الفضل جمال الدين بن ... بن منظور الافريقي المصري ـ بيروت ـ لبنان ـ دار صادر ـ بدون تاريخ .

فهرس الموضوعات :

الموضـــــــــــوع	الصفحة
البسمـــــــــــلة	أ
الاستهـــــــــــلال	ب
الاهـــــــــــداء	ج
الشكـــر والتقديـــــــــــر	د
مستخلص الدراسة باللغة العربية	هـ
مستخلص الدراسة باللغة الانجليزية	و
المقدمـــــــــــة	1
الفصل الأول : الإمام الخازن نشأته وحياته	
تمهيـــــــد	2 - 10
المبحث الأول : ترجمة الإمام الخازن	11 - 20
المبحث الثاني : عصر الإمام الخازن ومدى تأثره به	21 - 42
المبحث الثالث : اخلاقه وآثاره العلمية	43 - 47
الفصل الثاني : مصادر الخازن في تفسيره	
المبحث الأول : مصادر الخازن من كتب التفسير	48 - 78
المبحث الثاني : مصادر الخازن في الحديث الشريف	79 - 88
المبحث الثالث : مصادر الخازن في السيرة النبوية	89 - 93
المبحث الرابع : مصادر الخازن في اللغة	94 - 105
الفصل الثالث : موقف الإمام الخازن من أنواع التفسير	
المبحث الأول : موقفه من التفسير بالمأثورات	106 - 119
المبحث الثاني : موقفه من الاسرائيليات	120 - 135
المبحث الثالث : عنايته باللغة والنحو والقراءات والعقيدة والأحكام الفقهية	136 - 148
الفصل الرابع : مباحث علوم القرآن في تفسير الخازن	
المبحث الأول : أسباب النزول في تفسير الخازن	149 - 159
المبحث الثاني : المنهج الذي سلكه الخازن في الناسخ والمنسوخ	160 - 171
المبحث الثالث : المحكم والمتشابه عند الخازن	172 - 188
الخاتمة والنتائج	189 - 193
فهرس الأيات القرآنية	194 - 203
فهرس الأحاديث النبوية	204 - 205
فهرس الأعلام المترجم لهم	206 - 207
المصادر والمراجع	208 - 214
فهرس الموضوعات	215